

مجلة الدراسات الإنسانية  
تصدرها كلية الآداب والدراسات الإنسانية – كريمة – جامعة دنقلا  
مجلة نصف سنوية – محكمة- العدد الثالث عشر يناير 2015م

المشرف العام

د. عبد الحكيم حسن إبراهيم

مستشارو التحرير

أ. د. عباس سيد أحمد زروق  
أ. د. حسن علي الساعوري  
أ. د. عبد القادر محمود عبد الله  
أ. د. علي عثمان محمد صالح  
أ. د. محمد المهدي بشرى  
أ. د. كباشي حسين قسيمة  
أ. د. نصر الدين سليمان علي

هيئة التحرير

رئيس هيئة التحرير:

أ. د. محمد مهدي إدريس

رئيس التحرير:

د. محمد عز الدين علي

سكرتارية التحرير :

د. السيد بخت أحمد  
د. محمد الطيب الفكي  
د. مجدي سليمان حمزة  
أ. أميرة علاء الدين صالح

## قواعد النشر

تُعنى المجلة بترقية البحث العلمي في مجالات العلوم الإنسانية والاجتماعية وتهتم - على نحو خاص - بنشر البحوث والدراسات ومراجعات الكتب والتقارير العلمية والندوات المتخصصة، كما ترحب بالمناقشات الهادفة والموضوعية لما ينشر فيها.

قواعد النشر بالمجلة:

\* يقدم المقال أو الدراسة مطبوعاً على ورق A 4 ومرفقاً معه قرص مدمج 3.5 فيما لا يزيد عن (7500) كلمة (25 صفحة) سواء باللغة العربية أو الإنجليزية أو الفرنسية.

\* ألا يكون المقال قد سبق نشره أو قدم للنشر في أي جهة أخرى، كما لا يجوز إعادة نشره - كاملاً أو جزئياً - في وعاء آخر، إلا بأذن خطي من المجلة.

\* توضع إحالات المراجع في داخل النص وفق طريقة جامعة هارفارد (الطريقة الأمريكي) للتوثيق، وهي كما يلي: (الإسم الثالث سنة النشر، ص). هذا في حال أسماء الكتاب الأجنبي ومؤلفي المصادر العربية كالطبري. أما أسماء مؤلفي المراجع العربية، فتكتب ثلاثية مثل (أميرة علاء الدين صالح 2008م، ص109).

\* أما ترتيب المراجع في القائمة المراجع فيرد وفقاً لما يلي: في حال المراجع الأجنبية والمصادر العربية: اسم العائلة / اسم الشهرة، الاسمين الأولين سنة النشر، عنوان الكتاب/المقال، دار النشر، مكان النشر، (تضاف صفحات المقال في حال الدوريات)؛ بينما تكتب أسماء مؤلفي المراجع العربية ثلاثية في هيئتها العادية، وتليها بقية البيانات.

\* تعرض المقالات والبحوث على محكمين مختصين في مجالات المجلة لإجازتها وتقوم المجلة بإخطار أصحاب المقال بقرار المحكمين، ولها حق إجراء أي تعديلات شكلية جزئية قبل نشر المادة دون أن يخل ذلك بمضمون المادة المنشورة في حالة الموافقة بنشرها.

\* تقبل البحوث من كافة الباحثين من داخل وخارج السودان.

\* الأفكار والمعلومات الواردة في البحوث تعبر عن آراء كاتبها وليس بالضرورة تبنيها من قبل كلية الآداب والدراسات الإنسانية.

\* تمنح المجلة كاتب المقال ثلاث نسخ من العدد الذي يحتوي على مقاله.

\* أصول المقالات التي ترد إلى المجلة لا تسترجع سواء نشرت أم لم تنشر.

\* تحتفظ المجلة بكافة حقوق النشر.

\* ❖ ترسل البحوث باسم السيد / رئيس هيئة التحرير - كريمة ص. ب 58 أو على

البريد الإلكتروني على عنوان المجلة [magazinearts@yahoo.com](mailto:magazinearts@yahoo.com) أو

بالفاكس 0024923122954 تلفون 00249231820098

## كلمة العدد

مضت الأيام سراعاً وها نحن ندفع بالعدد الثالث عشر من مجلة الدراسات الإنسانية، ملتزمين فيه بذات النهج الذي اتبعناه من قبل فيما يختص بتقديم مادة متنوعة راعت الالتزام بمعايير النشر .

إن حقل الآداب والدراسات الإنسانية معين متنوع طابعه التجدد وخير دليل على ذلك المجالات العديدة التي طرقتها أعداد هذه المجلة بموضوعاتها الطارفة والتليدة في مجالات التاريخ واللغات والمعتقدات، وهذا العدد يحفل بمثل تلك الدراسات وأخر غطت مجالات بالغة الحيوية مثل التقييم في مؤسسات التعليم العالي ودراسات عقلية وعرض لبعض الكتب، إلى غير ذلك من الدراسات.

تلقينا بعض الملاحظات المهمة من الحاديين على استمرار هذه الإصدارية أخذنا بها في هذا العدد، أما ما جاءت بشأن كبر حجم العدد الثاني عشر، مقارنة بما سبقه من أعداد، فسنسعى لإعادة المجلة إلى حجمها المألوف بالرغم من كثرة ما يردنا من مساهمات للنشر - وهذا مدعاة للفخر - فوق ما ظل مدرجاً في انتظار النشر منذ 2012م ، إن في هذه وتلك مبرر كاف لزيادة الحجم، طالما زدنا عدد المقالات مقارنة بمحتويات الأعداد الأسبق!

إن أسرة التحرير ممتنة لكل من أثرى وبثري هذه الاصدارية سواءً بالمقالات والدراسات، أو بإبداء الرأي والملاحظات التي تصب في خانة التجويد، فكل هؤلاء وأولئك صادق التقدير آملين في مزيد اسهامهم ومواصلة المسير دون كلل بذات روح التضامن والتآزر والعطاء الدفاق.

## هيئة التحرير



## محتويات العدد

- 1- كلمة العدد . . . . . 4
- 2- حرية التعبير في السودان بين النظرية والتطبيق  
د. خليل عبد الله علي حسين . . . . . 7
- 3- المكانز كأدوات ضبط واسترجاع للمعلومات. . . . .  
د. معاوية مصطفى محمد عمر . . . . . 25
- 4- القيم التربوية في حكم الشيخ فرح ود تكتوك  
د. خالد رحمة الله صالح عبد الله . . . . . 55
- 5- فكر الغزالي ورأيه في مدارس عصره الفكرية  
د. صلاح بكري محمد يوسف. . . . . 79
- 6- العصبية القبلية وأثرها في ضعف المسلمين (الأندلس أنموذجاً)  
د. عفاف مكايي محمد قبلي و د. حسن عوض الكريم على . . . . . 95
- 7- الثقافة التنظيمية ودورها في تطوير الأداء الوظيفي  
د. عاطف محمود عوض . . . . . 127
- 8- التسول مشكلة اجتماعية في المدينة السودانية  
د. سامية الباقر محمد سليمان . . . . . 161
- 9- علاقة الدين بالدولة في مملكة كوش الثانية  
د. نعمات عمر عبد الجبار و د. محمد مهدي إدريس . . . . . 187
- 10- موقف عبد الله بن الزبير من الخوارج وبنو هاشم وأثر ذلك على خلافته  
د. محمد الفاضل العوض . . . . . 225
- 11- تاريخ البصرة الحديث في المصادر الروسية  
أ.د. صبري فالح الحمدي. . . . . 239
- 12- دور مشروع حلفا الجديدة الزراعي في تنمية قطاع الثروة الحيوانية بالمنطقة  
د. عمر أحمد عبد الجليل محمد . . . . . 249

13- عرض كتاب: (حركة الإصلاح والإرشاد وشيخ الإرشاديين أحمد محمد

السوركتي في اندونيسيا)

تحقيق وتقديم: أ.د. أحمد إبراهيم أبو شوك - استعراض: د. أبو هريرة

عبد الله محمود . . . . . 273

14- Word Difficulty Problems Encountered by Sudanese EFLL

Dr. Mohammed Bakri Mohammed El hassan.....287

## حرية التعبير في السودان بين النظرية والتطبيق

د. خليل عبد الله علي حسين

أ. مساعد بقسم الإعلام - كلية العلوم الإسلامية واللغة العربية

جامعة غرب كردفان

### مقدمة:

لا يختلف اثنان في أنّ حرية التعبير تُعدُّ من أهمِّ مطالب حقوق الإنسان، هذا من الناحية النظرية، لكن حريٌّ بنا أن نعتزفَ هُنا بأن واقع الحال والمآل في كثير من البلدان يُشيران إلى النقيض لذلك تماماً؛ فالمتابع لهذا الأمر يجد أن أزمة حرية التعبير بين الحاكم والمحكومين بدأت مع اختراع مطابع الصحف نفسها، ليستمر الصراع إلى يومنا هذا، من خلال (معركة) سارت ولا تزال تسير في خط مُتعرِّج هبوطاً وصعوداً حسب متغير الواقع، لكن مؤشرها الثابت يشير إلى أن مفهوم (الحرية) يتقدم ويتنامى، بينما يتراجع مفهوم السلطوية، غير أن ذلكم الخط لم يستقر على حال؛ فالتنكسات واردة دائماً وفقاً لظروف كل بلد.

تؤكد الإحصاءات الواردة في تقرير "منظمة صحفيون بلا حدود" لعام 2012م احتلال السودان المرتبة رقم (170) من جملة (179) دولة في العالم، وفقاً لاحترامها حرية التعبير في مجال الصحافة. وردت هذه المعلومة من خلال تقرير دقيق أكد بما لا يدع مجالاً للشك أن الحريات الصحفية في السودان تتعرض لانتهاكات مستمرة من أجهزة الدولة، عبر مصادرة الصحف وإغلاقها واعتقال الصحفيين.

إن جاز لنا الاستدلال بالتاريخ نقول إنَّ شهر أبريل 2013م يقف شاهداً على انعدام الثقة بين الحكومة السودانية والسلطة الرابعة في البلاد، ففي هذا الشهر (أبريل) قررت السلطات الأمنية منع رئيس تحرير صحيفة "الصحافة" النور أحمد النور من تولي رئاسة التحرير، وفي حادثة أخرى مُنفصلة تم التحقق مع مدير مكتب قناة الجزيرة بالخرطوم المسلمي الكباشي وأُشترط عليه السلطات الأمنية الحصول على الإذن المسبق قبل التحرك لأي جهة داخل وخارج السودان، بالتالي فلا ولن نجاة في

الحقيقة إن قلنا إن صناعة الصحافة السودانية تمر اليوم بظروف عصيبة. لكل ما تقدم جاءت هذه الدراسة للوقوف على حرية التعبير في السودان بين النظرية والتطبيق، بتسليط الضوء على مفاهيم حرية التعبير، وبيان اختلافات تطبيق حرية الإعلام والصحافة حسب الظروف السياسية لكل دولة .

### مشكلة الدراسة:

تعالت في الآونة الأخيرة أصوات ومناشدة الهيئات والمنظمات المعنية بحرية التعبير والصحافة إقليمياً ودولياً ، مخاطبة الحكومة السودانية بضرورة توفير قدر مناسب من حرية التعبير للصحافة، كما أن هنالك العديد من التحديات المهنية ظلت تلازم مسيرة العمل الصحفي خلال سنوات الألفية الأخيرة رسمت صورة قاتمة عن واقع الحريات الصحفية في السودان.

جاءت هذه الدراسة محاولة أن تتلمس تلك التحديات للخروج بنتائج موضوعية تسهم في دفع عجلة الصحافة السودانية لكي تسهم في الارتقاء برصيفاتها الإقليمية والعالمية، ويؤدي إلى تبديد مخاوف المستثمرين الراغبين في ولوج مجال صناعة الصحافة بالسودان باعتباره مجالاً يحقق عائداً مادياً وتسهم في تنوير الرأي العام .

### أهمية الدراسة:

تستمد الدراسة أهميتها من حتمية تقصي مؤشرات حرية التعبير في السودان، في ظل التغيرات العالمية السريعة والمستجدات المتلاحقة في مجال الصحافة، ومن بين ذلك على سبيل المثال لا الحصر:

أولاً: إن دراسات وبحوث الصحافة على مستوى درجتي الماجستير والدكتوراه، فضلاً عن أن جل الكتب المنشورة حاولت أن تتابع تطور الصحافة السودانية من الناحية التاريخية دون أن تتعمق - في كثير من الأحيان - في توصيف ظاهرة التحديات المهنية للعمل الصحفي بالسودان وفي مقدمة ذلك تقليص مساحة حرية الرأي والتعبير.

ثانياً: الصحافة مرآة المجتمع لذلك فهي في أمس الحاجة لحرية التعبير بحيث يتسنى لها مناقشة الجوانب السياسية والاجتماعية والاقتصادية، سلباً وإيجاباً. إذ يرى

كثير من العاملين في حقل الإعلام أن بسط الحريات الصحفية يسهم في مناقشة القضايا الكلية بوضوح، خاصة الموضوعات الأمنية والاستراتيجية التي تحتاج إلى التعددية في الآراء من أجل الوصول إلى معالجات شاملة لأزمات البلاد.

**ثالثاً:** دراسة حرية التعبير تكتسب أهمية كبرى اليوم في ظل منافسة شبكات التواصل الاجتماعي التفاعلية للصحافة الورقية اتساع مساحة الحرية فيها.

**رابعاً:** تأتي أهمية دراسة حرية التعبير اليوم، في وقتٍ تعاني فيه الصحافة السودانية من تحديات مهنية خطيرة منها: التضيق على الحريات الصحفية والرأي والتعبير، فضلاً عن عزوف كبار المستثمرين عن الاستثمار في مجال صناعة الصحافة بشكل عام مقارنة بحجم استثماراتهم في المجالات الأخرى.

#### **منهج الدراسة :**

نظراً لطبيعة الموضوع، وغايته المتمثلة في محاولة تقديم صورة واقعية لحرية التعبير في السودان، اعتمد الباحث على المنهج الوصفي التحليلي والمقارن في توضيح جوانب الشبه والاختلاف حول الظاهرة موضوع الدراسة.

#### **أدوات جمع المعلومات والبيانات:**

في سبيل بلوغ الدراسة غايتها المنشودة اعتمد الباحث في جمع المعلومات والبيانات الأساسية على الأدوات التالية :

**1- الملاحظة المباشرة:** انتماء الباحث لمجال الصحافة ، جعلني أرصد كافة الظواهر السالبة والتي تعيق مسيرة تطوير العمل الصحفي في السودان.

**2- المقابلة :** أجرى الباحث مقابلات مع (20) صحفياً وصحفية، علاوة على أكاديميين لهم خبرة طويلة وتجربة ثرة في العمل الصحفي، من هؤلاء على سبيل المثال لا الحصر، عاملون بصحف (الوطن، السوداني، آخر لحظة، الانتباهة، ألوان، وقناة الشروق الفضائية).

#### **أسئلة الدراسة :**

تحاول الدراسة الإجابة على التساؤلات التالية:

(1) هل هنالك قيود على حرية التعبير والصحافة اليوم في السودان أكثر من أية وقت مضى؟

(2) هل هنالك علاقة مباشرة بين تطور صناعة الصحافة السودانية واتساع مساحة حرية الرأي والتعبير؟

(3) هل هنالك علاقة مباشرة بين تراجع مساحة حرية التعبير في السودان وإحجام المستثمرين من الولوج في الاستثمار في مجال صناعة الصحافة؟  
بدايات كفاح السلطة ضد حرية التعبير:

يرى رئيس تحرير صحيفة "الأيام" السودانية محجوب محمد صالح أن كفاح السلطة ضد حرية التعبير بدأ لأول مرة عام 1456م، عندما تم اختراع المطبعة على يد يوحنا جوتنبرج، وكان اختراع المطبعة تطوراً عظيماً الأهمية في دفع عجلة النشر وحرية التعبير في المجتمعات الغربية، لكنه في نفس الوقت صار مصدر قلق للحكام، وأزعجت المطبعة أيضاً رجال الكنيسة الذين كانوا يحتكرون المعرفة ويرجع سبب خوف الجميع إلى أن هذه الوسيلة نزعحت احتكار المعرفة وأشاعتها بين عامة الناس، ما هدد سطوتهم، لأن ظهور وسيلة الاتصال الفعالة تلك يعني تنامي الرأي العام وسط المحكومين. ومنذ ذلك الوقت ظل الصراع ينمو ويتطور من مرحلة لأخرى بين حاكم يريد أن يطمس الحقيقة وأن تسود الجهالة، وبين ناشر يريد أن يبث المعرفة وينشر الحقيقة (فتح الرحمن محجوب 2003م، ص أ).

### مكانة حرية التعبير في مصفوفة حقوق الإنسان:

معلومٌ أنّ حرية التعبير وردت ضمن منظومة حقوق الإنسان السياسية، حيث

تصنف حقوق الإنسان عادة وفق الفئات التالية (ليلى عبد المجيد 2001م، ص 8) :

1. حقوق الإنسان الأساسية وتشمل : الحق في الحياة والحق في المساواة والحق في الحرية.

2. حقوق الإنسان المدنية : وتشمل الحق في حرية الإعتقاد والحق في التمتع بالجنسية والحق في التقاضي والمحاكمة العادلة والسريعة.

3. حقوق الإنسان السياسية : وتشمل الحق في المشاركة السياسية والحق في تكوين الجمعيات والانضمام إليها والحق في حرية التعبير.
4. حقوق الإنسان الاجتماعية والثقافية : وتشمل الأمن والتعليم والصحية والعمل والحياة الكريمة والحق في العيش في بيئة سليمة.

### أولاً: دلالة حرية التعبير:

تعتبر حرية التعبير من الحقوق الرئيسية التي اهتمت بها المواثيق والعهود والاتفاقيات الدولية المتعلقة بحقوق الإنسان، ولذا ظلت الدول التي انضمت وصادقت على تلك الاتفاقيات شديدة الحرص على حماية حرية التعبير من خلال إنشاء الهيئات وسن القوانين واللوائح الوطنية وتطبيقها على أرض الواقع.

وصفت الجمعية العامة للأمم المتحدة حرية التعبير بأنها: المحك لجميع الحريات التي تكرس الأمم المتحدة نفسها لها، وقد أشارت المحكمة الأمريكية لحقوق الإنسان إلى أن حرية التعبير حجر الأساس الذي يستند عليه النظام الديمقراطي ولا مناص منه لتشكيل رأي عام مُعافى.

### ثانياً. أهمية حرية التعبير للشعوب:

إن حرية التعبير مهمة جداً؛ على الأقل، لثلاثة أسباب رئيسية : أولها أن الحق في التعبير عن النفس لا مناص منه لكرامة الإنسانية. وثانيها : أن أفضل طريقة للوصول إلى الحقيقة يتحقق من خلال وجود " سوق حر للأفكار " حيث يتم تبادل وجهات النظر بحرية تامة، وهذا لا يتأتى إلا في ظل حرية التعبير. وثالثها : أنه لا يمكن أن يكون هناك حوار مفتوح ونقاش علني بدون حرية تنساب خلالها المعلومات وتتدفق بكل يسر (فتح الرحمن محجوب 2003م ، ص 73 ) .

### ثالثاً. تعريف حرية التعبير:

يمكن تعريف حرية الرأي والتعبير بأنها: تداول وتبادل الأفكار والآراء عن طريق الكلام أو الكتابة أو أي عمل فني بدون أدنى رقابة أو قيود حكومية، شريطة ألا تجنح تلكم الأفكار أو الآراء إلى ما يمكن اعتباره خرقاً لقوانين وأعراف الدولة . ويصاحب حرية الرأي والتعبير على الأغلب بعض أنواع الحقوق

والحدود، مثل : حق حرية العبادة وحرية الصحافة وحرية التظاهر السلمي. أما بالنسبة لحدود حرية الرأي والتعبير فتلك تُعد واحدة من القضايا الشائكة والحساسة، إذ أن الحدود التي ترسمها الدول أو المجموعات أو غيرها من الجهات المعرّفة لهذه الحرية، تتغير وفقاً للظروف الأمنية والنسبة السكانية للأعراق والطوائف والديانات المختلفة التي تعيش ضمن الدولة أو المجموعة، وأحياناً قد تلعب ظروف خارج نطاق الدولة أو المجموعة دوراً في تغيير حدود الحريات (راسم الجمال 2006م، ص 232).

عرف الباحث نبيل صالح حرية التعبير بأنها : حق كل إنسان في أن يصوغ آراءه وأفكاره ومعتقداته بحرية علناً، وبالطريقة التي يراها مناسبة؛ إن كان ذلك بالكلام أو بكتابة المقالات والكتب أو بحشد المظاهرات والمسيرات أو بعقد الاجتماعات الشعبية وكل أشكال الإحتجاج السلمية، إضافة إلى التعبير الحر عن الذات بواسطة الفنون والموسيقى وغيرها من الطرق الأخرى.

تعني حرية التعبير أيضاً أن الإنسان حر في سماع الآخرين والإنصات لأقوالهم والتعرف على آرائهم، كما تتضمن حق الإنسان في السكوت وعدم الإفصاح عن آرائه إلا بإرادته الحرة (نادية إبراهيم 2010م).

#### رابعاً : مكونات حرية الرأي والتعبير:

هناك العديد من المعايير الدولية المتعارف لحماية حرية الرأي والتعبير نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ( [www.madacenter.org](http://www.madacenter.org) ):

أ - حق معارضي الحكومة في التعبير عن آرائهم ونشرها في كافة وسائل الاتصال الجماهيري المملوكة للدولة، بما في ذلك الراديو والتلفزيون بالتساوي مع الآخرين (أي حزب الحكومة أو أي منظمة موالية لها)، خاصة في أوقات الانتخابات العامة والمحلية.

ب- حق الحصول على المعلومات وتأمين وصولها من مصادر الحكومة.

ج- حماية الحريات الأكاديمية والعلمية والتعليمية والتعبير الفني والأدبي.



د- ضرورة الحصول على دعم حكومي لحق التعبير على أسس غير سياسية، لتعزيز وضمأن التعددية.

ه- حماية حق التوزيع والنشر.

و- الحق في إنشاء الإذاعات والقنوات الفضائية المستقلة (الخاصة).

### خامساً: حرية التعبير في المجتمعات الغربية :

لقد عاشت الشعوب الأوروبية إرهابات التغيير وإثبات الذات في صراعها مع أنظمتها السياسية والسلطة الدينية، ومن ثم استطاعت أن تخلق نقلة نوعية على الصعيد الإنساني في مجال الحريات، لاعتبار الحرية جزءاً أصيلاً لا يتجزأ في طبيعة الكائن البشري، فعلى سبيل المثال جاءت (الماغنا كارتا 1215م) إلى بريطانيا لتقيد صلاحيات الملك لصالح الشعب ولتصبح الأساس الذي بني عليه الشعب البريطاني قوانينه الداعمة للحرية والعدالة. وتعزز مفهوم حرية الرأي والتعبير في المملكة المتحدة عام 1689م بإصدار البرلمان البريطاني قانون (حرية الكلام في البرلمان)، وما نص عليه دستور الولايات المتحدة الأمريكية لعامي (1776 - 1778م) من حق حرية الرأي والتعبير (ليلي عبد المجيد 2010م، ص 50).

أما الإعلان الفرنسي لحقوق المواطنة لعام 1789م فقد نص على أن: (حرية التعبير هي من الحريات الأساسية للإنسان)، حيث أرسى مفهوم الحريات كجزء أساسي في تكوين الإنسان وليس حقاً من الحقوق المكتسبة. وهذا ما أخذت به الشعوب الأوروبية في دساتيرها وأخذت به هيئة الأمم المتحدة بعد إنشائها في عام 1945م، كأساس لترسيخ الحريات العامة. فنجدها تقر في القرار 59 / د - أ (إن حرية المعلومات هي حق أساسي للإنسان وحجر الزاوية لجميع الحريات الأساسية التي تتادي بها الأمم المتحدة، وصولاً إلى الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الصادر في 1948/12/10م / في المادة (19) : (لكل شخص الحق في حرية الرأي والتعبير، ويشمل ذلك الحق حرية اعتناق الآراء دون أية تدخل، واستقاء الأنباء والأفكار وتلقيها وإذاعتها بأية وسيلة كانت دون التقييد بالحدود الجغرافية).

أما حرية التعبير في العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية المعتمد من قبل الأمم المتحدة في 16/12/1966م ليعزز الحريات وحق الإنسان في التعبير عن رأيه دون حدود سياسية أو دينية أو جغرافية، فنص في المادة / 19 منه على أن :

- 1- لكل إنسان الحق في اعتناق الآراء دون مضايقة.
- 2- لكل إنسان الحق في حرية التعبير، ويشمل هذا الحق حريته في ألتماس مختلف ضروب المعلومات والأفكار وتلقيها ونقلها إلى آخرين دونما اعتبار للحدود، سواءً على شكل مكتوب أو مطبوع أو في قالب فني أو بأية وسيلة أخرى يختارها.
- 3- لممارسة الحقوق المنصوص عليها في الفقرة (2) من هذه المادة واجبات ومسؤوليات خاصة.

ووفقاً لذلك يجوز إخضاعها لبعض القيود شريطة أن تكون محددة بنص القانون وأن تكون ضرورية (راسم الجمال 2006م). ومن تلك الواجبات ما يلي:

- أ- لاحترام حقوق الآخرين أو سمعتهم.
  - ب- لحماية الأمن القومي أو النظام العام أو الصحة العامة أو الآداب العامة.
- يتضح مما تقدم أن حرية الرأي والتعبير ليست منحة ينبغي للشعوب المطالبة بها، بل هي جزء أصيل من التكوين القيمي والمعرفي والوجداني للإنسان؛ ليس ذلك فحسب وإنما هي حق مثل حقه الإنسان- في الحياة، وهذا يعني بطلان دعاوي بعض الأنظمة السياسية بأشكالها المختلفة في تبرير سعيها لتكبييل الحريات وتقييدها بقوانين كقانون الصحافة والمطبوعات الصحفية بالسودان لسنة 2009م، وغيره من القوانين الصحفية بالدول العربية التي تسمى للحريات، عوضاً عن الدفاع عنها.
- لعل شعوب العالم العربي اليوم في حاجة ماسة إلى إجراء تعديلات في دساتيرها لصون الحريات وعدم تكبييل جميع الأوعية الناقلة للمعلومات، كما حدث في الولايات المتحدة الأمريكية عام 1791م عندما تم تعديل الدستور لصالح استقلال الإعلام عن الدولة حيث جاء فيه : إن الكونجرس الأمريكي لا ولن يصدر أية قانون يحد من حرية الرأي أو حرية الصحافة (ليلي عبد المجيد 2010م، ص 20).

إنَّ حرية الرأي والتعبير، يشكّلان العمود الفقري لحرية الإعلام، وبدونه يصبح الإعلام بجميع وسائله فارغاً من مضامينه الأساسية، خاصة في ظل التطور التكنولوجي الهائل في عالم الاتصالات والمعلومات والذي جعل دور الإعلام يتعاظم ويتغلغل في حياة الأفراد ويُغيّر في اتجاهاتهم وأساليبهم ومعتقداتهم . ولعلنا لا نجا في الحقيقة عندما نقول إن الإنترنت وشبكات التواصل الاجتماعي المختلفة تفوقت بشكل كبير في تأثيرها على حياة الناس اليومية ، خاصة بعد ثورات الربيع العربي وتزايد الرقابة على وسائل الاتصال الجماهيري في كثير من الدول العربية (مرتضى الغالي : مقابلة سابقة معه). وعبر الفيلسوف البريطاني جون ستيوارت ميل (John Stuart Mill) (1806-1873م) عن مثل ذلك التناقض بقوله: " إذا كان كل البشر يمتلكون رأياً واحداً وكان هناك شخص واحد فقط يملك رأياً مُخالفًا فإنَّ إسكات هذا الشخص الوحيد لا يختلف عن قيام هذا الشخص الوحيد بإسكات كل بني البشر إذا توفرت له القوة " (ليلي عبد المجيد 2001م، ص 23).

#### سادساً: المنظور الإسلامي لحرية التعبير:

رغم الأصوات التي كانت ولا زالت تؤكد على أن الدين الإسلامي الحنيف هو أول من أعطى الإنسان حقوقه ودافع عنها، إلا أن العالمين الإسلامي والعربي على وجه الخصوص، تعتبران أكثر دول العالم بُعداً عن إتاحة الحريات ، حيث تكبل القوانين والأعراف حرية المواطنين بأشكال وأنماط تتنوع من دولة لأخرى حسب السطوة الدينية والعرفية والسياسية فيها، لذلك لجأ الكثير من المثقفين العرب إلى البلدان الغربية بحثاً عن الحرية المنشودة (www.madcenter.org).

رغم التضحيات التي قدمها دعاة حرية التعبير في الدول العربية إلا أن الوعي الشعبي مازال متدنياً في مسألة حرية الرأي، مقارنة بالدول الغربية والتي تطالب بحذف كافة البنود المقيدة لحرية الرأي والتعبير في دساتيرها وقوانينها، حيث أصبحت بحسب رأيهم تشكل قيداً يعيق قدرتهم على طرح أفكارهم والتعبير عنها (نادية إبراهيم 2010م، ص 11).

### سابعاً: مقاييس حرية التعبير في المجتمعات العربية والغربية:

إنَّ سنوات القمع والمنع من ممارسة حرية الرأي والتعبير في الدول العربية خلقت نوعاً من الحواجز النفسية والقانونية لكثير من الشعوب العربية، حيث لازال الخوف يحد من قدرة المواطن العربي من التعبير عن رأيه ومعتقداته بحرية مطلقة، وهذا ما جعل الأنظمة السياسية الغربية والعربية تستغل هذا الضعف وتسخره لمصلحتها، فأصبحت المعايير الغربية لحرية الرأي والتعبير والعقيدة مزدوجة، وعلى سبيل المثال لا الحصر: أزمة الرسوم الكاريكاتورية المسيئة للرسول صلى الله عليه وسلم، واعتبرها الحكومة الدنماركية وبعض الدول الغربية جزءاً من حرية التعبير ورفضت سحب الرسوم أو معاقبة الصحيفة، بينما نظر إليها العالم الإسلامي من زاوية أنها إساءة للدين الإسلامي والشعوب الإسلامية قاطبة ([www.sudaneseon.com](http://www.sudaneseon.com) line.com).

تتخذ الازدواجية في فهم وتفسير حرية التعبير بين الدول الغربية والإسلامية منحى أكثر عدوانية، حيث تجرّم الدول الأوروبية المسيئين إلى الرموز الدينية، وتعتبر الإساءة للدين عملاً مخالفاً للقوانين، لكن يبدو أن هذه القوانين عند تطبيقها تميز بين الشعوب حسب دينها و جنسها، ففي فرنسا مثلاً (منع قاض في 10 مارس 2005م لوحة دعائية مأخوذة من فكرة لوحة رسمها ليوناردو دا فنشي تبين العشاء الأخير للمسيح، لأنها مسيئة للكنيسة الكاثوليكية على الرغم من تمسك المحامي بأن منع نشر الإعلانات تعد نوعاً من الرقابة و قمع لحرية التعبير، إلا أن القاضي أقر بأن الإعلان كان تدخلاً مشيناً وعدوانياً في معتقدات الناس الخاصة، وحكم بأن محتوى الإساءة إلى الكاثوليك أكثر أهمية من الهدف التجاري المقدم . ([www.madcenter.org](http://www.madcenter.org)). ولم تعتبر فرنسا " نشر الصور الكاريكاتورية المسيئة للرسول الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم " مهيئة للمسلمين ومسيئة لدينهم الحنيف، رغم احتجاجاتهم عليها والمطالبة بمنعها في أغلب بقاع العالم. وإلثبات الكيل

بمعيارين قامت الدول الأوروبية بحماية مؤلف الرسوم الكاريكاتورية وعدم تقديمه للعدالة، بل اعتبرت مطالبة الدول الإسلامية بسحب كتاب آيات شيطانية المسيء للإسلام من الأسواق ومحاكمة مؤلفه مُناهضة ومُعادية لحرية الرأي والتعبير (www.madcenter.org).

رغم المفارقات والمآخذ على حرية الرأي والتعبير في البلدان الغربية إلا أن الدول الأوروبية تحترم حرية الرأي والتعبير لحد كبير ومتقدمة على أغلب دول العالم بما فيها الولايات المتحدة الأمريكية التي تدعى بأنها بلد الحريات (على محمد شمو : مقابلة معه).

أما الدول العربية فعلى الرغم من وجود الكثير من النصوص القانونية في دساتيرها تتحدث عن حرية الرأي والتعبير، إلا أنها لم تخرج عن إطارها النظري لتدخل حيز التطبيق الفعلي على أرض الواقع، ويلاحظ ذلك في كثير من مظاهر الاحتجاجات بالدول العربية كالسودان، اليمن، سوريا، مصر، البحرين، والأردن وغيرها من البلدان التي تشهد حراكاً وسعيًا دؤباً نحو تحقيق التحول الديمقراطي. (محي الدين تيتاوي : مقابلة معه).

تبلغ درجة الانتهاكات على حرية التعبير أوجها في الدول العربية في حالات منع التظاهر السلمي، ومراقبة مضمون وسائل الإعلام، ومصادرة الصحف وإغلاقها، بالإضافة إلى ملاحقة الصحفيين قضائياً بدعاوى التجسس والإضرار بالأمن القومي، وتكميم أفواه الصحفيين وكتاب الأعمدة، ناهيك عن حظر أي رأي أو نقد لا يعجب السلطة السياسية (عيسى جديد، ابتهاج العريضي : مقابلة معهما).

ثامناً: حرية التعبير وفقاً لقانون الصحافة والمطبوعات الصحفية بالسودان لسنة 2009م :

عند النظر إلى موضوع حرية التعبير في قانون الصحافة والمطبوعات الصحفية

لسنة 2009م، نجد أن الفصل الخامس قد حوى الفقرة (25) والتي مفادها أن:

1/ يتمتع الصحفي بالحقوق والحصانات الآتية:

(أ) عدم تعريضه لأي فعل بغرض التأثير على أدائه أو نزاهته أو التزامه بواجباته المهنية.

(ب) حماية مصادر معلوماته الصحفية.

(ج) فيما عدا حالات التلبس لا يجوز القبض على الصحفي بشأن أي تهمة تتصل بممارسة مهنته الصحفية إلا بعد إخطار الإتحاد العام للصحافيين السودانيين.

2/ يحق للصحفي الحصول على المعلومات من المصادر الرسمية وفقاً للقانون (قانون الصحافة لسنة 2009م ، ص 17).

**تاسعاً: حدود حرية التعبير لدى الصحفي:**

بيّن قانون الصحافة السودانية بشكل واضح ما يجب أن يلتزم به الصحفي (واجبات الصحفي) والتي تتمثل في: الصدق والنزاهة المهنية، عدم نشر المعلومات المتعلقة بالأمن القومي والقوات المسلحة والشرطة إلا من الجهات المخول لها بذلك (الناطق الرسمي باسم تلك الوحدات) ، عدم نقل وقائع جلسات المحاكم والتحريات والتحقيقات بغرض الإضرار بسير العدالة، عدم الإثارة في نشر أخبار الجريمة أو الفتن الدينية والعرقية والجهوية، عدم نشر ما يتعارض مع كبريم المعتقدات والأديان ، واحترام الآداب العامة والأخلاق والخصوصية (قانون الصحافة لسنة 2009م ، ص 17).

يرى عبد الوهاب موسى- الصحفي بصحيفة الوطن- أن الأنظمة العربية لديها الكثير من المحظورات والخطوط الحمراء تشكل في حد ذاته انتهاكاً لحرية التعبير والنشر، ففي السودان على سبيل المثال هنالك بعض المواضيع الحيوية التي تؤثر على راهن ومستقبل البلاد يُعد تناولها في أجهزة الإعلام من المحظورات حيث يحظر

على الصحف نشر الأرقام الحقيقية عن الإصابة بمرض الايدز، الفساد، الأوضاع في دارفور والنيل الأزرق وجنوب كردفان .

بالرجوع إلى المواثيق الدولية المتعلقة بحرية التعبير نجد فيها الكثير من النصوص ما يلزم الأنظمة السياسية في كافة دول العالم على الإلتزام بإتاحة حرية الرأي والتعبير إلا أن الحكومات في كثير من الأحيان توازن بين مسؤولياته تجاه المجتمع الدولي من جهة، وتجاه نفسها من جهة أخرى (عادل محجوب ، سلمى عبد الله، مقابلة معهما).

### وضع الحريات في السودان :

ترى أمل خليفة هباني الكاتبة الصحفية بصحيفة الخرطوم في مقابلة مع الباحث أن على الرغم من مرور أكثر من 43 عام على إصدار أول قانون للصحافة فيه 1930م ، يمكن القول بأن تجربة السودان في مجال الحريات الصحفية أثبتت في بعض جوانبها اشراقات، لكن ذلك لا يمنع من القول بأن هناك حزمة من المتاريس المنصوبة أمامها نتيجة لتراجع السلطة السياسية عن الكثير من وعودها في توفير الحريات الصحفية ، وبذلك استطاعت أن تصل بالشعب إلى مرحلة إنعدام الثقة في الإعلام السوداني بصورة عامة، خاصة بعد إصدار مجموعة من القوانين التي تقيد الصحافة كقانون الأمن والمخابرات الوطني الذي يبرر إيقاف الصحف، بل مصادرة بعضها تماماً كما حدث مع صحيفتي رأي الشعب" و " التيار"، هذا بالإضافة إلى صحف أخرى لم يسمح لها بمعاودة الصدور إلا بعد التوسط لإرجاعها كصحيفتي ألوان والانتباهة (عيسى جديد ، ابتهاج الزين :مقابلة معهما).

ترجع الحكومة السودانية سبب إيقاف الصحف لكونها تنشر موضوعات تعمل على الإضرار بالأمن القومي، في حين يرى المعارضون لها بأن تلك الممارسات القصد منها كبح جماح الآراء والأقلام عن الكتابة الصحفية والتقليل من حدة نقدها (مرتضى الغالي ، مقابلة أجرتها معه قناة الشروق).

لا ينبغي النظر إلى كل المحظورات على أنها تمثل قيوداً على حرية الصحافة ، لأن بعضها ضرورات لا مناص منها تمس الوطن والمجتمع . ولكن التوسع في تطبيق مجال كل ضرورة من هذه الخطوط الحمراء هو الذي يمكن اعتباره قيداً على حرية الصحافة والتعبير (راسم الجمال 2006م، ص 89).

نود أن نشير هنا إلى أن الحكومة السودانية تتعامل مع هذه الضرورات أو المحظورات بصورة إنتقائية في بعض الأوقات ، فبينما نجدها تتشدد في التمسك بهذه المحظورات في بعض الأوقات، وتغض الطرف عنها في وقتٍ آخر (الباقر عبد الله : مقابلة معه).

بتتبع مسلسل إنتهاك الحريات الصحفية في السودان منذ عام 2012م وحتى وقتنا الحالي نجدها تتمثل في ظاهرة حرمان الصحفيين من الكتابة أمثال الدكتور الطيب زين العابدين، د. زهير السراج، حيدر المكاشفي (ياسر الكردي ، مقابلة معه). أما في أبريل من 2013م، فقد إعتقل مدير مكتب قناة الجزيرة (المسلمي الكباشي) عدة ساعات وأشترط عليه الحصول على الإذن المسبق قبل السفر إلى أي جهة داخل السودان، ومنع النور أحمد النور من تولي رئاسة تحرير صحيفة (الصحافة) [www.aljazeera.net](http://www.aljazeera.net).

### الخاتمة :

يختلف تفسير موضوع حرية التعبير من الناحية النظرية والتطبيقية ، اختلافاً كبيراً من دولة إلى أخرى، إذ تعتبر بعض الأنظمة السياسية الديمقراطية أن حرية الصحافة والإعلام هي حجر الزاوية في الممارسة الديمقراطية وتحميها بالقانون ، وتقوم السلطة الرابعة (الصحافة) بدورها على الوجه الأكمل في مراقبة السلطة التنفيذية وتكوين الرأي العام.

أما في الأنظمة الشمولية فيتم تقييد حرية الرأي والتعبير وتطالب الحكومات الصحافة بضرورة الإلتزام بالقوانين والمسؤولية، كما تعتقد أن لا حرية لأعداء



الحكومة، حيث تمارس الرقابة القبلية والبعديّة على الصحف المستقلة والحزبية، ومصادرة وإغلاق المؤسسات الصحفية والمنع من الكتابة وهو ما يتجسد بصورة واضحة في واقع صناعة الصحافة السودانية اليوم.

ظلت قضية حرية الرأي والتعبير تضع الدولة أمام إمتحان عسير لدى الهيئات والمنظمات الدولية، خاصة أن كثيراً ممن سلبت حريتهم لجئوا لشبكات التواصل الاجتماعي التفاعلي كالفايس بوك، وتويتر ويوتيوب حيث لا رقيب على فضاء الانترنت وتقنيات التواصل المفتوحة.

### النتائج:

توصلت الدراسة إلى النتائج التالية :

1. هنالك فارق كبير بين حرية التعبير من الناحيتين النظرية والواقعية، فكل الأنظمة السياسية الديمقراطية والشمولية تعترف بالحق في حرية التعبير لكنها في نفس الوقت تضع لها ضوابط وفقاً لطبيعة وظروف كل دولة.
2. هبوط مؤشر الحريات الصحفية في السودان بشكل عام في الآونة الأخيرة.
3. زادت الرقابة القبلية ومصادرة الصحف من مخاوف المستثمرين الذين يودون ولوج ميدان صناعة الصحافة.
4. معظم حالات إيقاف الصحافة السودانية تقوم بها السلطات الأمنية بدعاوى الإخلال بالأمن القومي، دون أن يكون للمجلس القومي للصحافة والمطبوعات الصحفية أدنى علم بذلك.
5. عزوف المستثمرين السودانيين من الاستثمار في مجال الصحافة باعتباره غير مضمون النتائج.

**التوصيات :**

- لكل ما سبق ذكره، يوصي الباحث بالآتي:
- ضرورة قيام الدولة بتوفير حرية التعبير لتتماشى مع اتجاهاتها نحو التعددية، ومشاركة كافة مكونات المجتمع في معالجة القضايا الجوهرية.
  - أن يتحمل المجلس القومي للصحافة والمطبوعات الصحفية، ونقابة الصحفيين؛ مسؤولية صيانة حرية الصحافة وخلق بيئة مهنية قادرة على الإسهام في تطوير صناعة الصحافة.
  - رفع كافة صور وأشكال الرقابة الصحفية بالسودان.
  - عدم تقييد حركة الصحفيين أثناء التغطية الإخبارية.
  - إجراء المزيد من الدراسات والبحوث لمعرفة العوامل الأخرى، غير الحريات والتي أسهمت في رسم صورة قاتمة للتجربة الصحفية بالسودان.

**المراجع:****أولاً:- المراجع العربية:**

- 1 - راسم الجمال 2006م ، الاتصال والإعلام في العالم العربي في عصر العولمة، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة .
- 2 - ليلي عبد المجيد 2001م ، تشريعات الإعلام ، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة.
- 3 - فتح الرحمن محجوب 2003م ، مأزق السلطة الرابعة حول أوضاع وقوانين الصحافة السودانية، دار عزة للنشر والتوزيع، الخرطوم.
- 4 - قانون الصحافة والمطبوعات الصحفية لسنة 2009م.
- 5- نادية إبراهيم أحمد 2010م، الصحافة وحرية التعبير، مجلة بحوث الصحافة، العدد الثاني، الخرطوم.

**ثانياً:- المقابلات الشخصية:**

1. أمل خليفة هباني : كاتبة صحفية بصحيفة الخرطوم مقابلة معها في يوم الأحد الموافق 2012/8/12م الساعة، 2 ظهراً.

2. أنور شمبال : رئيس القسم الاقتصادي بصحيفة السوداني سابقاً ، مقابلة معه في يوم الأربعاء الموافق 2012 /9/12م، الساعة 11 ص.
3. الباقر أحمد عبد الله: ممثل الناشرين بمجلس الصحافة والمطبوعات الصحفية، مقابلة أجرتها قناة الشروق الفضائية في برنامج (حوار على النار) بتاريخ 2008/6/2م، الساعة 9م.
4. بشائر تاج السر : صحفية سابقة بصحيفة آخر لحظة وأستاذة الإعلام بجامعة البحر الأحمر، مقابلة معها في إدارة التحرير بآخر لحظة في يوم السبت الموافق 2012 /9 /13م، الساعة 3م.
5. عادل محجوب وسلمى قسم الله : إدارة الرصد بالمجلس القومي للصحافة والمطبوعات ، مقابلة معهما بمجلس الصحافة والمطبوعات في يوم الاثنين الموافق 10 مارس 2013م، الساعة 10ص.
6. عبد الوهاب موسى : رئيس قسم الأخبار بصحيفة الوطن سابقاً ، مقابلة معه في يوم السبت الموافق 2012 /9 /13م، الساعة 2 بعد الظهر.
7. على محمد شمو وفيصل محمد صالح ومرتضى الغالي : مقابلة أجرتها معهم قناة الجزيرة الفضائية، في برنامج (عين على السودان)، بتاريخ 2008/6/12م، الساعة 4 مساءً.
8. على محمد شمو: رئيس المجلس القومي للصحافة مقابلة أجرتها معه قناة الشروق الفضائية، بتاريخ 2012/6/6م.
9. عيسى جديد وابتهاج العريفي: صحفيان بصحيفة آخر لحظة، مقابلة معهما في إدارة تحرير الأخبار يوم السبت 2012/9/13م، الساعة 2 بعد الظهر.
10. مبارك الطيب الزين : قسم الرصد بالمجلس القومي للصحافة والمطبوعات الصحفية مقابلة معه في إدارة الرصد بالمجلس في يوم الأحد الموافق 2012/9/14م.

11. محي الدين تيتاوي: نقيب الصحفيين السودانيين السابق، مقابلة أجرتها معه قناة الشروق الفضائية، برنامج (قضية المساء) ، بتاريخ 2012/1/13م.
12. ياسر الكردي: رئيس قسم التحقيقات بصحيفة السوداني ، مقابلة معه بالصحيفة في يوم الاثنين الموافق 14 / 9 / 2012م.  
ثالثاً:- مواقع الشبكة العنكبوتية (الإنترنت):

- 1- [www.aljazeera.net](http://www.aljazeera.net).
- 2- [www.Madcenter.org](http://www.Madcenter.org).
- 3- [www.Sudaneseonline.com](http://www.Sudaneseonline.com).

## المكانز كأدوات ضبط واسترجاع للمعلومات

(مكنز قاعدة بيانات شبكة المعلومات العربية التربوية وقاعدة بيانات

المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم الآيين نموذجاً)

د. معاوية مصطفى محمد عمر

أ. مساعد - قسم المكتبات والمعلومات - كلية الآداب - جامعة الخرطوم

**توطئة:**

نتيجة للتطور العلمي والتكنولوجي وإزدياد حجم المعلومات وتدققها وإنفجارها أصبحت الوسائل المكتبية التقليدية لخرن واسترجاع المعلومات عاجزة عن تنظيم أوعية المعلومات وتحليلها، ومن هنا ظهرت الحاجة إلى نظم جديدة أكثر كفاءة وفاعلية، وبدأ التفكير في نظم جديدة للاسترجاع والحفظ تقوم على التحليل الموضوعي الدقيق للوثائق وأوعية المعلومات بمختلف أنواعها وأشكالها فإعتمد على أدوات فنية دقيقة تسمى بالمكانز لضبط المصطلحات وبيان العلاقات المختلفة فيما بينها وللاستخدامها في تكشيف ما تحمله الأوعية من معلومات واسترجاعها. ولمصطلح مكنز مترادفات كثيرة في اللغة العربية مثل: دليل مصطلحات، قائمة مصطلحات، معجم مصطلحات... الخ، لكن مصطلح مكنز وهو المحبب والمعتمدة في أوساط المكتبيين والأكثر استخداماً ونعته الأنسب والأفضل من غيره في التعبير والدلالة على هذه الاداة الفنية التي تعتبر أساس نظام التكشيف وخرن المعلومات واسترجاع. وليؤدي المكنز الوظائف المنوطة به لأبد من أن يشتمل على مجموعة من المصطلحات المقننة الصالحة للاستخدام في نظام استرجاع المعلومات، وان يعرض العلاقات المختلفة بين هذه المصطلحات وهذا مانسميه ببناء المكانز وعملية البناء تتطلب إتخاذ قرارات معينة من الضرورة تسجيلها حتى يكون البناء ثابتاً ومعقولاً، إضافة إلا أن المستفيدين من المكنز يحتاجون إلى معرفة القواعد التي تم الإعتماد عليها وذلك من أجل الاستخدام الفعال ومن المهم في اللغة المضبوطة أن تقنن المصطلحات لإتاحة التوافق بين لغة التكشيف ولغة البحث. ومايميز المكانز عن غيرها من أدوات الضبط عرضها

للعلاقات المتبادلة بين المصطلحات عن طريق الإحالات لأنها تساعد في إختيار الواصفات و تعرف بها وبمكانها الدلالي الصحيح. وبعد الإتفاق على القواعد يجب الشروع في بناء مع مراعاة الشروط العلمية والعمل على تحديثه وصيانتته بصفة مستمرة.  
**مفهوم المكنز:**

1. قائمة استنادية بالواصفات أو مصطلحات التكتشف في نظام المعلومات لتعيين وتحديد المفاهيم التي تحتويها المطبوعات المختلفة مع التعبير عما بين هذه المصطلحات من علاقات.
  2. أداة يعتمد عليها المكشف في الحصول على المصطلحات أو الواصفات المناسبة لوصف محتوى أوعية المعلومات.
  3. أيضاً أداة يعتمد عليها الباحث والمستفيد من النظام في الحصول على المصطلحات أو الواصفات المناسبة التي يستخدمها في وصف حاجاته وهي تلك التي تتفق مع واصفات النظام (التكروري 2005م، ص 61).
- هنالك مجموعة من التعاريف للمكنز لكن أشهرها وأشملها وأكثرها دقة تعريف المنظمة الدولية للمقاييس (أيزو) (International Standarization Organization) (ISO) فقد عرفته وفقاً للآتي:

1. من حيث الوظيفة: هو وسيلة ضبط للمصطلحات وتستخدم للترجمة من اللغة الطبيعية للوثائق أو المكشفين أو المستفيدين إلى (لغة نظام) أكثر تقييداً (لغة توثيق، لغة معلومات).
  2. من حيث البناء: هو لغة مضبوطة وديناميكية تتكون من المصطلحات المتصلة ببعضها البعض دلاليًا وهرميًا والتي تغطي أحد حقول المعرفة.
- إذاً المكنز عبارة عن قائمة بالواصفات وعلاقاتها الترادفية والهرمية والاتصالية، ويكون ترتيب وعرض الواصفات وعلاقاتها بما يخدم بكفاءة وفاعلية نظام تكتشف الوثائق واسترجاعها. وأن يكون قادراً على أن يعكس محتوى الوثائق التي يطبق

عليها، كما ينبغي أن يحتوي على المصطلحات والإحالات الملائمة للمادة الموضوعية مع الأخذ بعين الإعتبار مجموعة الوثائق ولغة المستفيدين وإحتياجاتهم من المعلومات. ما يميز المكانز عن أدوات الضبط الأخرى:

لا بد من التمييز بين المكانز وأدوات الضبط الأخرى وخصوصاً قوائم رؤوس الموضوعات لتشابهها فتجد أهمية المكانز تتمثل في:

1. تمثيل ماتحتويه أوعية المعرفة بطريقة ثابتة وموحدة.
2. موافقة المصطلحات التي يختارها الباحث مع مصطلحات المكشف.
3. رسم وتعديل استراتيجية البحث عن موضوع معين وذلك لتحقيق أعلى نسبة استرجاع ممكنة.
4. تسهيل عملية البحث العام أو العريض لحصره معاً المصطلحات المتصلة ببعضها البعض عن طريق العلاقات.

ما يميزها على المعاجم وقوائم رؤوس الموضوعات وأنظمة التصنيف الموضوعية:

1. المعجم أو القاموس عبارة عن قائمة هجائية بكلمات أو مصطلحات معينة بحيث يعطي أو يبين تعريفات محددة لها مثل معجم لسان العرب أو القاموس المحيط، لكن المكانز عبارة عن قائمة استنادية بالواصفات أو المصطلحات المتفق عليها لوصف المحتوى الموضوعي للوثائق الخاصة بموضوع معين، مع بيان العلاقات المختلفة لهذه الواصفات أو المصطلحات مثل:

أ. المصطلحات العكسية أو المضادة Antonyms مثل: الحرارة والبرودة.

أ. المصطلحات المترادفة والمطابقة في المعنى تماماً Synonyms مثل

سيكولوجيا: علم النفس.

أ. المصطلحات ذات العلاقة والمصطلحات الأضيق والأعم من حيث المعنى

مثلاً (السكر) فإن المصطلح الأعم من حيث المعنى هو

الكاربوهيدرات. أما المصطلح الأضيق من حيث المعنى فهو السكر

الآحادي..وهكذا.

2. تمتاز المكانز ببيان العلاقات الهرمية Relations Hierarchical بين المصطلحات، ومدى إظهار هذه العلاقات يعتمد على مدى إحتياجات النظام والمستفيدين.

3. يختلف المكنز عن قائمة رؤوس الموضوعات في أسلوب التطبيق، فبينما نجد أن رأس الموضوع يستطيع أن يقف بمفرده مستقلاً في الفهرس الموضوعي الهجائي للمكتبة، نجد أن الواصفة أو المصطلح لا تستخدم إلا بالربط مع غيرها من الواصفات أو المصطلحات ذات العلاقة بالموضوع وخاصة للدلالة على موضوع متخصص ودقيق.

4. تستخدم المكانز الواصفات أو المصطلحات المباشرة بينما نستخدم في قوائم رؤوس الموضوعات القلب، وذلك لتجميع الموضوعات المترابطة مع بعضها.

5. تستخدم المكانز عادة في نظم التكشيف والإسترجاع الآلية بينما تستخدم رؤوس الموضوعات في الفهرسة الموضوعية التي تعتمد على الجهد اليدوي.

6. لا تستخدم المكانز المصطلحات أو الواصفات المفرعة وإنما تستخدم الواصفة أو المصطلح المفرد كمدخل مستقل، بينما نجد في قوائم رؤوس الموضوعات التفريعات الشكلية مثال لذلك:

أ. الكهرباء - دوريات.

أ.أ. الكهرباء - معاجم.

أ.أ.أ. الكهرباء - فلسفة ونظريات... الخ.

7. نظام الإحالات في المكانز يختلف عن قوائم رؤوس الموضوعات، لأن الإحالات في المكانز أكثر تفصيلاً ودقة وأحكاماً.

8. تمتاز المكانز بالقوائم الملحقة التي تأتي بعد الجسم الرئيسي للمكنز (المرتب ترتيباً هجائياً أو مصنفاً) وهذا لا نجده في قوائم رؤوس الموضوعات (مجموعة من الباحثين 1985م، ص ص 236 - 240).



## أنواع المكانز:

## أولاً: من حيث التغطية

1. مكانز واسعة التغطية الموضوعية مثل مكانز (Thesaurus of Engineering & Scientific Terms) (TEST) الذي يغطي المصطلحات في مجال العلوم والتكنولوجيا.

2. مكانز متخصصة من حيث تغطيتها مثل مكانز التربية المعروف بإسم (ERIC Thesaurus).

## ثانياً: من حيث اللغة

1. مكانز أحادية اللغة (Monolingual) حيث تشتمل على المصطلحات والواصفات بلغة واحدة فقط مثل مكانز التربية (ERIC Thesaurus).

2. مكانز متعددة اللغات (Multilingual) حيث يستخدم للبحث والتكشيف في عدة لغات مثل مكانز (ISO Thesaurus) باللغات الإنجليزية والفرنسية والروسية.

## ثالثاً: من حيث الترتيب ويمكن أن يكون في أحد الأشكال التالية

1. المكانز الهجائي (Alphabetical Thesaurus) وهو الذي يرتب فيه القسم الرئيسي ترتيباً هجائياً مع عدة ملاحق، وفي الغالب تستخدم ترتيبات أخرى كالترتيب المصنف مثل مكانز التربية.

2. المكانز المصنف (Classified Thesaurus) هو الذي يرتب أساساً ترتيباً مصنفاً مع ملحقات أو أكثر بترتيبات أخرى للمصطلحات مثل الترتيب الهجائي مثل مكانز جمعية المهندسين الأمريكية.

3. المكانز الوجهي (facet Thesaurus) وهو الذي يشتمل على تصنيف وجهي كامل ومكانز هجائي كامل مثل مكانز شركة الكهرباء الإنجليزية (شريف 2009م، ص ص 113 – 115).

## أنواع المداخل بالمكانز:

تشتمل المكانز على نوعين رئيسيين من المداخل هما:

## 1. الوصفات (Descriptors) :

هو مصطلح مقنن يستخدم للتعبير عن المادة الموضوعية في الوثائق واستفسارات الباحثين، بالتالي فهو يستخدم من جانب كل من المكشف والباحث، وتقسم الوصفات إلى واصفات شكلية وهي التي تشير إلى خصائص شكلية للوثائق مثل الشكل الببليوجرافي، مستوى المعالجة...الخ. ووصفات المحتوى وهي التي تشخص الناحية الموضوعية في الوثائق. وعند صياغة الوصفات لا بد من مراعاة الوضوح والإختصار دون الإخلال وأن يكون المصطلح في شكل إسم مع تحاشي صيغة الفعل ويفضل استخدام المصدر بدلاً من الفعل ويستحسن كتابة الجملة الإسمية دون حروف جر مع استثناءات للحالات التي يكون فيها الشكل بالربط هو الأكثر إلفة مثل: التعليم بالمراسلة والتقليل من استخدام الصفات العامة ما أمكن، وعادة ماتكون هذه الصفات مفردة تستخدم للربط مع الجمل الأسمية لإنتاج مفاهيم مركبة، ومن أمثلة هذه الصفات: يدوي/ إقليمي/ سنوي/ شهري...الخ. لكن يفضل استخدام الربط المسبق للصفات مع الأسماء لتحاشي عدم التوحيد، وكقاعدة عامة نستخدم المفرد، أما الجمع فهو استثناء وفي حالات معينة فقط.

يجب استخدام أكثر أشكال الهجاء للكلمة قبولاً وإتفاقاً ويمكن الاستناد إلى القواميس القياسية في هذا الصدد مع إعداد الإحالات اللازمة من الأشكال البديلة. وكقاعدة عامة ينبغي تحاشي المختصرات مع إمكانية استخدامها إذا كانت شائعة ومألوفة بعد الإتفاق حول ترتيبها وفقاً للإختصار أو الشكل الكامل مع استخدام الإحالات اللازمة. كما يجب الإقلال من استخدام علامات الترقيم في الوصفات، ويمكن استخدام الهلاتين للكلمة أو الكلمات التي توضع بعد المصطلح لتوضيحه مثل: الأرض (كوكب)، واستخدام التجهيز الإلكتروني للبيانات يحتم وضع حد أقصى لعدد الحروف التي يتكون منها الوصف، لكن بشكل عام إتفقت معظم

القواعد على أن يكون الواصف ما بين 30 - 36 تمثيلة بما في ذلك المسافات بين الكلمات.

هنالك واصفات تحتاج إلى إيضاح وتفسير مثل المصطلحات التي لها أكثر من معنى واحد مقبول، والتي تستخدم في معنى خاص، لكن يمكن توضيحها عن طريق الإحالات التي ترتبط بالمصطلح مثل الإشارة إلى المصطلح الأعرض والأضيق والمتصل فهي تقدم نوعاً من تحديد المصطلح وبيان نطاقه أو استخدام المقيدات مثل الأنايب نقيدها ب الأنايب المعدنية، والتعبيرات بين أقواس مثل الصوت (فيزياء) و الصوت (موسيقى). لكن أشهر وأنفع تعريف للواصف يكون عن طريق التبصرات وهي تفسيرات أو شروح قصيرة تعطى عند الحاجة لتفادي الغموض ولتأكيد الاستخدام الصحيح للواصف داخل المكنز، وتصحب الواصف في القسم الرئيسي ولكنها لا تشكل جزءاً من الواصف، ويجب أن تكون موجزة ويفضل أن توضع في سطر أو سطور مستقلة تلي الواصف مثال: الإحصاء التربوي (يستخدم للأعمال التي تتناول الطرق الإحصائية في مجال التربية) وتستخدم لتقييد أو تحديد استخدام الواصف وتفسير المختصرات والتسميات الاستهلاكية وإستبعاد معاني أخرى محتملة للمصطلح (عبد الهادي 1989م، ص ص 39 - 46).

## 2. اللاواصفات (Non-descriptors):

هي المصطلحات غير المسموح باستخدامها في التكشيف للإشارة إلى المفاهيم، وتشمل المرادفات والأشكال الأخرى من المصطلح المفضل أو المجاز، ومثل هذه المصطلحات يحال منها إلى المصطلحات المجازة أو الواصفات. لذلك نجد أن معظم المكانز تميز بين الواصفات واللاواصفات في المكنز.

### العلاقات في المكانز:

#### 1. علاقة التساوي أو التكافؤ (Equivalence relation):

هي المفاهيم التي يمكن التعبير عنها بأكثر من تسمية واحدة، ويمكن النظر إلى هذه التسميات المتعددة على إنها متساوية أو متساوية تقريباً في الدلالة على تلك

المفاهيم، وأنه يمكن استخدام تسمية واحدة فقط من بين التسميات المتعددة وهي التسمية المفضلة لاسترجاع الوثائق المتعلقة بالمفهوم مثلاً إذا كان لدينا مجموعة من الوثائق عن التليفون فنجد أن هنالك مجموعة من المصطلحات يمكن استخدامها للدلالة على هذا الموضوع مثل التليفون، التلفون، الهاتف، المسرة... الخ. ومن الممكن استرجاع هذه الوثائق بمصطلح واحد فقط من بين هذه المصطلحات، وهو المصطلح المفضل في العادة ونفضل بين عدة مصطلحات وفقاً للشكل الأكثر فهماً من جانب المستفيدين من نظام المعلومات والمصطلح الجاري بدلاً عن الذي بطل استخدامه ولعلاقة التساوي مجموعة من الإحالات أشهرها:

أ. إحالة استخدام (اس) (Use) وتستخدم لتوجيه المستفيد إلى الواصفات

المناسبة في المكنز، وهي تقود من اللاواصفات إلى الواصفات.

أأ. إحالة مستخدم لـ (اس لـ) (Used For) هي الإحالة العكسية أو

المتبادلة لإحالة استخدام السابقة، وتصحب المصطلح المفضل الذي

تحيل إليه إحالة استخدام.

## 2. العلاقة الهرمية (Hierarchical relation):

هي العلاقة التي تعبر عن علاقات العلوية (الوضع في مرتبة أعلى) (Superordination) والتابعية (الوضع في مرتبة أدنى) (Subordination). ومن أنواعها علاقة الشمول (الجنس) وعلاقة الجزء / كل.

## 3. علاقة الترابط (الإقتران):

تستخدم لتغطية العلاقات الأخرى بين المفاهيم المتصلة ببعضها البعض إتصلاً وثيقاً غير علاقة الإتصال الهرمي أو التساوي، ويجب إنشائها فقط إذا كانت مطلوبة فعلاً في الاسترجاع، ويشار إليها إختصاراً بـ (م ت) وهذه الإحالة تذكر المستفيد عند فحصة للمصطلح (أ) بوجود المصطلح (ب) والذي قد يكون ملائماً أو أكثر ملائمة من (أ) في تشخيص مفهوم موجود في وثيقة أو في إستفسار لأحد الباحثين (لانكستر 1993م،

## مكونات المكانز:

1. المقدمة: يجب أن تكون وافية وتعطي معلومات عن نطاق المكنز مثل حدوده الموضوعية ولغاته وعدد واصفاته واللواصفات ونوعه وعلاقته بالمكانز الأخرى، والقواعد والإجراءات المتبعة في إنشائه وتعليمات استخدامه في التكتشف أو الاسترجاع وعن إجراءات تحديثه.
2. القسم الرئيس: يجب أن يشتمل على عرض منهجي (مصنف) وهجائي للمصطلحات، أو يمكن أن يكون مزيجاً من النوعين السابقين.
3. الأقسام الإضافية أو المكملة: تعمل على تحسين الوصول إلى القسم الرئيسي ومن هذه الأقسام: الكشافات الهجائية، الإدراجات المنهجية، عروض الرسومات (عبد الهادي 1420هـ، ص ص 58 – 59).

## طرق الترتيب الهجائي بالمكانز:

إذا كانت المداخل تتابع هجائياً سواء في القسم الرئيسي أو الكشاف الهجائي فإنه من الضروري تحديد نظام ترتيب الحروف والأرقام وعلامات الترقيم والرموز الخاصة وقد يكون الترتيب:

1. حرف بحرف، ويعتمد هذا النظام على القواعد التالية:
  - ✓ تجاهل كل المسافات بين الكلمات.
  - ✓ تجاهل كل التمثيلات الأخرى والأرقام والحروف.
  - ✓ الترتيب وفقاً للآتي: الأرقام في الترتيب العادي (صفر - 9)، الحروف في الترتيب المعتاد (أ - ي).
2. كلمة بكلمة، ويعتمد على القواعد التالية:
  - ✓ تعتبر كل كلمة مكتملة وحدة مستقلة وترتب الكلمة حرف بحرف.
  - ✓ المصطلحات البادئة بكلمة معينة تسبق أي مصطلح تبدأ بنفس تتابع الحروف كجزء من كلمة.

✓ تعامل التمثيلات غير الحروف والأرقام (علامات الترقيم والتمثيلات الخاصة) كمسافات.

### 3. الفرز الآلي وقواعده:

✓ تؤخذ في الاعتبار كل التمثيلات ( حروف، أرقام، علامات ترقيم...الخ) في تقرير التتابع.

✓ ينبغي تثبيت عدد المسافات في المصطلح.

✓ يتبع نظام التتابع العددي وليس القيمة العددية.

يجب أن تحدد قواعد الترتيب بوضوح ودقة قبل البدء في عملية الترتيب (قدورة 1993م، ص ص 108 – 110).

### كيف تبني المكانز؟

المرحلة الأولى: إعتبرات أولية:

قبل بناءه يجب النظر في عدة أمور وإتخاذ قرارات بعضها يتعلق بالغرض منه ، والبعض الآخر يتعلق بخائص لغة الإسترجاع.

أولاً: ما يتعلق بالغرض يجب أن نأخذ في الإعتبار ما يلي:

1. المجال الموضوعي: أي وضع حدود المجال وأوجه المعالجة.
2. نوع الإنتاج الفكري: كتب، دوريات، بحوث مؤتمرات لأن كل نوع يحتاج إلى درجة معينة من التكشيف.
3. حجم الإنتاج الفكري ومعدل النمو: لأن درجة التعقد والتخصيص للمصطلحات يرتبط بعدد الوثائق التي يغطيها النظام.
4. نوع نظام إختزان المعلومات: قد يؤثر على طبيعة المصطلحات، وقد يكون سابق أو لاحق الربط، قد يكون محوسباً أو يدوياً.
5. المستفيدون: المستخدمون لهم تأثير بدرجة التفصيل في المكنز فيجب معرفة أعدادهم وفتاتهم وهل سيستخدمون النظام بأنفسهم أو عن طريق أخصائي المعلومات.

6. الاستخدام: أي معرفة عدد ونوع الأسئلة فإذا كانت عريضة قلة الحاجة للتفصيل والعكس.

7. موارد نظام المعلومات: أي مدى توافر الموارد المالية، والعاملين المدربين، وكافة التجهيزات الأخرى.

ثانياً: مايتعلق بخصائص الاسترجاع نراعي الآتي:

1. طبيعة اللغة: هل هي حرة، مضبوطة، طبيعية.
2. تخصيص اللغة.
3. الشمول: لأن عدد المصطلحات المخصص للوثيقة الواحدة يؤثر على التخصيص والتكثيف والاسترجاع.
4. مستوى الربط المسبق.
5. بناء المكنز: إذا تم الإتفاق على النقاط السابقة تأتي مرحلة تقرير الطريقة التي تطبع بها اللغة أي القسم الأساسي والقوائم المكملة للمصطلحات مثل العرض البياني، وقد يحفظ المكنز في شكل إلى أو تقليدي.

المرحلة الثانية: جمع المصطلحات:

قبل الجمع يجب تقسيم المجال الموضوعي إلى مجموعات أو أوجه رئيسية ومن ثم تجميع المصطلحات في هذه المجموعات أو الأوجه وتوجد طريقتان للجمع هما:

1. الجمع من مصادر متعددة مثل: المعاجم، المتخصصين الموضوعيين... الخ. وتسمى هذه الطريقة باللجنة.

2. الجمع التجريبي أي تكثيف مجموعة مماثلة من الوثائق في المجال الموضوعي. وتسمى بالطريقة التحليلية أو التجريبية حيث تختار المصطلحات من الإنتاج الفكري نفسه وتفضل في المجالات الموضوعية المتخصصة.

لكن في الغالب تدمج الطريقتين معاً عند بناء المكنز لتعم الفائدة، وهناك مجموعة من المصادر التي يمكن الإعتماد عليها للحصول على المصطلحات أهمها:

1. المصادر التي ترتب فيها المصطلحات وفقاً لمبدأ معين مثل: قوائم المصطلحات، خطط التصنيف، الموسوعات وقواميس المصطلحات، الكشافات ونشرات المستخلصات، الكتب الدراسية والإرشادية، الفهارس أو أي مصادر أخرى مناسبة. وهذا النوع يتطلب جهد أقل في التجميع والمصطلحات غالباً ما تكون في شكل مقنن ولا نكتفي بها لإختيار الواصفات في المجالات سريعة النمو.

2. المصادر التي لم ترتب فيها المصطلحات أو التي ينبغي اشتقاق المصطلحات منها ومن أشهرها فحص الإنتاج الفكري أو التكشيف الفعلي للوثائق، فحص أسئلة المستفيدين، معرفة الجامع بالموضوع وتآلفة مع المصطلحات، معرفة المستفيدين وخبراتهم الشخصية. وهذا النوع يتطلب مجهود أكبر في التجميع لكن المصطلحات الناتجة تعكس الإستخدام الحقيقي الجاري في المجال.

يجب التنبيه إلى أن كل نوع من النوعين السابقين لا يكفي وحده ومن ثم فإنهما يكملان إحداهما الآخر في أغلب الأحوال.

#### المرحلة الثالثة: تسجيل المصطلحات:

يجب استخدام بطاقة أو نموذجاً خاص للتسجيل، وتشمل المعلومات المطلوبة لكل

مصطلح الآتي:

1. المصطلح نفسه.
2. المرادفات، والأشكال الأخرى أو البديلة للمصطلح.
3. المصطلحات المعرض.
4. المصطلحات الأضيق.
5. المصطلحات المتصلة غير الهرمية.
6. المصدر (إذا أخذ المصطلح من قاموس، مكنز... الخ).
7. البصريات التوضيحية أو التعريفات (عند الضرورة فقط).
8. رقم تصنيف المجموعة الموضوعية.



يفضل إعداد نسختين من النموذج عند التجميع اليدوي لوضع الأولى في قسم المجموعات الموضوعية والثانية توضع في قسم الترتيب الهجائي.  
المرحلة الرابعة: التحرير والمراجعة:

يتم في هذه المرحلة فحص كل الواصفات وعلاقتها ومراجعة أرقام أو رموز المصطلحات التي تربط بين القسم المصنف والهجائي والترتيب، وذلك تمهيداً لتقديم المكنز في شكله النهائي للنسخ أو الطبع أو الإدخال في الحاسوب، إضافة إلى المقدمة التي تشرح الملامح الأساسية للمكنز وكيفية استخدامه وتحديثه.  
المرحلة الخامسة: الإختبار:

لا بد من إجراء إختبار عملي للمكنز قبل أن يصبح جاهزاً للعمل، من ثم يستخدم لتكشيف عدد مختار من الوثائق، كما يجب إختباره أمام عينة من الإستفسارات وطلبات البحث التي تقدم للنظام.  
المرحلة السادسة: الإنتاج وإستخدام الحاسوب:  
تعتمد الطريقة المختارة لنشر المكنز على عدد من العوامل مثل:

1. هل تم جمعه بالحاسوب.
  2. حجم المطبوع.
  3. عدد النسخ المطلوبة.
  4. هل المكنز للاستخدام الداخلي المحدود أم للبيع للجمهور العام (جامعة الدول العربية 1986م، ص ص 20 - 50).
- أخيراً يمكن القول بأن المكنز الآلية هي الأفضل على الإطلاق وذلك للتقليل من العمليات الكتابية والروتينية، والأخطاء... الخ.  
تحديث المكنز وصيانتها:

أي مكنز حي ينبغي أن يحافظ على حداثة بصفة مستمرة ليكون فاعلاً في التكشيف والاسترجاع، ونحدثها لعدة أسباب أهمها:

1. نشأة مفاهيم ومصطلحات جديدة.

2. عدم الاستخدام لبعض المصطلحات الموجودة.
  3. عند تكشيف عدد كبير من الوثائق، أو عند صياغة طلبات بحث كثيرة يجد المكشف نفسه أمام مصطلحات كثيرة لم تدرج في البناء الأول.
- طرق التحديث والصيانة:

1. تقديم واصف جديد.
  2. حذف واصف.
  3. تجزئ واصف موجود إلى عدد من الواصفات الأضيق.
  4. تغيير في تعريف أو نطاق استخدام أحد الواصفات.
  5. إضافة أو حذف علاقة هرمية أو إتصالية.
  6. إضافة مترادفات جديدة (لانكستر 1993م، ص ص 89 – 92).
- يجب التنبيه إلى أن المصادر التي تستخدم للبناء هي نفسها تستخدم للتحديث، وأن عملية الإضافة أو الحذف أو التعديل للمصطلح ليست قاصرة عليه فقط وإنما تمتد إلى المصطلحات الأخرى ذات الصلة بهذا المصطلح والتي يشتمل عليها المكنز. وعلى أية حال يجب عمل مراجعة دورية للتحقق من مدى نفعية أو قيمة الواصفات للتكشيف أو الإسترجاع، وأن الواصفات لا تتعارض مع بعضها ولا يكرر أحدها الآخر، ولا بد من تقييم نقدي للواصفات التي أستخدمت ولم تستخرج المعلومات المطلوبة أو كمية المعلومات المتوقع وجودها في مجموعة الوثائق.
- مكنز قاعدة بيانات شبكة المعلومات العربية التربوية الآلي متاحة مجاناً على الرابط التالي (10):

<http://www.shamaa.org/AR/Component/Main/index.asp>

تتيح شبكة المعلومات العربية التربوية (شمعة) الوصول الحر للإنتاج الفكري التربوي في البلدان العربية، وتقدمه للاختصاصيين والمهتمين بالتربية في قاعدة بيانات على شبكة الإنترنت وتوفر لهم عن كل دراسة تهمهم نبذة ببيوجرافية وملخصاً، وأحياناً نصّ الدراسة كاملاً.

تتطلّع شمعة إلى أن تكون مرجعية معتمدة من قبل الباحثين التربويين والمهتمين بالمعرفة التربوية، بصفتها قاعدة معلومات توثّق جميع أنواع الإنتاج الفكري التربوي في البلدان العربية.

#### أهداف مكنز شبكة المعلومات العربية التربوية:

- ✓ توثيق الإنتاج الفكري التربوي الصادر في البلدان العربية إبتداء من عام 2007م باللغات الثلاث: العربية والفرنسية والإنجليزية.
- ✓ نشر المعلومات المتوافرة حول الإنتاج الفكري التربوي وجعلها بمتناول الباحثين والأساتذة والطلاب الجامعيين وجميع المهتمين بالشؤون التربوية.
- ✓ تسهيل مراجعة الأبحاث التربوية بما يسمح بتراكم المعرفة التربوية والتجديد وتحسين ممارسات التعليم والتعلم والبحث وإتخاذ القرارات التربوية.
- ✓ تسهيل التشبيك بين الباحثين والعاملين في الحقل التربوي من منظمات وكليات جامعية وجمعيات مهنية وأفراد.
- ✓ الإسهام في بلورة المفاهيم والمصطلحات المستخدمة في التوثيق التربوي من خلال إصدار مكنز تربوي وتحديثه دورياً.
- ✓ تعزيز ثقافة التوثيق التربوي واستخدام قواعد المعلومات في العالم العربي.

#### معايير قبول الوثائق لقاعدة البيانات العربية التربوية:

1. تاريخ النشر: ما نشر بعد 2007/1/1م.
2. مكان النشر: ما أنتج ونشر في البلدان العربية، حول التربية. ولا يقبل ما ينشر خارج البلدان العربية ولو كان المؤلف عربياً أو الموضوع عن التربية في البلدان العربية.
3. الناشر: دار نشر، مركز، وزارة، جامعة، كلية... الخ.
4. نوع النشر: وركي، إلكتروني.
5. لغة النشر: ما نشر بأي من اللغات الثلاث: العربية، الإنجليزية، الفرنسية.

6. موضوع النشر: جميع موضوعات التربية والتعليم في جميع الأنواع والمسارات والمراحل والفئات.

7. نوع الوثيقة: مقال في مجلة، كتاب، فصل في كتاب، رسالة ماجستير، أطروحة دكتوراه، تقرير.

✓ مقال في مجلة: يجب أن تكون المجلة أكاديمية. لا تقبل المقالات المنشورة في الصحف والمجلات الأسبوعية ولا في المجلات التي تقدم التحقيقات والمقالات القصيرة المخصصة للتوجيه التربوي والتوعية. ولا تقبل الإقتراحات ومراجعات الكتب ورسائل القراء.

✓ كتاب: جميع أنواع الكتب المنشورة، باستثناء: الكتب المدرسية وأدلة المعلمين المرتبطة بها، المنشورات والمطويات الدعائية، الأدلة (أدلة الجامعات، أدلة المؤسسات).

✓ فصل في كتاب محرر: يوثق الفصل كما توضع بطاقة عن الكتاب ككل.

✓ الرسائل: تقبل رسائل الماجستير أو ما يعادلها مما يؤهل للتسجيل في درجة الدكتوراه. ولا تقبل رسائل ما قبل الدكتوراه المقدمة في كليات التربية النوعية والتربية الرياضية.

✓ أطروحات الدكتوراه: جميع الأطروحات التي تعالج مواضيع تربوية، بغض النظر عن الكلية.

✓ التقارير: توثق التقارير الصادرة عن وزارات التربية والمنظمات الحكومية وغير الحكومية، المنشورة وغير المنشورة، العربية وغير العربية (الصادرة في البلدان العربية)، والتقارير الإحصائية التربوية السنوية للدول ومؤسسات التعليم العالي.

لإضافة إي وثيقة لقاعدة البيانات يجب أن تنطبق الشروط السابقة عليها إضافة إلى

ملئ مجموعة من الحقول الإلزامية والإختيارية وتتمثل الحقول الإلزامية في:

- ✓ تحديد نوع الوثيقة ولغتها.
- ✓ الاسم الكامل للمؤلف وإسم العائلة وأسماء المؤلفين الآخرين.
- ✓ عنوان الوثيقة.
- ✓ اسم مرسل المعلومات وبريده الإلكتروني.
- ✓ الملخص أو النص الكامل متى ما وجد.

#### كيفية استخدام مكنز قاعدة البيانات العربية التربوية:

يشكل المكنز التربوي أداة بحث واسترجاع موضوعيين يلجأ إليهما الباحث للوصول إلى وثيقة ما أو عدد من الوثائق التي تعالج الموضوع نفسه أو الموضوعات المتقاربة. وإذا كانت أدوات البحث الأخرى المتاحة في قاعدة شبكة المعلومات العربية التربوية تيسر الوصول إلى وثيقة ما عن طريق العنوان أو إحدى الكلمات المفتاحية الواردة في هذا العنوان أو إسم المؤلف، فهذه الأدوات تبقى قاصرة عن مساعدة الباحث في كل ما يريد الوصول إليه. فالمكنز لا يتيح الوصول إلى المعلومات المطلوبة فحسب، بل يرشد الباحث إلى الموضوعات المترابطة المتنوعة سواء كانت أكثر عمومية وشمولية أو كانت أشد أو أضيق تخصصاً بفضل تركيبة المكنز الهرمية.

فالباحث عن "فعالية المعلمين" مثلاً سيجد ما يأتي:

فعالية المعلمين

(Teacher effectiveness)

(Rendement de l'enseignement)

س ل فعالية المعلمين

م ع نوعية التعليم

م ت التحصيل الدراسي

والبيانات الواردة تحت هذه الواصفة تفيد بالآتي:

هنالك واصفتان مقابلتان بالإنكليزية والفرنسية يمكن للباحث أن يبحث عن الوثائق بكلتا اللغتين لو أراد ذلك. أما س ل (مستخدم ل) فهي تحيل من يبحث تحت

مصطلح فاعلية المعلمين (لا واصفة) إلى الواصفة المفضّلة أو المعتمدة في المكنز. وبطريقة أوضح فإن من يبحث عن فاعلية المعلمين سيجد الآتي:

فاعلية المعلمين (بالخط المائل لكل اللاواصفات)

س فاعلية المعلمين

يستخدم المكنز الرموز الآتية:

م ر: مصطلح رئيسي وهو يتضمن رقم الوجه أو الموضوع متبوعاً بتسميته اللغوية وإنطلاقاً من هذا الرقم يمكن الإطلاع على كافة الواصفات المرتبطة به وهي عبارة عن غصن في شجرة المعرفة الكلية.

ت: تبصرة وهي تعني شرح أو تحديد معنى ومجال الواصفة المستخدمة خصوصاً عند غموض الواصفة أو إلتباسها.

س: تعني إستخدم (وترد اللاواصفة دائماً بالخط المائل واللاواصفة هي تعبير مرادف أقل شيوعاً أو استخداماً في الأدبيات التربوية).

م ع تعني (مصطلح أعم).

م ض تعني (مصطلح أضيق).

م ت تعني (مصطلح مرتبط).

أقسامه:

1. القائمة الهجائية التي تتضمن الواصفة العربية، تليها الواصفتان الإنجليزية والفرنسية، فالتبصرة (إن وجدت أو إن كان من داع لها وهي تبصرة توضيحية) فاللاواصفة أو اللاواصفات، فالعلاقات التكافئية والهرمية والترابطية (متى ما وجدت) ثم رقم الوجه.

يعني ذلك:

- أن لكل مصطلح أعم (م ع) مصطلحاً أضيق (م ض) وبالعكس.
- لكل مصطلح مترابط (م ت) مصطلح آخر مترابط تبادلياً.
- لكل إحالة "استخدم" (س) من اللاواصفة إحالة "مستخدم ل" في الواصفة.

2. قائمة مصنفة بالعربية وهي تمثل الأوجه أو الموضوعات الكبرى التي تضم كافة فروع المعرفة المتعلقة بالتربية بمعناها الأشمل فهي شجرة المعرفة بأغصانها المختلفة.
  3. كشاف عربي بالكلمات الدالة خارج السياق وهي تعني أنه يمكن للباحث أن يصل إلى الواصفة بمجرد البحث عن كلمة مهما كان موقعها في الواصفة. فالواصفة "إعداد المعلمين قبل الخدمة" يمكن البحث عن أي من كلماتها الأربع للوصول إلى الواصفة وهي مفتاح من مفاتيح المكنز.
  4. كشاف إنجليزي - فرنسي - عربي.
  5. كشاف فرنسي - إنجليزي - عربي.
- وعن طريق هذين الكشافين يمكن مساعدة الباحث للوصول إلى الواصفة العربية، عن طريق إحدى الواصفتين المقابلتين الإنجليزية أو الفرنسية، كما يمكنه أن يبحث عما يريده باللغات الثلاث. وقد تشكل الواصفة غير العربية سبيلاً مساعداً حتى بالنسبة لمن تشكو لغته العربية من عدم التمكن منها.
- طرق البحث بمكنز قاعدة البيانات العربية التربوية:
- أولاً: إرشادات عامة:

يجب التنبيه إلى إمكانية استخدام كلمات البحث باللغة الإنجليزية أو الفرنسية حتى لو كنت في واجهة البحث العربية. وللمباشرة في عملية البحث يجب فتح اللائحة لإختيار الحقل المناسب: العنوان، المؤلف، ... إلخ. ثم أدخل الكلمات التي تبحث عنها مثلاً، البحث عن إدارة تربوية في "العنوان" يعطيك مجمل العناوين التي تحتوي على هاتين الكلمتين أينما وجدتا في العنوان.

يمكن إهمال ال التعريف، مثلاً: المعرفة = معرفة، إلا إذا كانت من أصل الكلمة، مثال: ألمانيا = ألمانيا. كما يمكن إهمال كتابة الهمزة على الألف المهموزة، مثال: إتصال = اتصال، تأهيل = تاهيل استخدم علامة البتر (\$) لتحل محل حرف أو أكثر، مثال: معلم\$ للحصول على وثائق تحتوي على معلم، معلمات، معلمة، معلمين، معلمون، معلمو... إلخ.

## ثانياً: تتيح واجهة البحث الطرق التالية:

## 1. البحث البسيط:

يمكن إدخال أي من الحقول التالية للحصول على نتائج بحث بسيط في مجال التربية وهي: (كلمات أو جمل/ المؤلف/ العنوان/ واصفات المكنز/ الجامعة أو الكلية/ عنوان الدورية/ الناشر/ رقم الوثيقة/ الملخص).

## 2. البحث المتقدم:

يبدأ البحث المتقدم بتحديد المؤلف أو الموضوع أو العنوان أو الصلة أو قديم لجديد أو جديد لقديم أو عدم إختيار إي من هذه الخيارات، لكن لأبد من تحديد الفرز بواحد من الخيارات الآتية أو جميعها وهي: (كلمات أو جمل/ المؤلف/ العنوان/ الواصفات - المكنز/ الجامعة أو الكلية/ عنوان الدورية/ الناشر). مع إمكانية استخدام أدوات الربط التالية: (و/ أو/ ليس معاً/ ليس) مع كل حقل من حقول البحث لتبدأ عملية البحث المتقدم، وهناك إمكانية لإعادة ضبط عملية البحث وفقاً للآتي: (اللغة/ البلد/ النوع/ تاريخ النشر/ تحديد كلمات مفتاحية/ مع النص الكامل/ مع ملخص).

## 12. مكنز قاعدة بيانات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (الألكسو) الآلي متاح

مجاناً على الرابط التالي (11): <http://www.alecso.org.tn>

هو تعريب للطبعة الثانية لمكنز اليونسكو، وقد صدرت الطبعة الأولى المعربة عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم سنة 1995م. وتنتشر المنظمة هذه الطبعة الثانية على موقعها في شبكة الإنترنت على الرابط التالي: ([www.alecso.org.tn](http://www.alecso.org.tn)) لإتاحتها لجمهور المستفيدين من أجل تصفحه وإستخدامه، وستمكنهم في وقت لاحق من تنزيل هذه الطبعة. كما أنه بإمكان المؤسسات العربية الحصول على نسخة مخزنة على قرص مدمج CD-Rom.

هذا المكنز هو أداة العمل الرئيسية لنظام المعلومات في منظمة اليونسكو ويستخدم لأجل تكشيف وإسترجاع الوثائق والمطبوعات التي يعالجها النظام وقد



إختارت المنظمة أن تعرب هذا المكنز وأن تعتمد أساساً لنظام المعلومات التي تتجزه، لوجود تطابق بينه وبين نظام اليونسكو سواء في المواضيع أو الأشكال، وذلك تسهيلاً للتكشيف والبحث باللغة العربية إلى جانب اللغتين الإنجليزية والفرنسية عند الحاجة.  
هيكل المكنز:

يتكون المكنز من سبعة حقول، ويتفرع كل حقل إلى مجموعة من المكانز المصغرة وعددها (87) وتشتمل على قائمة المصطلحات المعتمدة والعلاقات.  
المجال:

الحقل هو مجموعة من المكانز المصغرة ويسبق كل حقل عدد يتكون من رقم واحد يدل عليه، وهو ذاته لكل اللغات المعتمدة. ولا يعتبر الحقل بالضرورة واصفة.  
مثال: 5 المعلومات والاتصال  
يتكون المكنز من المجالات التالية:

التربية، العلم، الثقافة، العلوم الإجتماعية والإنسانية، المعلومات والاتصال، السياسة والقانون والإقتصاد، الدول وتجمعاتها.  
المكانز المصغرة:

المكنز المصغر هو مجموعة من الواصفات واللاواصفات تظهر في صفحة واحدة مما يمكن المستفيد من الإطلاع على محتواه بنظرة واحدة. ويسبق المكنز المصغر عدد يتكون من ثلاثة (3) أرقام يكون هو ذاته لكل اللغات المعتمدة. وأول عدد يدل على الحقل الذي ينتمي إليه.  
مثال: 1.25 إدارة المؤسسات التربوية  
الواصفات:

الواصفة هي المصطلح المفضل يصلح لتمثيل مفهوم عند التكشيف أو عند الاستفسار. وعدد الواصفات هو ذاته في اللغات الثلاث المعتمدة (4261) واصفة.  
مثال: قانون العمل

### اللاواصفات:

اللاواصفة هو كل مصطلح يمنع استخدامه لوجود مصطلح قريب منه في المعنى وقع اختياره كواصفة. وهو مثل الواصفة يعتبر نقطة دخول إلى المكنز، وبهذا يتم التوجه من اللغة الطبيعية للوثيقة أو المستفيد إلى اللغة المضبوطة للواصفات. وتوجد اللاواصفات في الطبعة العربية بالعربية فقط.

مثال: تشريعات العمل - قانون العمل

### التبصرات:

تضاف أحياناً تبصرات لشرح معنى الواصفة عند احتمال وجود لبس.

مثال: مواصفات العمل

لمت{ المواصفات المتعلقة بالتشغيل وشروط العمل المعلنة في الإتفاقيات الجماعية بين أصحاب العمل والعمالين أو في قوانين العمل وتراثيبه.

### العلاقات بين المصطلحات:

#### الإنتماء:

يعبر بالرمز **لم ك** (مكنز مصغر) عن العلاقة بين الواصفة والمكنز المصغر التي تنتمي إليه ورقمه.

مثال: بحوث الاتصال

م ك 5.10 بحوث وسياسة الاتصال

#### الهرمية:

يعبر عن العلاقة بين الواصفات التابعة لنفس التفريع الدلالي بالرموز التالية:

**لم ع** مصطلح أعرض أي أعم أو أعلى

مثال: التنمية الدائمة

مع 1 استراتيجيات التنمية

**لم ض** مصطلح أضيق أي أكثر تخصيصاً

مثال: استراتيجيات التنمية

## م ض 1 التنمية الدائمة

## الترابط:

يعبر عن العلاقة بين واصفتين توجد بينهما رابطة فكرية بالرمز {م ت} ويوضع بين الواصفتين.

مثال: التعاون الثقافي

م ت العلاقات الثقافية

العلاقات الثقافية

م ت التعاون الثقافي

## الترادف والتطابق الدلالي:

يعبر عن الترادف والتطابق الدلالي بالرمزين التاليين:

{استعمل} بين اللاواصفة والواصفة المطابقة لها.

مثال: تبادل الأفكار

استعمل التعاون الفكري

{م س ل} بين الواصفة واللاواصفة المطابقة لها.

مثال: التعاون الفكري

س ل تبادل الأفكار

ملاحظة: اللاواصفة تحيل إلى واصفة واحدة فقط

الواصفة تتطابق مع أصغر واصفة فما فوق.

## التطابق (اللغوي):

العلاقة بين الواصفات التي تدل على نفس المفهوم في الإنجليزية والفرنسية يعبر

عنها برمز اللغة كآتي:

{En} الواصفة باللغة الإنجليزية

{Fr} الواصفة باللغة الفرنسية

## المحتوى:

يحتوي مكنز التربية والثقافة والعلوم في نسخته الإلكترونية المعربة المتاحة على شبكة الإنترنت على عرضين: الأول هجائي تبادلي والثاني هرمي حسب المكانز المصغرة ونافذة للبحث في الفهرس.

توجيهات عامة عن إستخدام المكنز:

تصفح المكنز:

يتم الوصول إلى مكنز التربية والثقافة والعلوم عبر موقع المنظمة: [www.alecso.org.tn](http://www.alecso.org.tn) وإختيار باب قواعد البيانات التوثيقية والبيبلوجرافية ومن ثم إختيار قاعدة مكنز التربية والثقافة والعلوم، حيث تعرض القائمة خانتان للتصفح وخانة للبحث في الفهرس على الخط المباشر.

## 1. القائمة الهجائية

هي قائمة مرتبة هجائياً تشمل الواصفات واللاوصفات ويتم البحث فيها باستخدام نافذة البحث الهجائي بالطرق الآتية:

✓ النقر على زر كشاف لاستعراض كامل الكشاف وتظهر فيه الواصفات باللون الأزرق واللاوصفات باللون الأسود ثم النقر على أحد حروف الهجاء لاستعراض قائمة الكلمات التي تبدأ بهذا الحرف.

✓ إدخال كلمة كاملة أو أكثر ثم النقر على زر البحث للحصول على الواصفات التي تشتمل على هذه الكلمة في سرد تبادلي ويمكن بعد ذلك إختيار واصفة أو أكثر لإستعراض علاقاتها كاملة أو قياسية حسب تركيب الإظهار.

## 2. القائمة الهرمية:

يتم إختيار مجال من المجالات السبعة من نافذة البحث الهرمي ثم إختيار مكنز من المكانز المصغرة في النافذة المناسبة ثم النقر عليه للحصول على كل واصفاته ثم إختيار أحدها لاستعراض كافة علاقاتها عند الحاجة:

□ حقل ← مكنز مصغر ← واصفات ← علاقات الواصفة المختارة

1 - تربية ← 1.15 التخطيط التربوي التخطيط التربوي بكل علاقاتها

### 3. البحث في الفهرس:

عند الإنتهاء من التصفح وإختيار مصطلحات البحث التي يمكن أن تتكون من واصفة فأكثر نستخدم هذه الواصفة أو الواصفات للبحث بالطريقة البوليانية أي باستخدام المعاملات الآتية:

✓ استخدام المعامل (و) للحصول على الوثائق التي تشتمل على هذه الواصفات معاً في كل وثيقة.

✓ استخدام المعامل (أو) للحصول على الوثائق التي تشتمل على أحد هذه الواصفات فقط.

ونبهه إلى أنه يمكننا البحث في الفهرس دون تصفح المكنز مسبقاً وذلك باستخدام نافذة البحث الموجة تحت قاعدة المكنز.

تعليمات اليونسكو الخاصة باستخدام المكنز في عمليات التكشيف والاستفسار:  
التعليمات الخاصة بعمليات التكشيف:

يتمثل التكشيف في استخراج المفاهيم الموجودة في الوثيقة والتعبير عنها بواسطة واصفات المكنز. ويهدف التكشيف إلى تمكين الباحث في الفترات اللاحقة من استخراج الإشارات البليوجرافية المطابقة لأسئلته، من قاعدة البيانات. ولا يتم هذا إلا إذا كانت المفاهيم المعبر عنها قد تم التعبير عنها بنفس واصفات المكنز سواء في السؤال أو في الوثائق الملائمة وفي الواقع يتم التكشيف على النحو التالي:

1. يتصفح المكشف الوثيقة المراد تكشيفها بسرعة.

2. يستخرج أهم المفاهيم التي تحتويها الوثيقة معتمداً على تطبيق القاعدتين التاليتين بكل دقة:

✓ الانتقائية: لا يستخرج إلا المفاهيم التي تقدم حولها الوثيقة معلومات يمكن أن تهم المستفيد.

✓ الشمولية: يتم استخراج كل المفاهيم المهمة الموجودة في الوثيقة. فكل مفهوم تقدم حوله الوثيقة معلومات مهمة لا يتم إستخراجه فإن المستفيد الذي يبحث عن وثائق تتعلق بهذا المفهوم لن يمكنه الحصول على هذه الوثيقة رغم ملاءمتها للبحث.

3. ثم يعوض المكشف المفاهيم المستخرجة بالواصفات المطابقة لها من المكنز وذلك بإستخدام العرض الهجائي أو الكشاف، وربما يحتاج إلى ترجمة المصطلحات إلى لغة المكنز المستخدم ويمكن أن تعترض المكشف ثلاث حالات:

أ. توجد لا واصفة مطابقة لمعنى المفهوم وتحيل اللاواصفة إلى الواصفة الواجب استخدامها وتسجل إذن هذه الأخيرة.

أأ. لا توجد في المكنز أي واصفة أو لا واصفة مطابقة للمفهوم وعندئذ يجب على المكشف إتباع ما يلي:

✓ إذا كان المفهوم مكونا من عدة مفردات يتم البحث في القائمة الهجائية عن عنصر مهم مطابق للمفردة الثانية أو الثالثة... الخ. ويمكن أن تحيل هذه المفردة إلى واصفة أو لا واصفة تكون إحدى مكونات هذه المفردة، مثال: كلمة الوطني ليست واصفة ولاواصفة لكن إذا بحثنا عنها نجدها مضمنة في الواصفة: الفن الوطني.

✓ التفكير في مفردات أخرى تعبر عن المفهوم والبحث عنها في القائمة الهجائية، مثال: كلمة الكمبيوترات ليست واصفة ولاواصفة ولا أحد عنصرها لكننا نعرف أن الكمبيوترات هي الحواسيب ونلاحظ بعد البحث أن هذه الكلمة هي واصفة.

✓ التعبير عن المفهوم بواسطة أكثر من واصفة في المكنز الهجائي، مثال: تاريخ الدول العربية ليس بواصفة لكن يمكن التعبير عنه بالواصفتين: التاريخ

والدول العربية. وبما أننا نتبع نفس الطريقة عند البحث فإننا سنستخرج الوثيقة الملائمة.

أ. وأخيراً يمكن تحديد الصنف العام أو الأصناف التي ينتمي إليها المفهوم المستعصي باستخدام المكنز المصغر الذي يمكن أن ينتمي إليه هذا المفهوم وإختيار أقرب واصفة إلى هذا المفهوم، مثال: مفهوم استنزاف الأراضي غير موجود في المكنز غير أنه ينتمي إلى المكنز المصغر 2.60 التلوث والكوارث والسلامة. عند تصفح هذا المكنز نجد الواصفة: تدهور التربة وهي مطابقة تماماً للمفهوم.

هنالك قاعدتان أخريان للتعبير عن المفاهيم بواسطة واصفات من المكنز وهما:

✓ **الخصوصية العمودية:** وهي وجوب أن تكون الواصفة على نفس مستوى دقة المفهوم وإذا كان هذا غير ممكن فيجب أن يكون في المستوى الأعلى مباشرة في المكنز، مثال: مفهوم آثار العصور القديمة يعبر عنه بالواصفة المطابقة تماماً له أي: آثار العصور القديمة وليس بالواصفة: آثار. ومفهوم الآبار الأرتوازية يعبر عنه بالواصفة الأعلى مباشرة أي: الآبار.

✓ **الخصوصية الأفقية:** وهي وجوب التعبير عن المفهوم المكون من أكثر من مفردة بواسطة مركبة إذا وجدت وليس بمجموعة من الواصفات المكونة من عنصر واحد، مثال: وثيقة تهتم بمفهوم طب الشيخوخة تكشف بواسطة الواصفة: طب الشيخوخة وليس بواسطة : الطب و الشيخوخة.

4- في حالة عدم التوصل إلى الحصول على أية واصفة مناسبة تعبر عن المفاهيم الموجودة في الوثائق قيد التكشيف يمكن حينئذ استخدام واصفات حرة أو واصفات مقترحة تستخدم بصفة وقتية في التكشيف. ويقوم المشرف على إدارة ملف المكنز بدراسة الواصفات المقترحة والنظر في إمكانية إدخالها في المكنز عند الضرورة وتحديد كافة العلاقات اللازمة لها.

## توجيهات عن طريقة صياغة الإستفسارات:

هنالك شبه بين طريقة صياغة الاستفسارات وتكشيف الوثائق، ففي الحالتين يتم التعبير عن المفاهيم بواسطة واصفات تستخرج من المكنز. وعند الاستفسار يبدأ المستفيد بالتعبير عن المعلومات التي يبحث عنها باللغة الطبيعية بطريقة واضحة ودقيقة، ثم يحدد المفاهيم المتعلقة ببحثه ويعبر عنها بواصفات من المكنز. وهنالك ثلاث احتمالات يمكن أن تعترضه:

أ - تم التعبير عن الاستفسار بدقة والحصول على الواصفات المطابقة لمفاهيم الاستفسار وبالإطلاع على القائمة الهجائية يجد المستفيد:

✓ الواصفات واللواصفات (التي تحيل إلى الواصفات) المطابقة لمفاهيم الاستفسار.

✓ الواصفات المطابقة لعلاقات هرمية أو ترابطية التي تمكن من التوسع في البحث.

ب - تم التعبير عن الاستفسار بدقة إلا أنه لم يتم العثور على واصفات مطابقة أو تم العثور على البعض منها في المكنز الهجائي عندئذ يجب على المستفيد الرجوع إلى القائمة الهرمية وبالأخص إلى المكنز أو المكانز المصغرة المطابقة لاستفساره وإختيار أقرب الواصفات إليها.

ج - لم تقع صياغة الإستفسار بدقة وهو ما يحصل كثيراً وعندئذ على المستفيد تصفح المكنز المصغر أو المكانز المصغرة التي تتطابق مع مفاهيم إستفساره وإختيار الواصفات الأنسب للبحث، أي صياغة الاستفسار انطلاقاً من المكنز مباشرة.

## الخلاصة:

مؤسسات المعلومات والمكتبات هي مؤسسات خدمية في المقام الأول، لذلك من المفترض أن يكون هدفها الأساسي خدمة المستفيدين وتلبية إحتياجاتهم مع مراعاة الدقة والسرعة في تقديم الخدمة. من هذا المنطلق إذا أرادت المكتبات بمختلف أنواعها ومراكز المعلومات أن تضبط أوعيتها وتستدعيها بما يحقق هدفها وطموحاتها وطموحات مستفيديها فعليها الإعتماد على المكانز كأداة ضبط واسترجاع لما



تمتلكه من معلومات مسجلة على أوعية المعرفة بمختلف أنواعها وأشكالها إضافة إلى بقية الأنواع الأخرى مثل خطط التصنيف وقوائم رؤوس الموضوعات... الخ لأنه ثبت من خلال هذه الدراسة والدراسات السابقة بأن المكنز دائماً يكون حلقة الوصل بين المكشف والباحث، إذاً فهو اللغة المشتركة بينهما وباستخدامه يمكننا ترجمة لغة الإنتاج الفكري ولغة المستفيدين من المعلومات إلى لغة ذات شكل محدد لتحقيق أقصى درجات الكفاءة في ضبط المصطلحات وإخترانها واسترجاعها. إضافة لما سبق فنحن اليوم في أشد الحاجة إلى أدوات مساعدة للبحث والاسترجاع لمصادر المعلومات المتاحة عبر شبكة الإنترنت نسبة للزيادة الملحوظة في كمية المعلومات المتدفقة، والكل يدرك بأنه لا يوجد حالياً محرك بحث وحيد أو أداة بحث واحدة قادرة على تغطية جميع ما ينشر على شبكة الإنترنت، ومن هنا تأتي فكرة البحث في أكثر من أداة معاً وبالتالي فإننا في حاجة إلى تعزيز استراتيجيات وآليات البحث والاسترجاع عن طريق الاستعانة بكافة الأدوات المساعدة كالمكانز الآلية، لذلك خصصنا جزءاً كبيراً من الدراسة لنموذجين آليين من المكانز المتاحة عبر شبكة الإنترنت واللذين يمكن إستخدامهما في البحث والتكشيف للمصادر الإلكترونية عبر الشبكة.

#### المراجع:

- جامعة الدول العربية 1987م، مركز التوثيق والمعلومات. بناء المكانز وتطويرها، (تحرير) محمود أحمد أتييم، مركز التوثيق والمعلومات، جامعة الدول العربية، تونس.
- سناء حافظ التكروري 2005م، نظم استرجاع المعلومات: بين النظرية والتطبيق، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان.
- مجموعة من الباحثين المكتبيين 1985م، المعالجة الفنية للمعلومات: الفهرسة والتصنيف التوثيق التكشيف الأرشيف، (تحرير) هاني العمدة، جمعية المكتبات الأردنية، عمان.
- محمد عبد الجواد شريف 1989م، المكانز كأدوات للتكشيف واسترجاع المعلومات، مكتبة غريب، القاهرة.

- .....2009م، التكشيف والمكانز والمستخلصات بين الأعمال الفنية والأوعية المرجعية والخدمات المعلوماتية، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، كفر الشيخ (مصر).
- محمد فتحي عبد الهادي 1420هـ، التكشيف والاستخلاص: المفاهيم .. الأسس .. التطبيقات، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة.
- لانكستر، فريدريك ويلفريد 1993م، ضبط المفردات من أجل استرجاع المعلومات، (ترجمة) محمود أحمد إتييم، ط2، جمعية المكتبات الأردنية، عمان.
- وحيد قدورة 1414هـ/1993م، التكشيف والتصنيف في مراكز المعلومات العربية: ندوة ومناقشات، (مراجعة) عبد الجليل التميمي، مكتبة الملك فهد الوطنية، مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسيكية والتوثيق والمعلومات، الرياض، تونس.

#### المواقع على شبكة الإنترنت:

1. مكنز قاعدة بيانات شبكة المعلومات العربية التربية الآلي (شمعة)، تاريخ الإطلاع: 2012/12/15م، متاح في:

<http://www.shamaa.org/AR/Component/Main/index.asp>

2. مكنز قاعدة بيانات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم الآلي (ألكسو)، تاريخ الاطلاع: 2012/11/9م، متاح في: <http://www.alecso.org.tn>

## القيم التربوية في حكم الشيخ فرح ود تكتوك

د. خالد رحمة الله صالح عبد الله

قسم العلوم التربوية - كلية التربية - جامعة القرآن الكريم وتأسيس العلوم

### المقدمة :

اطلع الباحث على العديد من الدراسات التربوية التي تناولت عدداً من الشخصيات وأثرها التربوي في المجتمع، وقد لاحظ قلة الدراسات التي تناولت المفكرين السودانيين وبخاصة الذين كان إنتاجهم الفكري ذا طابع شفهي كما الشيخ فرح ود تكتوك الذي أثرى الحياة الاجتماعية بكثير من الحكم التي أصبحت أمثالاً. وعلى الرغم من ذلك لم يقف الباحث على أي دراسة علمية تناولت الدور التربوي الذي أرسته حكم هذا الشيخ في المجتمع .

### مفهوم القيمة في اللغة :

القيمة واحدة، لأنها تقوم مقام الشيء، والقيمة ثمن الشيء بالتقويم، ويقال تقوموه فيما بينهم، وإذا انقاد الشيء واستمر في طريقته فقد استقام، ويقال كم قامت ناقتك، أي كم بلغت، والقيم تعني الاستقامة، يقول أهل مكة استقامت المتاع : "أي قومته، وقيل من قيمة الشيء" ( ابن منظور 1990م ، ص500).

### مفهوم القيمة في التربية الإسلامية :

يتناول الباحث أهم التعريفات للقيم من وجهة نظر التربية الإسلامية، فالقيم الإسلامية التي حثنا عليها ديننا الحنيف ما هي إلا مبادئ تحث على الفضيلة وموجهات السلوك الإنساني لصالحه وصالح مجتمعه، وتستمد أصولها من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من القرآن وسنة الرسول صلي الله عليه وسلم - وهي قد تذكر بصورة صريحة أو قد تكون ضمنية (محمد وجيه الصاوي 1990م، ص261).

- القيم "تلك الصفات المرغوب فيها والتي تنمي في الإنسان قدراته الجسدية والعقلية وقواه الروحية والنفسية" (محمد إبراهيم كاظم 1992م، ص4) .

**مجالات القيم التربوية :**

إن للتربية في الإسلام مجالات واتجاهات وميادين يجب أن تغرس في الإنسان المسلم حتى ينمو نمواً متكامل الشخصية ومن هذه الميادين:

**التربية الإيمانية:**

تعني "ربط الولد منذ تعلقه بأصول الإيمان ، وتعويدته منذ تفهمه أركان الإسلام ، وتعليمه منذ تمييزه مبادئ الشريعة الغراء" (عبد الله ناصح علوان 1981م، ص147). وأحياناً يطلق على التربية الإيمانية التربية العقدية ، فالإيمان هو أساس إصلاح الولد ، وملاك تربيته الخلقية والنفسية .

هناك تعريف آخر للتربية الإيمانية يفيد بأنها "إكساب الفرد مجموعة من الحقائق والمفاهيم والتصورات السليمة المتعلقة بقضية الإيمان عبر جميع المراحل التي يمر بها، من أجل بلوغ كماله الإنساني والارتقاء بشخصيته على الصعيد الفكري والخلقي والنفسي (على خليل أبو العينين 1985م، ص87) .

**التربية الخلقية :**

هي "عبارة عن مجموعة من المبادئ الخلقية والفضائل السلوكية والوجدانية التي يجب أن يتلقنها الطفل ويعتاد عليها إلى أن يخوض خضم الحياة" (عبد الله صالح علوان 1981م، ص177) . ويطلق عليها أحياناً اسم التربية الصحية أو البدنية. وبصورة أشمل هي عملية حفظ وتنمية الجانب الجسمي ليقوم بدوره على أحسن ما يكون (خالد طه محمد 2005م، ص189) .

**التربية التعليمية :**

يقصد بها التفكير وبناء العقل وفق التصور الإسلامي، أي تربية العقل على التدبر والتفكير في مخلوقات الله والاتعاظ، لأن الإسلام خاطب العقل (أحمد عبد الله أحمد 2007م، ص114). ويدخل فيها التأمل والجانب التعليمي.

**التربية الاقتصادية :**

هي " تربية المسلم على الاعتدال في الإنفاق قدر الحاجة والضرورة وتجنب الاسراف، وتنمية الجانب الإيجابي نحو الادخار والتوفير، وتنمية القدرة على التخطيط

وإعداد الشخصية المنتجة لا المستهلكة" (محمد عبد السلام العجمي 2007م، ص23).

### مفهوم التربية في الإسلام:

هي "تلك العملية التعليمية المنهجية التي تنتقل من الكبار إلى الصغار بقصد تنشئتهم تنشئة حسنة تحقق لهم إنسانيتهم التي كرمهم الله تعالى بها حسب مراحل نموهم" (على خليل أبو العينين 1985م، ص18). وتعني أيضاً عملية حفظ التراث واستغلال الذكاء الإنساني لمصلحة الإنسان وإعداده للتكيف مع الجماعة واكتساب الخبرة المفيدة (صالح هندي دياب 2005م، ص5). وقيل في معناها أيضاً: إعداد المسلم إعداداً كاملاً من جميع النواحي في جميع مراحل نموه للدنيا والآخرة في ضوء المبادئ والقيم وطرق التربية التي جاء بها الإسلام.

### أهداف التربية في الإسلام:

إن التربية في الإسلام تهدف إلى تنشئة وإعداد الإنسان الذي يعبد الله ويخشاه فيكون مسلماً عابداً عاملاً عالماً مؤتمراً بأوامر الله سبحانه منتهياً عن نواهيه قال تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) (سورة الذاريات، الآية (56)). وطريقة عبادة الله وخشيته إنما تكون بالعلم، فإنما يخشى الله من عباده العلماء والعلم هو سبيل التقوى إلى معرفة الله (محمد حسن العمايره 2000م، ص33).

1- بلوغ الكمال الإنساني لأن الإنسان هو خليفة الله تعالى: (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً) (سورة البقرة، الآية (30)).

2- تقوية فطرة الطفل على الإيمان الصحيح وخشية الله تعالى، والتعليم والقُدوة أساس الفضيلة والأخلاق.

3- تقوية الروابط بين المسلمين ودعم تضامنهم وخدمة قضاياهم، ويتم ذلك عن طريق ما تقوم به التربية الإسلامية من توحيد الأفكار والمشارب والاتجاهات والقيم بين المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها (نادية جمال الدين إبراهيم 1988م، ص281).

### الشيخ فرح ود تكتوك الحكيم المريني:

تضيق بعض أهم ملامح التفرد الثقافي للشعوب ذات الإرث الشفهي، في خضم الخلط الشعبي بين الخيال والواقع وتداخل الأسطورة مع الحقيقة. وتصدق هذه المقولة على السودان حيث يتعلق الأمر بضعف النقل الشفاهي للثقافة الوطنية عبر الأجيال. فرغم الدور المهم والأساسي للمشاهدة في نقل التراث وحفظه، إلا أن غياب التسجيل المكتوب لبعض وقائع تراثنا الوطني أدى في بعض الحالات إلى ضعف المعرفة بذلك التراث، أو إلى تشويه جزء منه، فوَقعت بعض الشخصيات والوقائع والأحداث ضحية النقل الشفهي المبتور، أو التصرف في الحقيقة بما يمليه الزمان أو المكان أو الراوي. ويؤدي هذا النقل المبتور إلى تناقص موضوعية الراوي، وتشوه الرواية، وطمس أهم معطيات تقويم الواقع وتقدير صناع الأحداث، وتضييع بالتالي فرص تقويم وتقدير دور وإسهام كثير من المؤسسات والأفراد في بلورة واقع الثقافة السودانية. يصدق هذا القول على شخصية سودانية ذات طابع خاص هي محور دراستنا هذه ألا وهو الشيخ فرح ود تكتوك الذي ولد ونشأ في الدولة السنارية التي قامت في السودان على أنقاض دولة علوة المسيحية في عام 1504م واستمرت حتى 1821م.

ولد الشيخ فرح وترى في بيئة صوفية أسهمت إسهاماً كبيراً في تشكيل شخصيته وبلورة أفكاره بالصورة التي ظهرت بها، والحديث عن الشيخ فرح مع شح المصادر التي تناولت سيرته وبعد المسافة الزمنية بيننا وبينه كل هذه العوامل تجعل من الإلمام الكامل بسيرته أمراً من الصعوبة بمكان. ويتطلب قدراً كبيراً من الجهود.

### نسب الشيخ فرح:

هو فرح ود تكتوك بن محمد عيسى بن محمد الأبطح (وهو الذي ينتسب إليه البطاحين)، ويؤكد هذا القول الشيخ الفحل ود الفكي - كاتب ومؤرخ - وهو من القلائل الذين كتبوا عن تاريخ العرب وأنسابهم في السودان، خاصة قبيلة البطاحين الذين تربطهم به أوامر قريبي ونسب (الطيب محمد الطيب 1996م، ص 37). أما كلمة تكتوك فهي لقب أطلق على والد الشيخ فرح ثم لحق بالابن فيما بعد. ينتسب الشيخ فرح من ناحية أمه إلى قبيلة (تكيم) في منطقة جبال النوبة الشرقية. ولد الشيخ

فرح في منتصف القرن الحادي عشر وتوفي عام 1147هـ (الطيب محمد الطيب 1996م، ص38).

لعل أهم ما أشتهر به هذا الشيخ فرح هو قدرته الفائقة على التكهن بما يمكن أن يحدث مستقبلاً وفق قراءة اجتماعية ونفسية وتربوية بعيداً عن الطريقة التي كانت سائدة في زمانه والتي كانت مبنية على الكهانة والدجل والشعوذة، مما أوجد له جمهوراً متشوقاً إلى سماع مثل هذه النبوءات. وبما أن المجتمع السوداني في ذلك الوقت كان مجتمعاً شفهيّاً بالدرجة الأولى، فقد أضاف الرواة وناقلو الأخبار كثيراً من الأشعار والحكم التي لم تكن من تأليف الشيخ، بل وبالغ بعضهم ورفعوه إلى درجة عالية مما حوّلته إلى شخصية أسطورية أضاف إليها الخيال الشعبي هالة وتصويراً.

تعتمد هذه الدراسة بدرجة أساسية على كتاب (فرح ود تكتوك حلال المشبوك) الذي قام بتأليفه الباحث الأشهر الطيب محمد الطيب والذي بذل مؤلفه مجهوداً ضخماً للوقوف على حقيقة هذا الرجل، وقام بتتبع سيرة هذا الشيخ، تساعده في ذلك خلفيته الكبرى عن التراث الشعبي السوداني ورغبته الأكيدة في سبر غور تاريخ هذا الشيخ والسعي لتقديم صورة أقرب للواقع عن الفترة الزمنية التي عاش فيها. ونجح الأستاذ الطيب بصورة كبيرة في تيسير الأمر لفهم أسلوب الشيخ فرح التربوي واستيعاب فنونه التي اعتمد عليها في مخاطبة مجتمعه.

#### الخلفية الاجتماعية والثقافية لشخصية الشيخ فرح:

مهم جداً أن ننظر إلى واقع وبيئة الشيخ فرح لنستبطن منها بعض ما يعيننا تربوياً على تحليل أساليبه وفهم خياراته التربوية. فالبيئة الاجتماعية والثقافية مهمة جداً في هذا الصدد لأنها موضع تنشئة الفرد، ومسرحة تنمية القدرات والملكات والمواهب. لقد نشأ الشيخ فرح في كنف السلطنة الزرقاء (الطيب محمد الطيب 1996م، ص48) وهي أول شكل من أشكال الدولة السودانية الإسلامية، إذ كانت قبلها البلاد مفرقة بين ممالك عديدة امتدت على مساحات السودان الأوسط أشهرها مملكتي علوة والمقرة المسيحيّتين (يحي محمد إبراهيم 1987م، ص45). وظل السودان كذلك حتى أجهز تحالف الفونج بقيادة عمارة دنقس والعرب بقيادة عبد الله جماع على دولة علوة

أكبر الدول المسيحية الأخيرة في السودان، فنشأت دولة الفونج (سنار) التي امتد نفوذها شرقاً حتى سواكن وغرباً حتى جبال النوبة وشمالاً حتى حدود مصر(نعوم شقير1981م، ص99).

رغم أن الشيخ فرح لم يعاصر فترة تأسيس الدولة السنارية، إلا أنه من ذلك الجيل الذي عايش الدولة وهي في بدايات التمكن، فقد ولد الشيخ - حسب أقرب الروايات إلى الواقع (نعوم شقير 1981م، ص56) - حوالي 1100 للهجرة، أي بعد ما يقرب من قرن من قيام دولة سنار. وحين أصبح شيخاً يشار إليه بالبنان، كانت الدولة قد بلغت ثلث عمرها الأول فعاصر عهد الملك بادي أبو دقن، وهو أشهر سلاطين المملكة وأكثرهم بسطاً للعدل ورفعاً للظلم وأشدهم احتراماً للعلم والعلماء.

كان الثلث الأول من عمر الدولة السنارية يمثل أعوام الانتقال الثقافى البطيء من واقع اجتماعي اختلطت فيه بقايا وثنية إفريقية ببعض المفاهيم المسيحية، إلى واقع إسلامي جديد أسهم في نقله إلى العامة شيوخ وفقهاء وعلماء قدموا من خارج السودان، أو تتلمذوا على أيدي بعض القادمين من خارجه (يوسف فضل حسن 1989م، ص70). ومثل ذلك الوقت أيضاً فترة التحول من اللغات المحلية إلى اللغة العربية الوافدة. وهذا الانتقال الثقافى والدينى الذي تم من المسيحية إلى الإسلام والعربية، قطعاً لم يتم بين عشية وضحاها بل كان يلزمه وقتاً لتفاعل فيه هذه المكونات الثقافية حتى تتصهر في بوتقة واحدة، مع التأكيد على بقاء بعض المظاهر الوثنية وربما المسيحية، بقدر أو آخر. وقد أسهم هذا الإرث فيما بعد في تأجيج نار الصراع بين الفقهاء وأتباعهم وجعل كل أشياخ شيخ يسارعون في نسب الخوارق والكرامات له وحده تأكيداً على أهمية دوره في المجتمع، وبالذات حديثو العهد بالدين الجديد. وظهر الشيخ فرح ود تكتوك في تلك الظروف، فقيهاً درس على أشهر علماء زمانه مثل الشيخ أرباب العقائد الذي اشتهر بهذا اللقب لتفرده بين شيوخ ذلك الزمان. وقد زامل فرح الشيخ حمد ود أم مريوم والفقهاء محمد ود ضيف الله وتفوق على أقرانه جميعاً بدليل جلوسه للتدريس مكان شيخه وبوجوده (الطيب محمد الطيب 1996م، ص44).



أما شيخه الآخر فكان الخطيب عمار بن عبد الحفيظ، ودرس عنده علم النحو واللغة والمنطق مما أنعكس فيما بعد على أسلوب الشيخ فرح وجعل له خطأً مميزاً جامعاً بين اللغة والفقه والتربية (الطيب محمد الطيب 1996م، ص 45). واختار الشيخ فرح لنفسه طريقاً مختلفاً عن طرق (القوم) المعروف وقتها، إذ أثر النزول إلى قواعد الناس بمنهج وسلوك، فاستقر في قرية الحجيرات قريباً من سنار، وجمع من حوله الأتباع والمريدين وأنشأ بهم ومعهم مؤسسة اجتماعية فريدة، بنت شهرتها على مبادئ العمل والكد، وجعل طريقه للإصلاح قائماً على أسلوبه التربوي المتميز.

إن أكثر ما يشد الانتباه إلى خطاب الشيخ فرح هو استخدام السجع وقدرته على صياغة الرسالة التربوية بأسلوب سلس تفرّد به حتى أصبح هذا الأسلوب حكراً عليه، وصار غيره من الناس يقلده ويحاكيه فيه، بل وأصبحوا يضعون أقوالاً شبيهة بأقواله وينسبون لها إليه (الطيب محمد الطيب 1996م، ص 75).

إن شهرة الشيخ فرح ومكانته في التاريخ الثقافي السوداني استندت على الحكم والأقوال والتعليقات المسجوعة التي كان يبيث بها رسائله ويبلغ عبرها دعوته الإصلاحية، فلم يكن الشيخ فرح ذا معجزات وكرامات كما كان غيره من شيوخ المجتمع السناري، بل كانت ميزة الشيخ فرح الوحيدة هي بيانه الساحر القائم على براعته في السجع وصياغة المعاني السلسة السهلة الممتعة. إن التراث الشعبي حاول لاحقاً أن ينسب إلى الشيخ فرح بعض المعجزات كالمشي على قسبة فوق بئر (الطيب محمد الطيب 1996م، ص 78) وبعض القدرات كالتنبؤ بما سيحدث في المستقبل، حتى تساوى بينه وبين شيوخ وقته.

### القيم التربوية المستنبطة من حكم الشيخ فرح ود تكتوك:

#### ٢- القيم التربوية الاجتماعية:

لعل نشأة الشيخ فرح ود تكتوك والبيئة الصوفية التي تربي فيها كان لهما أعظم الأثر في توجيه حكمه وأشعاره. والشيخ فرح كغيره من صوفية زمانه وفي مجتمع يضع أهمية قصوى وكبيرة للأصل والخلفية الاجتماعية، تحدث عن أصله من ناحية

أبيه ووضح أنه بطحاني (الطيب محمد الطيب 1996م، ص42) من حيث النسب الاجتماعي، غير أنه نفى انتماءه الأخلاقي لهم نسبة لاختلافه معهم في انتهاجهم النهب والسلب (الهمبته). وحديثه عن أصل أمه النوباوي وعن أن قومها الذين لا يدينون بالإسلام، إن دَلْ إنما يدل على أن الشيخ له ثقة كبيرة في إبراز هذا الأصل دون تحفظ أو خوف من ما يجره عليه من متاعب في مجتمع يضع لمثل هذه الأمور أهمية كبيرة، غير أنه وبحسه التربوي المرهف يستدرك في نهاية كل فقرة داعياً لأهل أمه بالرحمة وطلب الجنة معتزلاً لهم بأنهم أعاجم، ومستدركاً على أهل أبيه بأنه منهم نسباً مستبراً من أفعالهم ومستكراً عليهم بعض الممارسات الاجتماعية التي لا تتفق مع الدين والمروءة.

أنا فرح ود تكتوك

أهلي عبّادلة وملوك

بطحاني ما في شيكوك

وكتّ الشم تبقى هئوك

أهلي يتابكوا في أم سّمبوك

وإن جيثن يجوك

وإن ما جيثن يجوك

منهن وبّاري منهن

سعى الشيخ بذلك لأن يرسى أدباً جديداً ويختط منهجاً تربوياً قوامه الدين كأصل، مع الاعتراف بالأصل الاجتماعي وعدم إهماله، والتركيز بالدرجة الأولى على عنصر الالتزام الديني والخلقي - وهذا بالطبع أهم من الأواصر والعلاقات الاجتماعية. والشيخ هنا لا تغيب عن باله قصة ابن نبي الله نوح الذي وصفه الله بأنه عمل غير صالح وتبرأ منه والده رغماً عن أبوته (البيولوجية) له .

يمضي الشيخ فرح محدثاً عن آخر الزمان الذي أشار إليه المصطفى صلى الله عليه وسلم في قوله (بعثت أنا والساعة كهاتين) (مسلم 1983م، ص11)، ذاكراً الكثير

من علامات الساعة، غير أن الشيخ فرح يضيف إلى تلك العلامات علامات أخرى مستخدماً أسلوبه الخاص الذي يتمثل في الشعر (الطيب محمد الطيب 1996م، ص 105).

آخر الزمن شوف النكت

المحنة راحت و قبلت

الجنا للوالدين جفت

راحوا النساء تلت النكت

راحوا الرجال تلت الجتت

وصف الشيخ تلك العلامات بأنها (نكت) - وهي الأحداث الغربية التي تدعو إلى الضحك والاستغراب، فذهاب (المحنة) - وهي العلاقات الحميمة - حل محلها إهدار حقوق الوالدين الذي اعتبره الدين من أكبر الكبائر. و(التبرج) الذي أخذ يستشري في المجتمع مع عدم وجود التوجيه التربوي والاجتماعي المطلوب. كل ذلك يمثل علامة من علامات الساعة، ليس هذا فحسب بل أن النصيحة نفسها باعتبارها وسيلة لتعزيز القيم التربوية، لم تعد مقبولة لأن الرجال أصحاب القوامة على النساء قد ذهبوا ولم يعد موجود إلا أجسادهم، ولعله هنا يشير إلى ما ذكره من علامات بأنه هو (السبب) الذي قاد إلى هذه النتيجة وهي ضعف التربية وهشاشة أساليبها وانعدام الرقابة الاجتماعية باعتبارها عاملاً من عوامل الضبط الاجتماعي والأخلاقي. فالشيخ ينبه إلى ضرورة الاهتمام بهذه الأمور والعمل على الوقاية من المرض الأخلاقي باعتباره أفضل من العلاج بعد وقوعه. ولعل المتبع لأسلوب الشيخ فرح وإنتاجه الأدبي يجده لا يخرج من كونه موجّهات تربوية في قالب أدبي باعتبار أن التوجيه التربوية يحقق أفضل النتائج عندما يأتي في قالب أدبي، دون فرض وصاية على أحد .

### القيم التربوية الاقتصادية :-

لا يختلف اثنان على أهمية الاقتصاد ودوره في استمرارية الحياة وبقاء الأمم وتقدمها، ويكون من العسير بمكان الفصل بين الجوانب الاقتصادية والتربوية والاجتماعية، لأنها مترابطة مع بعضها البعض بدرجة كبيرة. فالعمل مثلاً كقيمة

تربوية نجدها ذات طبيعة اقتصادية في المقام الأول، لأنها تحدد قيمة الرجل ومكانته الاقتصادية ودرجة ثروته وهي في ذات الوقت قيمة اجتماعية، إذ أن مكانة الشخص في المجتمع ترتفع كلما زاد ماله وتقل إذا قل، وفقاً لقول الشاعر:

إن الدراهم في المحافل كلها تكسوا      الرجال جلالاً ومهاباً  
فهي اللسان لمن أراد فصاحة      وهي السلاح لمن أراد قتالاً

إن قيمة العمل عند فرح أكبر من كونه وسيلة للرزق فقط، بل هو أسلوب تربوي متقدم، خصوصاً في مجتمع ساد فيه التبطل والكسل ولم يعتد الكثير من رجاله على هذه الطريقة لكسب العيش، بل كان أفراد المجتمع يسخرون من العمل اليدوي والحرفي، وكانت كثير من الحكم والأمثال تدور حول استهجان هذا الأسلوب. وقد واجه الشيخ فرح في سبيل ذلك عناءً كبيراً ومشقة بالغة، خصوصاً وأن هنالك مجموعة من شيوخ الطرق في ذلك العصر أخذوا إلى الأرض، وصار كل همهم الدعة والتكسب من الآخرين، فضلاً عن ظهور بعض الشخصيات النمطية التي أخذت تدعو للتبطل والكسل. فقد ظهرت شخصية معروفة تسمى ود أبو زهانة(\*)، اكتسبت شهرة واسعة من كثرة ما نسب إليها من أقوال تستخف بالعمل اليدوي. ولا يخفي ما لهذه الدعاوي من أثر على المجتمع المحيط بها، إذ أفرزت جيلاً من الأتباع الذين سعوا لتأخير عجلة الحياة، إلا أن الشيخ فرح أدرك خطورة مثل هذه الشخصيات على المجتمع فتصدى لهم مفنداً أقوالهم بسلاح من ذات الشاكلة، ولم يكتف الشيخ فرح بالقول فقط بل أتبعه بالعمل إيماناً منه أن القول إذا لم يتطابق مع العمل أدى إلى نتيجة عكسية وأصبح صاحبه موضع تهكم وسخرية، فضلاً عن يقينه الذي لا يرقى إليه الشك من أن العبد ليس هنالك أفضل له من كسب يده مستدلاً بالحديث الشريف (من بات آكلاً من عمل يده بات مغفوراً له) (السيوطي د. ت، ص 83)، خصوصاً إذا كان ذلك الشخص في مكانة الشيخ فرح الروحية، وفي مجتمع كان يتغنى ويسخر

\* ود أبو زهانة شخصية شعبية معروفة في زمن الشيخ فرح.

من الذين يعملون بأيديهم، وله قصائد وأغنيات كثيرة في هذا الشأن حيث تصف  
الفتيات فارس الأحلام بأنه (الطيب محمد الطيب 1996م، ص72):

ما زرع القطن ما حت بي محجان  
ماشال الملود ما بيرعى ساق الضان  
موصمد السواقي اللابس الدلقان

فهن يتصورن أن الذي يعمل بالزراعة والرعي ليس هو الشخص الذي يستحق المديح  
والإشادة. ولمواجهه مثل هذا الواقع كان لا بد للشيخ فرح من اختيار وسيلة تربوية  
مناسبة لإيصال مراده إلى المجتمع، فاختر أمضاها في ذلك الوقت وهي الشعر، مما  
يدل على مدى عبقرية الشيخ التربوية وفهمه العميق لما يريد، حيث أنشد:

الحررات بيريدوربنا القدوس

قدحو في الملم يبقي دوام مدعوس

وإن مات ساقوه لي جنة الفردوس (الطيب محمد الطيب 1996م، ص9).

لم يكتف الشيخ فرح باختيار الوسيلة التربوية المناسبة فقط، بل ذهب إلى أبعد  
من ذلك حيث استخدم أسلوب التحفيز والثناء كأسلوب تربوي معروف ولعلها أصدق  
شهادة تصدر من مجتمع سنار بحق العمال والزراع يجزم لهم فيها الشيخ فرح. إن  
الحراث - أي المزارع - ليس محبوباً عند الناس فقط، بل هو محبوب عند الله  
كذلك. واستخدام عبارة (القدح المدعوس) كناية عن وفرة الطعام والخير الوفير الذي  
يجنيه من يعمل في فلاحه الأرض؛ ويسوق لهم البشرى كذلك حتى في الآخرة، فمصير  
المزارع جنة الفردوس. ويواصل الشيخ فرح حض الرجال على العمل لأنه أفضل من سؤال  
الناس وينهاهم عن الحضور إلى البيت في أوقات العمل لأن ذلك ليس من شيم الرجال  
أصحاب الهمة العالية :

بيتك لا تجيه في ليالي الحرة

جاهد الأرض مع الملود أنكر

ليالي تفاهها فيها لا تنفر

سيد العيش عزيز عليه الرجال تنجر (الطيب محمد الطيب 1996م، ص95).

يتسم أسلوب الشيخ فرح التربوي بأنه لا يضع نفسه موضع المعلم ويضع الآخرين موضع التلاميذ، لا بل يحث على تأكيد القيمة التربوية مقرونة بالعلة. وهذه طريقة معروفة عند المشتغلين بعلم المنطق والإقناع، كما أنها أسلوب قرآني ونبوي ورد في حديث الرسول ( صلى الله عليه وسلم ) الذي يقول : ( ما خلا رجلٌ بامرأة أجنبية إلا وكان الشيطان ثالثهما ) (البخاري 1987م، ص368) فقد قرن الرسول ( صلى الله عليه وسلم ) السبب والعلة في هذا الحديث. ونلاحظ كذلك أن الشيخ فرح قد اتبع ذات الأسلوب التربوي في نهاية آيياته الشعرية أنفة الذكر حيث ذكر السبب الذي يؤكد أهمية العمل وهو أن الرجل صاحب العيش تأتيه الناس طلباً لما عنده، الأمر الذي يضعه في موضع الأفضلية الاجتماعية والاقتصادية وهي ما لا يتوفر له إن رقد على طريقة (الانفرار) - وهو رقاد الكسالى - وفيه كل أسباب الرخاوة والدعة. هذا الأسلوب التربوي لا يضع الشيخ فرح موضع المعلم فقط ولكن يضعه موضع المستشار، لذلك فعندما جاءه من يستشيريه في بناء (ساقية) وهو أمر اقتصادي بالدرجة الأولى نجد أن الشيخ قدم له وثيقة اقتصادية أقرب ما تكون إلى دراسة الجدوى المعروفة الآن، وهذا ما يميز فرح عن شيوخ زمانه الذين ركز أغلبهم على الفقه والعقائد والتوحيد، لذلك يمكن أن نطلق عليه الشيخ الشامل وهو ما يميز علماء التربية في نظرتهم الكلية للأشياء، ويمكن أن نسبغ عليه أيضاً صفة الشمول من قوله:

إن درت السواقي وسع الاقنين

وفي سعاية البقر لا تزيد على جوزين

ودريديم الضان لا تمرقوا من العين

إن صرم يغنيك ويحل الدين

فالاقنين هو الجدول الذي يجلب الماء من النيل إلى الساقية، وكلما كان واسعاً كان الماء وفيراً وبالتالي كثر الإنتاج، واقتصار الأبقار على جوزين فيه تركيز على النوع لا

على الكم، ويعني هذا بالضرورة الجودة والتميز. وكذلك استخدم الفعل الذي يدل على التخيير (إن درت) مصحوباً بالعلّة فيه رؤية تربوية لا تقوم على الجبر والإكراه.

**التوظيف التربوي للدراما عند الشيخ فرح:**

يعتبر توظيف الدراما في التربية اتجاهاً تربوياً معروفاً للمشتغلين في هذا المجال وله فوائد قيمة في توصيل المعلومة وترسيخ القيم التربوية (شوكت عبد الكريم البياتي 1990م، ص114). ولا يمكن الحديث عن القضايا التعليمية والمشكلات التي تواجه العاملين في هذا المجال دون اللجوء إلى الحديث عن الوسائل التعليمية، باعتبارها ركيزة مهمة في العملية التربوية. والمعلم الناجح - كما يرى الكثيرون - هو الذي يحسن استخدام هذه الوسائل، إضافة إلى العناصر الأخرى التي يجب أن يتمتع بها في المواقف التربوية المختلفة.

إذا كانت تلك هي مكانة الوسيلة التعليمية في المجال التعليمي، فمن الضروري تسليط الضوء عليها بتركيز يوضح هذه الحقيقة لمن يجهلها ويذكر المتغافلين عن أهميتها التي تتبع من المبدأ الذي يفرض نفسه على التعليم بأن الوسيلة ليست حشواً لفراغات لا يجد المعلم شيئاً غيرها لسدها، بل لأنها تقوم بأدوار أساسية في إعانة المعلم على إيصال الرسالة العلمية والتربوية إلى الأجيال المتلقية بأساليب جذابة ومشوقة لا يمكن أن تكون إلا بواسطتها غالباً. والوسيلة في حد ذاتها تجعل المتعلم في موقف إيجابي متفاعلاً مع الموقف التربوي، وتنقله - شاء أم أبى - من شخص سلبي جامد إلى آخر أوسع مجالاً للتفاعل المثمر مع المواقف التربوية التي تمر به داخل وخارج غرفة الدراسة. يستطيع المتتبع لأسلوب الشيخ فرح في توظيف الدراما أن يدرك قدرته الفريدة على مثل هذا التوظيف الواعي والمقصود.

تأخذ الدراما حيزاً كبيراً من أدب الشيخ فرح ولها شكلين: أولهما صياغته للموضوعات التي يريد الحديث عنها بحيث تكون ذات مضمون هادف ومفيد للمجتمع. وثانيهما قدرته المدهشة على تحويل موضوع الخطاب إلى رواية بطريقة تشوق السامعين وتحفزهم للمتابعة (الطيب محمد الطيب 1996م، ص35). وقد درج على إقامة مسرح مفتوح للجماهير، لاعتباره المسرح أداة مهمة لتوصيل القيم التربوية التي كان يسعى

لإيصالها إلى المجتمع ، فقد عمد فرح إلى تحويل كثير من الأحداث التي مرت به إلى مسرحيات مفتوحة وقام بتوظيفها بطريقة فريدة للوصول إلى الهدف التربوي المنشود لعل من أشهرها قصته مع ابنته التي جاءت غاضبة وشاكية من زوجها، فما كان منه إلا أن وازن بين نصحتها شفاهة وبين استخدام وسيلة تربوية أخرى فاختر بحاسته التربوية، الخيار الثاني وبدأ في تطبيقه مباشرة ، فذهب إلى الخلاء وعاد باكياً، ما (أدهش) البنت وهذه أول مراحل التعلم عند التربويين، ثم (سألته) عن سبب بكائه فكانت هذه هي المرحلة الثانية في هذا الموقف التعليمي، بينما تولى هو الدخول إلى المرحلة الثالثة مباشرة عندما تأكد من جهوزيتها لاستقبال الرسالة التعليمية فأخبرها بأن الإبريق على رخص سعره وإمكانية الحصول على بديل له دون عناء، إلا أن هنالك ما يميزه عن غيره وهو رؤيته لعورتي وستره لي ردحاً من الزمن، وهذا يجعل البكاء عليه أمراً لا غبار عليه وله ما يبرره !فما كان من البنت إلا أن فطنت إلى ما يرمي إليه والدها فرجعت إلى بيت زوجها. لقد وصلتها رسالة الشيخ ونجحت الوسيلة التربوية التي اختارها في تحقيق الغرض، لأن الخطاب الذي يأتي بطريقة غير مباشرة غالباً ما يكون أوقع أثراً كما دلت التجارب؛ وهذا ما يطلق عليه علماء التربية التعليم بالنموذج (محمد عبد السلام العجمي 2007م، ص153). ويُعتبر الشيخ فرح من الرواد الأوائل لهذا الضرب من التعليم، فالثابت لدى علماء النفس التربويين أن التعليم يمر بثلاث مراحل، ففي المرحلة الأولى يكون الانتباه وفي المرحلة الثانية يكون الإدراك وفي المرحلة الثالثة يكون الفهم. وكلما زاد الانتباه زاد الإدراك بالتالي يزيد الفهم لدى الطالب (ماجدة السيد الخطيب 2001م ، ص124)، إذن فالوسيلة التعليمية تساعد المعلم في أن يكون موقفه التعليمي الذي هو بصدده أكثر إثارة وتشويقاً الأمر الذي يؤدي إلى زيادة انتباه الطلاب ويزيل حدة الموقف التعليمي ويمنع شرود ذهن المتعلم، ويؤكد هذا القول تزويجه لابنته هذه والذي تم بطريقة عملية ليقتدي الناس بسلوكه، حيث أخذ يدها وسار بها في الطريق وأخذ ينادي:

من داير حمامه قبال تحصل ندامة



النسوان شرموط كرامه زوجهن يا وهامه

ولعل هذه دعوة مبكرة لتسهيل الزواج بل نعلها المرة الأولى التي أطلقت فيها مثل هذه الدعوة، وهي دون شك من صميم مهام رجال التربية والمصلحين الاجتماعيين لأن تأخير الزواج يأتي بما لا تحمد عقباه فنلاحظ أن الشيخ وبحسه التربوي العميق لا يعمل على معالجة الظواهر الاجتماعية بأسلوب سطحي وبالقول دون أن يتبعه بالعمل ولكن ينفذ إلى أعماق المشكلة ويؤكد ذلك بقوله : (قبل أن تحصل الندامة)، وهو ما يعانیه مجتمعنا اليوم! فما أحرانا الآن من استهلاك هذه القيم التربوية وتطبيقها دون تردد، كي لا نحتاج بعدها لمؤتمرات أو ندوات كالتي تقام الآن دون الوصول إلى نتائج عملية، وتصير توصياتها عادة حبيسة الأدراج.

يظهر التوظيف التربوي للدراما أكثر وضوحاً عند الشيخ فرح في القصة المشهورة عن العيش (الذرة)، والتي ملخصها أن سنة عجفاء قد أصابت المجتمع السناري وانخفض فيها إنتاج العيش بدرجة كبيرة، مما أثر على مخزون الدولة من الحبوب، فأصدر السلطان أمراً بجمع العيش من الأهالي (سلفية)، فخشي الأهالي من هذا الأمر لأنهم تجرعوا غصة عدم الوفاء في مرات عديدة، وظل الشيوخ والمقاديم والجنود يلحون على الناس لتسليم ما لديهم من عيش، مما اضطرهم إلى اللجوء إلى الشيخ فرح كعادتهم يستشيرونه في الكيفية التي يتصرفوا بها تجاه هذا الأمر الجلل، فما كان منه إلا أن قال لهم قولته التي أصبحت مثلاً : " جرادة في الكف ولا ألف طائرة " (الطيب محمد الطيب 1996م، ص117)؛ وهو أسلوب تربوي متقدم يقوم على التعليم غير المباشر الذي عادة ما يكن ألصق بذهن المتلقي؛ كما أنه يجعل الشيخ بمنأى عن العقوبة بتهمة التحريض. والشيخ هنا يبدو أنه مستحضراً للحديث الشريف (أعقلها وتوكل) (ابن حبان 1993م، ص368)، غير أن جنود السلطان كانوا أكثر إلحاحاً في طلب العيش مما أوقع الشيخ في نزاع داخلي مع نفسه بين أن يطيع السلطان ويُفَرِّط في العيش وأن يعمل على توفير مخزون له ولعِياله وللمجتمع، والشيخ في هذه الحالة يضع في ذهنه ذلك الجمهور الذي عمل على وضعه في خانة المستشار، لذا لا بد من

اختيار وسيلة تربوية مناسبة لمخاطبة جمهوره واضعاً في حسبانته كثافة الجمهور المتعطش لسماع رأيه، فلم يجد وسيلة تربوية وتعليمية أنسب من المسرح لتوصيل أفكاره، متفهماً أهمية العمل الدرامي ودوره في الإقناع، خصوصاً في مجتمع مثل المجتمع السناري الذي ما زال في حالة انتقال ثقافي وتشكل الأمية نسبة كبيرة فيه، لذا لا بد من تدعيم الخطاب الشفاهي بعناصر أخرى ترمي إلى تعويض ضعف استيعاب الجمهور. وبعد أن أستقر رأيه على تسليم العيش لمناديب السلطان اشترط عليهم إمهاله إلى الغد حتى يتمكن من أخذ رأي العيش، أمام دهشة الجميع من هذا السلوك، بينما كان يرمي في الأصل إلى إعداد المسرح وحشد الجمهور، وبعد ذلك جاء حوار الشهير مع العيش كالآتي:

يا العيش يا العيش يا العيش

هي يا لخمري الداخرك لي عمري

يا البتغدى واتعشى فيك

وأصبح مشتبهيك أبيبعك أم أخليك؟!؟

وبعدها يصمت برهة ثم يكرر ذات المقاطع إلى أن يصل إلى قناعة بأن الجمهور أصبح مهيباً لاستقبال الرسالة التعليمية التي يرمي إلى إيصالها. ويعلم التربويون وكل من له إلمام بفن التدريس أن التهيئة عملية في غاية الأهمية لتوصل المعلومة وإعداد أذهان المتلقين، لذلك فإن الشيخ فرح قد تعمد التكرار في بداية المشهد حتى يرفع من حدة الموقف التعليمي ويضمن أن الجمهور معه بكل حواسه، الأمر الذي يجعل انسياب الفكرة التربوية أيسر ما يكون. وبعد حوار ليس بالقصير وانتظار طال بالنسبة لجنود السلطان قال لهم فرح أن العيش كلمني غير أنكم لا تسمعون حديثه فقالوا له ماذا قال فرد عليهم فرح قال لي :

أكان بعت نوم عينيك

أنا مالي بيك

ولا بد من الإشارة هنا أن أخذ الذرة من قبل عساكر السلطان أو عدمه ليس مهماً في حد ذاته، لكن المهم أن الشيخ استطاع أن يوصل رسالته التربوية إلى الجمهور حتى يحافظوا على مخزونهم من الذرة، لأن من لا يملك قوته لا يملك قراره. ويستمر التوظيف التربوي للمسرح عند الشيخ فرح بوعي ظاهر حيث يكون أكثر وضوحاً في قصة ذلك الرجل الذي استجار به من خطر يلاحقه وأشخاص يطلبونه فعمد الشيخ على إخفائه تحت كوم من القش غير أنه أخبر المطاردين بمكانه عند سؤالهم له مما عرض حياة المستجير للخطر إلا أن المطاردين استبعدوا هذا الاحتمال لعدم وجاهته وبعده من المنطق واتهموا الشيخ بالتحريف وانطلقوا. فخرج الرجل من كومه التبن غاضباً على الشيخ ومخاطباً له أقول: لك أسترني تقول لأعدائي (الرجل في التبن)، فقال له فرح (كان الصبح ما نجاك الكضب ما بنجيك) مما جعلها مثلاً سائراً ومنحوتاً في ذاكرة الناس حتى الآن، وأن السر وراء هذا الرسوخ جاء نتيجة حتمية لاستخدام فرح هذا الأسلوب التربوي المتقدم فالصدق كقيمة تربوية هامة يشغل حيزاً كبيراً من فكر الشيخ ولا شك أن كثيراً من العلماء والشيوخ المصلحين التربويين قد تحدثوا عن ضرورة وأهمية الصدق كقيمة تربوية ولكن لا يوجد أحد يحفظ لهم مثل هذه الأقوال، ولعل السبب حسب رأي المتواضع يكمن في تغليب الشيخ فرح لآرائه التربوية وتدعيمها بوسائل تسهم في ترسيخ الفكرة وبقائها في أذهان المتلقين وهو قطعاً من خلال هذا الحدث الفردي يخاطب جمهوراً عريضاً وازعاً هذه الحادثة كمثال يمكن أن ينطبق على كل شخص، لذلك يصح أن يوضع الشيخ فرح موضع المعلم الذي يشرح فكرته بياناً بالعمل ويضعنا نحن في موضع الطلاب دون أن نشعر نحن بهذه الوضعية.

### التوظيف التربوي للمناظرة:

تعرف المناظرة بأنها واحدة من وسائل التربية بالإقناع الفكري عند علماء التربية منذ زمن بعيد وقد أشار إليها ابن خلدون باعتبارها عاملاً مساعداً في الفهم كما استخدمها الإمام مالك إمام دار الهجرة مع مجادلبيه (عبدالعاطي أحمد موسي 2011، ص 88). بل وقد استخدمت في فترات أقدم من ذلك بكثير حين كانت المناظرات تعتبر الطريقة المفضلة عند سقراط في التدريس وكانت تكتسب عنده

أهمية تربوية خاصة وهي تقوم على إقناع الطرف الآخر بخطأ معتقده أولاً ثم إقناعه بالرأي الآخر بعد أن يكون في موقع الحياد (محمد حسن العميرة 2000م، ص113). ومن خلال هذا الحوار وتوليد الأفكار والمعاني كان سقراط يستثير تفكير تلاميذه ويحملهم على إعمال الفكر والحوار في الموضوع الذي يناقشونه .

يستطيع القارئ لتراث الشيخ فرح الأدبي أن يضع يده على أكثر من واقعة تم فيها توظيف المناظرة لإيصال قيم تربوية ما كان لها أن تصل بغير هذه الوسيلة . وقد أكسبت هذه الطريقة الشيخ فرح عداوة كثير في الشيوخ المعاصرين له والذين يعتبرونها خروجاً عن الطرق المألوفة في ذلك الزمان (الطيب محمد الطيب 1996م، ص61).

مما يحمده للشيخ فرح أنه قام بتوظيف هذا الأسلوب (المناظرة) بطريقة واعية وبعيداً عن أسلوب المهاترات والتشائم، واضعاً في حسبانته وجود نوعين من الجمهور، أولهما: جمهور معادي يتبع للشيخ في الطرف الآخر وله رأي سالب في أفكار الشيخ فرح، وثانيهما جمهور ايجابي يتبع للشيخ فرح، الأمر الذي يجعل مهمة الشيخ فرح تحتاج لقدرة غير يسيرة من الملكة والدراية ونراها بوضوح في قصة ذلك الرجل من أتباع فرح وإسمه (البدرى) حينما طلب من الشيخ أن يعزم (يرقي)\* له على يده، جرياً على العادة التي كانت سائدة وقتذاك، (شرف الدين الأمين عبد السلام 1989م، ص86) فانتهاز الشيخ فرح هذه السانحة ليبيث من خلالها قيماً تربوية يعالج بها المأاجتماعياً كامناً في المجتمع متجاوزاً الألم الحسي الذي يشكو منه ذلك الرجل (البدرى)، وركز هنا على قيمة العمل واعتماد خريطة طريق سهلة التطبيق تعمل على محاربة التبطل انتظاراً للمجهول، خاصة أن المجتمع السناري كان في ذلك الوقت يرى أن العمل اليدوي نوعاً من الوضاعة الاجتماعية (شرف الدين عبد السلام 1989م، ص72)، فما كان من الشيخ فرح بعد أن قام بالكشف على يد ذلك الحوار وحدد الداء فكتب له وصفة

\* علاج يقوم على الرقية ويكون لاعتقاد المرید في الشيخ دوراً حاسماً في الشفاء .

علاجية تربوية لتعالج ذلك المرض إلى الأبد لكل من يعاني ويشكو ذات الآلام. فنصحته بالقيام باكراً لما لذلك من فوائد جسمية وصحية معروفة أكدتها الاكتشافات الطبية لاحقاً (مختار سالم أحمد 1988م، ص241)، ثم الصلاة في وقت الفجر لأن البركة في البكور كما قال (صلى الله عليه وسلم) : (اللهم بارك لأمتي في بكورها) (أبو داود 1422هـ، ص2606). والبركة المقصودة هنا ليس كثرة العمل فحسب وإنما بركة ربانية خص الله بها الذين يعملون في البكور، وكما هو معلوم فإن الأرزاق تقسم في وقت صلاة الفجر، فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم لفاطمة الزهراء رضي الله عنها : (يا بنية قومي فاشهدي زرق الله فإن الله تعالى يوزع أرزاق العباد ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس) (البيهقي 1421هـ/2000م ، رقم (4735)، كما قال صلى الله عليه وسلم: (إذا صليتم الفجر فلا تناموا عن طلب أرزاقكم) (الطبراني في السيوطي // [www.shamela.wwtt](http://www.shamela.wwtt)). ويواصل الشيخ فرح في دعوته للبكور (البدار) وهو ممسكاً بيد حوارته طالباً منه أن "يحش" (ينظف) ويحصد "بدرى" (باكراً) مؤكداً له أن لا أحد يستطيع أن يحصل على إنتاج أعلى من إنتاجه أن هو تقيد بهذه الوصفة التربوية، ونخلص من هذا إلى أن الحديث برمته كان موجهاً أيضاً للشيوخ الآخرين الذين لا يحثون أتباعهم للعمل باكراً، فقد كان الشيخ فرح يرمي إلى إحداث تغيير في أفكارهم وآرائهم دون أكره أو جبر، بمخاطبة العقل وتقديم الحقائق المنطقية، ومن ثم ترك الخيار النهائي لهم. وتتحو مناظرته مع بعض المخالفين له من الشيوخ منحى آخر حيث تأخذ المناظرة طابع المواجهة المباشرة، وفي هذه الحالة تسمى "الجلسة"، ولعل أشهرها مناظرته مع الشيخ محمد عبد الحي الذي وصف بأنه كان معجباً بنفسه ومعتداً بها، ويظهر ذلك في قوله عند بداية المناظرة معرفاً بنفسه :

أنا محمد ود عبد الحي أنا التنجييض ما ني

أنا ود عبد الحي يابس كدادة خنصر الديك قدوم الجدادة

فلم يضع الشيخ فرح هذه السانحة عندما أتت له فرصة الكلام بل انتهزها موضعاً للنظيره وللمجتمع كافة قيمةً تربوية غاية في الأهمية يجب على الناس إمتثالها، لا سيما

الذين يقومون بتعليم الآخرين ويعتبرون قدوة في نظر غيرهم، وهي قيمة التواضع والزهد حيث ذكر فرح معرفةً بنفسه، وموضحاً لذلك الشيخ المتغطرس حقيقته :

أنا فرح الووني      أول أمري مـني  
وموضوع في محلاً شني      ولولا فضل ربي الغني

لا تلمس ويندني

وليس مهماً النتيجة التي انتهت إليها المناظرة بقدر أهمية هذه القيم التربوية التي يبثها الشيخ من خلال حكمه، خصوصاً أن هذه المناظرة كان بها شهوداً كثيفاً يتربح نهايتها، فعمد الشيخ فرح على تحييد هذا الجمهور على الأقل فيما يعرف (بإتقان البدايات) عن طريق اختيار أفضل المداخل ونجح في ذلك نجاحاً كبيراً مهد له الطريق لاستمالة ذلك الجمهور العريض وأوجد لتلك القيم التربوية أرضاً خصبة وبيئة صالحة للنمو مما أكسبها الاستمرارية والقبول (الطيب محمد الطيب 1996م، ص75).

#### كيفية الاستفادة التربوية من حكم الشيخ فرح :

لا خلاف بين الباحثين التربويين على أهمية توظيف التراث لخدمة القضية التعليمية والاستفادة منه إلى أقصى حد ممكن، وإن كان ثمة خلاف فقد يكمن في كيفية ذلك التوظيف، فتراثنا ليس كله حسناً ولكنه يحتاج لباحثين على قدر من التأهيل والتدريب وقبل ذلك الإيمان بالفكرة في حد ذاتها لتتقيته من الشوائب، ومن هنا يأتي إهتمامي الشخصي بهذا الموضوع كدارس أكاديمي للتراث السوداني من جهة، وكباحث في التربية من جهة أخرى، فاستخدام الوسائل التعليمية لم يعد ترفاً وحكراً على القادرين فقط كما أن الوسائل التعليمية الجيدة ليست بالضرورة غالية السعر (مصطفى حسن عبد الرحمن 1991م، ص87).

ما سبق يبرز أهمية الحس الذي يملكه المربي في إنتقاء هذه الوسائل التربوية التي تتناسب مع البيئة ومعرفته لحالة المتعلم، الأمر الذي نلاحظه بوضوح عند الشيخ فرح عند استخدامه لأسلوب السجع وهو أسلوب يقع بين الشعر والنثر، مراعيًا في ذلك الاختلاف الثقافي وقدرات جمهوره وهو ما يسميه علماء التربية المحدثون (الفروق الفردية)، فالمعلم الناجح ليس هو الذي يملك قدراً هائلاً من المعلومات - على أهميتها

- ولكن المعلم الناجح هو الذي يحسن توظيف ذلك القليل ويحسن إيصاله إلى طلابه، مستخدماً شتى الطرق المؤدية إلى تحقيق ذلك الهدف، ويزداد هذا الأمر وضوحاً عند فرح عند ما يقدم إلى جمهوره خبرات تربوية حية ومشاهدة وقوية التأثير باعتباره قدوة، لأن الكلام النظري الذي لا يرتبط بالواقع سرعان ما ينسى خلاف التعليم الذي نستخدم فيه الوسائل التعليمية استخداماً جيداً ليبقى منحوتاً في ذاكرة المتلقي، ولعل هذا هو السبب الذي جعل حكم الشيخ فرح باقية يتداولها الناس ويتمثلونها في واقعهم حتى الآن، كذلك على المربين استخدام أسلوب ضرب الأمثال والمحاكاة، لكن دون إسراف مخل، وهذا يتوقف على ملكات المعلم التي يجب أن يتخير لها الوقت والمكان المناسبين، على ألا تكون في كل الأوقات (يحيى مصطفى عليان 2003م، ص 133)، وهذا ما فطن له الشيخ فرح حيث عرف بظفرته التربوية السليمة. إن تنوع المواقف التعليمية يعمل على كسر الروتين ويذهب بالملل ويمنع شرود الذهن، فاستخدامه في الدراما يدل على إيمانه ومعرفته بأن الرموز اللفظية التي يتم تلقينها للجمهور تعتبر في بعض الأحيان عصية على الفهم ويعيدة عن الواقع المحسوس، لكن يمكن التغلب على هذه المشكلة عن طريق توظيف وسيلة تربوية أخرى تعمل على التأثير على حاسة أخرى كالنظر أو السمع أو الحاستين معاً، وحري بنا أن نسعى لتطبيق هذا المنهج على واقعنا، فقد أثبتت التجارب أن التعليم يتم عن طريق الحواس التي هي ليست على درجة واحدة في قدرتها على تجميع المعلومات والاستفادة منها (مصطفى عبد السميع محمد 2001م، ص 40). وعندما لا يستخدم المعلم الوسيلة التعليمية المناسبة فإن بعض التلاميذ يجد صعوبة بالغة في مسابرتهم، وبالتالي فإن الفروق الفردية بين الطلاب تزداد اتساعاً، ويصعب معالجتها إلا عن طريق التنوع في استخدام الوسائل، مما يرفع من معدل فهم التلاميذ.

### الخاتمة:

غني عن القول أن الشيخ فرح لم يكن متخصصاً في علم التربية ولم يدرس نظرياتها، غير أن أسلوبه التربوي ينم عن معرفة فطرية بأساليب التربية الفعالة، فقد أظهر مقدرة كبيرة ومعرفة بخصائص المجتمع الذي يخاطبه، وقد برع دون شك في

توظيف هذه الأساليب بامتياز وصولاً للهدف التربوي المنشود. ومن خلال هذه الدراسة حاول الباحث الوقوف على هذا التوظيف وأشار إليه من خلال القيم التربوية التي وردت حوله من خلال حكم الشيخ فرح. وقد خلصت الدراسة للآتي:

١- إن الشيخ فرح، ورغم عدم اختصاصه في التربية، يعتبر تربوياً بامتياز، خصوصاً عند توظيفه للوسائل التعليمية وذكره للموقف التربوي مقروناً بالعلة والسبب متأسيماً بالقرآن الكريم والسنة النبوية.

٢- الإطلاع على تراث مثل هذا الشيخ وإخضاعه للدراسة العلمية المنهجية ضرورة للمشتغلين في حقل التربية، للاستعانة به في تحقيق رسالتهم التربوية.

٣- يلحظ أثر الثقافة الإسلامية بوضوح من خلال نصوص الشيخ فرح، ويرجع ذلك لخلفية الشيخ الدينية والبيئة الاجتماعية التي عاش فيها.

#### المصادر والمراجع:

##### أولاً: المصادر:

- القرآن الكريم.
- أبو داود، سليمان الأشعث بن داود السجستاني 1422هـ، سنن أبي داود، (تحقيق) محمد محي الدين، دار الفكر، بيروت.
- البخاري، محمد بن إسماعيل 1987م، صحيح البخاري، ط3، دار ابن كثير، بيروت.
- مسلم، أبو الحسين بن الحجاج 1983م، صحيح مسلم، ط2، دار الجيل بيروت.
- البيهقي، الحافظ أبي بكر 1421هـ/2000م، الجامع لشعب الإيمان، (تحقيق) محمد السعيد بن بسيوني، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت.
- السيوطي، جلال الدين (د.ت)، الجامع الصغير في أحاديث النذير البشير، دار الفكر، بيروت.
- السيوطي، جلال الدين، جامع الحديث، <http://www.shamela.ws>



- ابن حبان، محمد بن حبان البستي 1993م، صحيح ابن حبان، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- البيهقي، أحمد بن الحسين (د.ت)، دلائل النبوة، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم 1426هـ، مجموع الفتاوي، ط3، دار الوفاء.
- ابن منظور، جمال الدين ابن مكرم (د.ت)، لسان العرب، دار صادر، بيروت.
- الفيروز أبادي، مجد الدين (د.ت)، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت.

### ثانياً: المراجع:

- أحمد عبد الله محمد 2007م، الوسائل التعليمية، دار الجيل، بيروت.
- الطيب محمد الطيب 1996م، فرح ود تكتوك حلال المشبوك، دار البلد، الخرطوم.
- شوكت عبد الكريم البياتي 1981م، تطور فن الحكواتي في التراث العربي، در الثقافة، بغداد.
- خالد طه محمد 2005م، التعليم والتعلم المستمر، دار وائل للنشر، عمان.
- صالح هندي دياب 2005م، أسس التربية، ط2، عمان.
- عبد الله ناصح علوان 1981م، تربية الأولاد في الإسلام، ط3، دار السلام، حلب.
- على خليل أبو العينين 1985م، فلسفة التربية الإسلامية في القرآن، ط2، دار الفكر، القاهرة.
- ماجدة السيد الخطيب 2001م، الوسائل التعليمية ودورها في التعليم، دار العلم القاهرة.
- محمد إبراهيم كاظم 1992م، تطورات في قيم الطلبة، مكتبة الأنجلو، القاهرة.
- محمد حسن العميرة 2000م، الفكر التربوي الإسلامي، ط7، دار المسيرة عمان.
- محمد عبد السلام العجمي 2007م، أصول التربية الإسلامية، منشورات جامعة السودان المفتوحة، الخرطوم.

- مختار سالم أحمد 1988م، الطب الإسلامي بين العقيدة والابتداع، مؤسسة المعارف، بيروت.
  - محمد عبد الله قطب 1982م، منهج التربية الإسلامية، ط6، دار الشروق، بيروت.
  - محمد وجيه الصاوي 1990م، القيم الإسلامية، الدوحة .
  - مصطفى حسن عبد الرحمن 1991م، مفهوم الوسائل التعليمية والتكنولوجية، ط1، دار أحياء التراث الإسلامي، المدينة المنورة.
  - مصطفى عبد السميع محمد 2001م، الاتصال والوسائل التعليمية، ط 1، القاهرة.
  - نادية جمال الدين إبراهيم 1988م، فلسفة التربية عند أخوان الصفاء، المركز العربي للصحافة، القاهرة .
  - نعوم شقير 1981م، تاريخ السودان، دار الجيل، بيروت .
  - يحيى محمد إبراهيم 1987م، تاريخ التعليم الديني في السودان ط1، دار الجيل، بيروت .
  - يحيى مصطفى عليان 2003م، وسائل الاتصال وتكنولوجيا التعليم، دار صفا للنشر، ط2، عمان .
  - يوسف فضل حسن 1986، تاريخ الممالك الإسلامية في إفريقيا، دار الجيل، بيروت.
- ثالثاً: الدوريات:**
- شرف الدين الأمين عبد السلام 1989م، "كرامات الأولياء والصالحين في السودان"، مجلة الدراسات السودانية، السنة الثالثة، تصدر من معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية، جامعة الخرطوم، الخرطوم.
  - عبد العاطي أحمد موسى قдал 2011م، "أساليب التربية بالإقناع الفكري عند الإمام مالك"، مجلة التأصيل، العدد الثالث، السنة الثانية، جامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم.

## فكر الغزالي ورأيه في مدارس عصره الفكرية

د. صلاح بكري محمد يوسف

جامعة أمدرمان الإسلامية

### تمهيد:

إذا أردنا أن نفهم فكر الغزالي فهماً سليماً فلا بد لنا من التعرف على الاتجاهات الفكرية التي كانت سائدة في عصره. ولا نريد بذلك أن نقول إن الغزالي قد قنع بمجرد جمع الاتجاهات والأفكار المختلفة في عصره جمعاً يتسم بطابع التوفيق والانتخاب الذي ليست له أية سمة خلاقة، أو أن فكره كان منبثقاً إنشاقاً ضرورياً من عقلية عصره، وإنما نعني أن معرفة الحياة العقلية للعصر الذي عاش فيه تعد ضرورية إذا أردنا فهم التطور العقلي للغزالي. وذلك لأنه - في أثناء بحثه عن الحقيقة - قد استوعب المدارس الفكرية التي كانت سائدة آنذاك استيعاباً تاماً ودرسها دراسة جدية، ونقدها نقداً عميقاً.

توصل الغزالي من خلال اطلاعه بتحليل النشاطات الفكرية في عصره إلى أن ذاك العصر - بوجه عام - قد وصل إلى حالة من الانحدار العقلي والخلقي للحد الذي لم يعد في الإمكان السيطرة عليه. وتلفت الغزالي حوليه باحثاً - دون جدوى - عن القوى الإيجابية التي كان يمكن أن تواجه ذلك الانحلال، فالأطباء - الذين كان ينبغي عليهم أن يكافحوا هذا المرض - هم أنفسهم مرضى، وفاقد الشيء لا يعطيه، " وقد عم الداء، ومرض الأطباء، وأشرف الخلق على الهلاك" (الغزالي 1934م، ص151). استطاع الغزالي في النهاية أن يتوصل عن طريق استقلاله العقلي وحدة ذهنه إلى إعادة بناء الفلسفة بناءً جديداً خلاقاً، كما نجح أيضاً - في هذا السبيل - في ميدان التصوف وعلوم الدين. ولا نريد في هذا المقال أن نستعرض بتفصيل دقيق تطور الاتجاهات والمذاهب الفكرية في ذلك العصر من ناحية تاريخية، وإنما نريد فقط أن نلقي نظرة سريعة عليه مستندياً أساساً على عرض الغزالي نفسه. وتبريرنا لذلك هو أن الغزالي كان أكثر تفهماً وإحاطة بتطورات عصره من أي مفكر آخر.

قسم الغزالي المذاهب الفكرية - التي كانت سائدة آنذاك - إلى أربع طوائف، تتمثل في اتجاهات المتكلمين والفلاسفة والباطنية والمتصوفة (الغزالي 1934م، ص76 وما بعدها). وستسير فيما يلي على هذا التقسيم بعد استعراض أبرز معالم حياته ومحتوي مؤلفاته.

### حياة الغزالي ومؤلفاته:

#### 1- حياة الغزالي:

ولد محمد بن محمد أبو حامد الغزالي في عام 1058/450م في طوس من أعمال خراسان. كان والده محباً للعلم وأهله، ولكن الظروف لم تساعده على أن يشتغل بالعلم، فكان يأمل أن تتاح الفرصة لولديه للاشتغال بالعلم الذي حرم منه، ولهذا ترك الأب - عند موته المبكر - ولديه فيلسوفنا أبا حامد وأخاه أحمد في رعاية صديق له، حيث أتاحت لهما الفرصة لتلقي التعليم الضروري التقليدي حتى نفذ ما تركه لهما والدهما من ميراث، فأوصاهما معلمهما أن يواصلتا تعليمهما في إحدى المدارس التي كانت قائمة آنذاك، حيث تتاح لهما فرصة الحصول على التعليم المجاني والقوت.

بعد أن درس الغزالي الفقه في طوس وجرجان انتقل إلى نيسابور، وهناك تتلمذ على إمام الحرمين الجويني. وأظهر نبوغاً عظيماً ودرس علوم الدين والفلسفة والمنطق وغيرها. وبعد موت أستاذه في عام 1085/478م توجه الغزالي إلى مجلس الوزير الكبير نظام الملك. وقد كان هذا المجلس منتدى العلماء، وهناك تفوق الغزالي على كل من كانوا يرتادونه من العلماء وظهر عليهم. وفي عام 1091/484م عينه الوزير نظام الملك أستاذاً في المدرسة النظامية في بغداد حيث تجمع حوله عدد كبير من الطلاب (الغزالي 1934م، ص 83) ( ثلاثمائة طالب). وقد ظل الغزالي يمارس مهنة التدريس أربع سنوات، ثم ترك بغداد لكي يعتزل الحياة العامة، وظل عشر سنوات في عزلة اختيارية، وفي خلال هذه المدة أقام بصفة خاصة في دمشق وسافر إلى كل من القدس ومكة والمدينة وبعد هذه العزلة الطويلة عاد - بناء على أمر

السلطان - إلى التدريس في المدرسة النظامية في نيسابور، ولكن لفترة قصيرة. ثم رجع أخيراً إلى مسقط رأسه، وهناك بنى بجوار منزله مدرسه لطلبة العلم. وقد مات الغزالي في طوس سنة 505هـ/1111م.

اعتُبر الغزالي - في أثناء حياته - مجدد الدين في القرن الخامس الهجري استناداً إلى الأثر المشهور من "أن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها" (رواه أبو داود 1388هـ، ص 387؛ البيهقي 1353هـ، ص 163؛ الحاكم 1384هـ، ص 242). وكان لشخصية الغزالي الفذة عميق الأثر وبالغ التقدير لدرجة أنه قد قيل فيه: "لو كان نبي بعد النبي لكان الغزالي" (الزبيدي 1965م، ص 9). وقد استطاع العمل الفذ الذي قام به الغزالي أن يحتفظ بفاعليته على مر القرون، ولم تتل الأيام والليالي من أفكاره، بل بقيت حية تؤثر تأثيراً كبيراً حتى اليوم على الحياة العقلية في العالم الإسلامي.

## 2- نظرة عامة في مؤلفات الغزالي:

لقد نسب للغزالي على مر الأيام عدد كبير من الكتب، وهناك - منذ زمن طويل - جهود علمية تحاول معرفة الصحيح من المنحول من بين هذه المؤلفات، وترتيبها ترتيباً زمنياً لكي يكون من السهل فهم عمل الغزالي العلمي فهماً جيداً. ومن المؤكد أن الغزالي كان مؤلفاً غزير المادة لا يمل من كثرة التأليف. وقد ظلت عادة الكتابة عنده قوية لم يطرأ عليها أي فتور حتى في أثناء الوقت الذي اعتزل فيه العالم ليمارس حياة التصوف، ففي هذا الوقت بالذات ألف كتابه الرئيس "إحياء علوم الدين".

إن مهمة التثبت من المؤلفات صحيحة النسبة للغزالي ليست مهمة سهلة لأسباب مختلفة، وبوجه خاص لأن الغزالي كان مؤلفاً متعدد الجوانب مشتغلاً بعلوم كثيرة. وقد نسبت إليه أيضاً كتب في السحر وما شاكلة من معارف. ولكن من الواضح أن العقلية التي كان يتمتع بها الرجل حمته من الاشتغال بمثل هذه الأمور كما يقول ابن خلدون (ابن خلدون 1984م، ص 505). وإذا صرفنا النظر عن هذه الكتب فإننا نجد أمامنا عدداً وافراً جداً من مؤلفات الغزالي - التي تعتبر صحيحة النسبة - في علوم

الدين والفلسفة والتصوف، بسط فيها أفكاره الأساسية. ولو حاولنا هنا حصر كل كتب الغزالي فإن ذلك سيبعدنا عن مجال هذا البحث الذي نحن بصدد، فضلاً عن أن ذلك ليس من مهمتنا هنا، ولهذا فإني أحيل القارئ إلى بعض أبرز المؤلفات التي اشتغلت بهذا الموضوع مثل:

(أ) كارل بروكلمان في كتابه: *Geschichte der Arabischen literature*: الجزء الأول من الطبعة الثانية ص 535 حتى 546 والملحق Supplement الجزء الأول ص 744 حتى 756).

(ب) Bouygues, M. (ed.)1995, *Al-Ghazali, L'incoherence des philosophes*, Beyrouth.

(ج) عبد الرحمن بدوي، مؤلفات الغزالي، القاهرة، 1961م.

إذا أردنا أن نفهم نشاط الغزالي العلمي فيجب علينا ابتداءً أن نعلم أن الغزالي قد ألف بجانب كتبه العلمية الكثيرة عدداً كبيراً من المؤلفات الشعبية، وهي مؤلفات كتبها للعامة البسطاء الذين لم ينالوا حظاً من الثقافة العلمية الواسعة. ويعالج الغزالي في هذه المؤلفات - بلغة سهلة - موضوعات دينية وأخلاقية، من هذه المؤلفات: "الدرة الفاخرة"، و"بداية الهداية"، و"منهاج العابدين".

أما الكتب العلمية فقد ألّفها الغزالي لأناس يملكون القدرة على التفكير المستقل الذي يعتبره الغزالي شرطاً أساسياً ضرورياً لكل جهد علمي، فقد كافح الغزالي طوال حياته - كما سنبين ذلك فيما بعد - كل تبعية عقلية أو تقليد على اعتبار أن ذلك يشكل العقبة الرئيسية التي تقف في سبيل أي عمل علمي وفي طريق البحث عن الحقيقة. واستطاع الغزالي أن يحقق في حياته المثل المتكامل للتفكير العقلي المستقل، ولهذا كان للغزالي الحق في أن يقول: إن من نبض عليه عرق من عروق التقليد لا يصلح لصحبته (الغزالي 1966م، ص 79؛ الغزالي 1965م، ص 100).

يرى الغزالي أن الحقيقة لا يمكن أن تؤخذ تقليداً عن الآخرين، بل يجب أن يدركها المرء بنفسه عن طريق تفكيره الخاص، تماماً مثلما لا يمكن للمرء أن يبصر بعين الآخرين بل يجب عليه أن يستخدم عينيه هو إذا أراد أن يبصر شيئاً. يقول الغزالي:

"واطلب الحق بطريق النظر.. ولا تكن في صورة أعمى .. فلا خلاص إلا في الاستقلال"  
(الغزالي 1965م، ص409).

### المؤلفات الفلسفية:

بدأ الغزالي في تأليف كتب فلسفية في الفترة التي كان يقوم فيها بالتدريس في المدرسة النظامية في بغداد، وذلك بعد أن اشتغل في أوقات فراغه بعلم الفلاسفة ما يقرب من عامين حتى وقف على منتهى علومه، ثم تأمل وتفكر عاماً آخر فيما درسه في العامين السابقين كما يروي لنا ذلك في عرضه لتاريخ حياته (الغزالي 1972م، ص83). وكانت الثمرة الأولى لهذه الجهود هي كتابه "مقاصد الفلاسفة" الذي عرض فيه تعاليم الفلاسفة العرب الأرسطيين في ذلك العصر، فيما يتعلق بالمنطق والإلهيات والطبيعيات. وكان عرض الغزالي هنا عرضاً محايداً لم يقحم عليه رأياً خاصاً له، بل "مقصود الكتاب حكاية مقاصد الفلاسفة، وهو اسمه" (عبد الرحمن بدوي 1961م، ص31). ولكن الغزالي قد أشار في مقدمة كتاب (المقاصد) وفي ختامه على أنه سيتبع هذا الكتاب بكتاب آخر ينقد فيه تعاليم الفلاسفة. وهذا النقد المنتظر عرضه الغزالي في كتابه المشهور "تهافت الفلاسفة" حيث ناقش آراء الفلاسفة وبين تناقضها فيما يتعلق بعشرين مسألة في الإلهيات وبعض مسائل الطبيعة.

ظل الغزالي في كتاب (التهافت) وفيما للعهد الذي قطعه على نفسه (الغزالي 1962م، ص 212- 43) وهو القيام بدور الناقد فقط، أي أنه يهدم عمارة الفلاسفة العرب الأرسطيين بدون أن يبني مكانها شيئاً جديداً. إنه يبرهن للفلاسفة على أنهم لم يكونوا قادرين على حل المسائل الإلهية، وأن ما توصلوا إليه في ما وراء الطبيعيات (metaphysics) ما هو إلا دعاوي اعتقادية يمكن إظهار بطلانها. ويؤكد أنه لا يريد أن يذكر في هذا الكتاب حلاً إيجابياً للمسائل التي تعرض لها. ولكن الغزالي في الوقت الذي يظهر فيه للفلاسفة تناقض وبطلان دعاوهم "الميتافيزيقية" دون أن يتخذ موقفاً إيجابياً، يتخذ لنفسه في واقع الأمر موقفاً ثابتاً، وذلك لأن النقد لا يمكن أن يحدث في فراغ، فالتنقد يتطلب العقل معياراً له، وعن طريق العقل وحده

يمكن تمييز الحق من الباطل. وإذا كان الغزالي خلال مناقشاته في (التهافت) يتحدث أيضاً عن مسائل العقيدة، ويتهم الفلاسفة بالكفر فيما ذهبوا إليه بصفه خاصة في أن:

- 1- العالم قديم.
- 2- إن الله لا يعلم إلا الكليات.
- 3- إن البعث سيكون بالروح فقط.

رغم ذلك ظل الغزالي في نقاشه وفي نقده لا يتعدى نطاق العقل، حيث كان يضرب الفلاسفة بنفس أسلحتهم. ويعد نقده لفلاسفة عصره من نوع المناقشات التي تدور "بين العقل الخالص والفلسفة الاعتقادية" (Abu Ridah 1952, p63).

لم يمتد نقد الغزالي للفلاسفة إلى تعاليمهم في المنطق. فقد أخذ الغزالي المنطق عنهم وعرضه بالتفصيل في كثير من كتبه. وأخذ على عاتقه طوال حياته مهمة بيان الدور الحاسم للمنطق كمعيار لكل فكر ولكل علم، وهكذا كان الكتاب الفلسفي التالي للتهافت هو "معيار العلم" الذي اشتغل فيه بعرض المنطق، وهذا الكتاب يهدف بجانب ذلك - إلى تسهيل فهم المسائل الفلسفية التي تناولها الغزالي في كتابه (التهافت) (عبد الرحمن بدوي 1961م، ص 59). وللغزالي في المنطق أيضاً كتاب "محك النظر" وكتاب "القسطاس المستقيم" الذي كتبه على طريقة حوار بينه وبين أحد الباطنيين، وعرض فيه التعاليم المنطقية بطريقة سهلة تناسب عقلية هذا الباطني (الغزالي 1966م، ص 42). وفي كتاب "المستصفي من علم الأصول" - الذي خصصه الغزالي لأصول الفقه والذي ألفه قبل موته بعامين تقريباً - عرض الغزالي مرة أخرى للمنطق وأهميته البالغة لكل علم على الإطلاق، وذلك في المقدمة الطويلة لهذا الكتاب (الغزالي 1324هـ، ص ص 10 - 55).

هناك في عصر الغزالي بعض العلماء الذين ذموا الفلسفة اليونانية بخيرها وشرها، واعتبروها برمتها كفرةً وزندقة، وفي الوقت نفسه رفضوا المنطق أيضاً باعتبار أنه من علوم هذه الفلسفة. وقد سعى الغزالي إلى كشف خطأ هؤلاء المتعصبين عن طريق عرضه المفصل لحقيقة المنطق، وبيان أن المتكلمين أيضاً قد استخدموا المنطق



على الرغم من استعمالهم اصطلاحات فنية أخرى وعدم تعمقهم في تعاليم المنطق ككل.

بيّن الغزالي في كتاب "محك النظر" الطريقة التي سار عليها في عرضه للمنطق. فقد أبتكر كثيراً من الاصطلاحات الفنية. ويقول هو في ذلك: "فإني اخترعت أكثرها من تلقاء نفسي لأن الاصطلاحات في هذا الفن ثلاثة، اصطلاح المتكلمين والفقهاء والمنطقيين. ولا أوتر أن أتبع واحداً منهم فيقصر فهمك عليه، ولا تفهم اصطلاح الفريقين الآخرين ولكن استعملت من الألفاظ ما رأيته كالتداول بين جميعهم، واخترعت ألفاظاً لم يشتركوا في استعمالها، حتى إذا فهمت المعنى بهذه الألفاظ فما تصادفه في سائر الكتب يمكنك أن ترده إليها وتطلع على مرادها منها" (الغزالي 1966م، ص 48- 49) حيث يشير إلى أن المنطق أصبح له مكان في الإسلام بفضل الغزالي.

قرر الغزالي - كما سنعرض فيما بعد في هذا الكتاب - أن العقل له الحق في الوصول إلى معرفة مستقلة عن الشرع فيما يتعلق بالله وبالعالم (الغزالي 1962م، ص 107) حيث يقول: "أما المعلوم بدليل العقل دون الشرع فهو حدوث العالم ووجوب المحدث وقدرته وعلمه واراادته، فإن كل ذلك ما لم يثبت لم يثبت الشرع"، وفي كتاب "معارج القدس" عالج الغزالي المسائل المتعلقة بالله وبالنفس. وعرض في كتابه "مشكاة الأنوار" نظريته في النور.

أما كتابه "المنقذ من الضلال" فله أهمية خاصة في التعرف على منهجه الفلسفي. وأما عن الأخلاق فقد تناولها بصفة خاصة في كتابه الرئيس "إحياء علوم الدين"، وفي كتابه "ميزان العمل" الذي ألفه مقابلاً لكتابه "معيان العلم"، مع تنبيهه على أنه يرجو من القارئ أن ينظر إليهما بعين العقل لا بعين التقليد (عبد الرحمن بدوي 1961م، ص 348).

تلك هي أهم كتب الغزالي الفلسفية. وقد عالج الغزالي - زيادة على ذلك - مسائل فلسفية في كثير من كتبه الأخرى، ولكن المقام هنا يضيق عن الحديث عنها،

فهذا البحث يريد بوجه خاص عرض منهج الغزالي الفلسفي، ولا يريد أن يعطي عرضاً شاملاً لكل أفكاره الفلسفية. وفي الصفحات التالية سنضع - كما سبقت الإشارة إلى ذلك - الثقل على منهجه ومبدئه الفلسفي، وعرض آرائه الفلسفية فيما يتعلق بالعقل ومجال معرفته، وعلاقة العقل بالتصوف والنبوة.

### أبرز المدارس الفكرية في عصر الغزالي:

أ / المتكلمون:

علم الكلام من العلوم الإسلامية التي نشأت في المجتمع الإسلامي بهدف الدفاع عن العقائد الدينية بالأدلة العقلية، والرد على أصحاب النزعات الإلحادية. لكن الغزالي يرى أن المتكلمين ليس لهم اتجاه فكري مستقل فقد اعتمدوا في أعمالهم على مقدمات تسلموها من خصومهم، واضطروهم إلى تسلمها إما التقليد أو إجماع الأمة أو مجرد القبول من القرآن والأخبار (الغزالي 1972م، ص 80). اشتغل المتكلمون بصفة خاصة بكشف تناقضات الخصوم، وهاجموهم بنفس أسلحتهم. فهم إذن أصحاب طريقة جدلية، وليسوا أصحاب منهج فلسفي نقدي. وبعد أن فرض علم الكلام نفسه على الفكر الإسلامي، وكثر الخوض فيه، حاول علماء الكلام الدفاع عن السنة بالبحث عن حقائق الأمور، واشتغلوا بالبحث عن الجواهر والأعراض، ولكنهم لم يتوصلوا في سعيهم في هذا المجال إلى شيء يذكر، لأن ذلك: "لما لم يكن مقصود علمهم، لم يبلغ كلامهم فيه الغاية القصوى، فلم يحصل منه ما يمحو بالكلية ظلمات الحيرة في اختلافات الخلق" (الغزالي 1972م، ص 80؛ الغزالي 1939م، ص 46). وقد وجد الغزالي - بعد أن درس علم الكلام دراسة عميقة مستفيضة، وأصبح فيه أعلى كعباً من علماء الكلام أنفسهم - وجد أن الضرر الذي يجلبه هذا العلم أكثر من النفع المرتقب، ف"التخطيط والتضليل فيه أكثر من الكشف والتعريف" (الغزالي 1933م، ص 46)، كما تبين الغزالي أن علم الكلام ليس قادراً على التوصيل إلى معارف حقيقية، بل إنه على العكس من ذلك يشكل عقبة في هذا الطريق، فلا يمكن للمرء أن يصل عن طريق منهج هذا العلم إلى معرفة الله معرفة حقيقية. يقول الغزالي في ذلك: "فأما معرفة الله تعالى وصفاته وأفعاله فلا يحصل من علم الكلام،

بل يكاد أن يكون الكلام حجاباً ومانعاً عنه هذا وقد سجل الغزالي نقده لعلم الكلام أيضاً في كثير من كتبه الأخرى .  
ب / الفلاسفة:

لم تكن في بلاد العرب قبل الإسلام فلسفة بما تحمله هذه الكلمة من معنى. كما أن علم الكلام - من وجهة نظر الغزالي - لم يستطع أن يعمل على إنتاج فكر فلسفي حقيقي. فعلى الرغم من تأكيد المتكلمين لدور العقل فإنهم لم يستطيعوا مع ذلك أن يصلوا إلى استقلال عقلي حقيقي. وعندما تُرجمت الفلسفة اليونانية إلى اللغة العربية كان لها تأثير كبير في الفكر الإسلامي، فقد فتحت هذه الفلسفة - هكذا بدا على الأقل حينذاك - آفاقاً جديدة للفكر المنهجي غير المتأثر بأحكام سابقة. ولهذا قوبلت بإعجاب وتحمس بالغين. ونظراً لأنه قد لوحظ - كما يقول الغزالي (الغزالي 1962م، ص40؛ الغزالي 1972م، ص ص88- 93)، إن للفلاسفة علوماً يقينية كالرياضة والمنطق، فقد ساد لذلك اعتقاد خاطئ بأن الفلاسفة أيضاً يعملون بنفس الدقة في ميادين العلوم الأخرى، وبخاصة فيما يتعلق بحقل دراسات الميتافيزيقا أو ما وراء الطبيعة، ويعترف الغزالي للفلاسفة بيقين الرياضة والمنطق، ولكنه يرى أن علومهم الإلهية ليست من هذا النوع، فهم إنما يحكمون فيها بظن وتخمين (ولو كانت علومهم الإلهية متقنة البراهين، عن التخمين كعلومهم الحسابية، لما اختلفوا فيها كما لم يختلفوا في الحسابية) (الغزالي 1962م، ص40).

معروف أن الغزالي قد رفض اتجاه فلاسفة عصره - وعندما يتحدث الغزالي عن الفلاسفة فإنه يعني الفلاسفة العرب الأرسطيين خاصة الفارابي وابن سينا، كما كان هذا الفهم شائعاً حينذاك - ونقده نقداً عنيفاً. ولم يكن الدافع من وراء هذا النقد هو فقط سعي الغزالي لنقض التعاليم الفلسفية لأنها تشكل خطراً على العقيدة، بل كان هناك أيضاً دافع فلسفي. فقد رأى الغزالي أن الفلاسفة لم يحافظوا على وحدة العقل حيث أنهم - بعد أن وضعوا في المنطق شروط التفكير الصحيح - لم يستوفوا

تلك الشروط الضرورية في علومهم الإلهية (الغزالي 1972م، ص94؛ الغزالي 1962م، ص40).

أراد الفلاسفة أن يفرضوا العقل فرضاً تاماً في كل شيء حتى ولو كان ذلك على حساب العقيدة، كما أراد المتكلمون على العكس من ذلك تغيير التعاليم الفلسفية تعسفاً لحساب العقيدة (الغزالي 1934م، ص24) وكان لابد لهاتين المحاولتين أن تفشلا، ولم تستطعا أن تكونا عادلتين لا في جانب العقيدة ولا في جانب الفلسفة.

بيّن الغزالي أن العرض الصحيح الوحيد للفلسفة الأرسطية عند العرب - من المعروف أن العرب لم يتوصلوا إلى معرفة الفلسفة الأرسطية معرفة خالصة حقيقية، فقد عرفوا أرسطو عن طريق شروح الأفلطونية الحديثة - يتمثل فقط فيما عرضه كل من الفارابي وابن سينا، في حين أن غيرهما من المفكرين كانت لديهم ترجمات ناقصة وغير سليمة لفلسفة أرسطو، فجاء عرضهم لها سيئاً يجلب على القارئ التخبط والضلال (الغزالي 1972م، ص87؛ الغزالي 1962م، ص40).

أما ما يتعلق بعلم الفلاسفة (غير الإلهية) فإن الغزالي يذهب إلى ما يأتي (الغزالي 1972م، ص88):-

- 1- "أما الرياضية فتتعلق بعلم الحساب والهندسة وعلم هيئة العالم ... الخ هي أمور برهانية لا سبيل إلى مجادتها بعد فهمها ومعرفتها.
- 2- أما المنطق فهو أيضاً من العلوم اليقينية التي لا يتعلق شيء منها بالدين نفيّاً وإثباتاً. وإذا كان بعض العلماء يرفضه لأسباب دينية، فإن هذا الرفض لا مبرر له، فالمتكلمون يستخدمون المنطق أيضاً وإن كانوا يستعملون اصطلاحات أخرى.
- 3- أما العلوم الطبيعية فهي أيضاً لا يجوز رفضها بصرف النظر عن بعض المسائل التي عرضها الغزالي في كتابه التهافت.
- 4- أما السياسات فيرى الغزالي أن الفلاسفة أخذوها من كتب الله المنزلة على الأنبياء، ومن الحكم المأثورة عن سلف الأنبياء.

5- أما الخلفيات فيذهب الغزالي إلى أن الفلاسفة أخذوها من كلام الصوفية وهنا ينبه الغزالي على أن المقصود بالصوفية هم المتألهون الذين وجدوا ويجدون في كل عصر.

6- أما الإلهيات أو الميتافيزيقا، فقد كان نقد الغزالي لها أشد عنفاً من نقده لعلوم الفلاسفة الأخرى. وهنا يتناول الغزالي بالتفصيل تلك التعاليم الميتافيزيقية التي أقرها فلاسفة العرب، ويهمل تعاليم الميتافيزيقيين اليونانيين التي رفضها العرب.

### ج / الباطنية:

نرى أن الباطنية - وهي طائفة دينية لها مقاصد سياسية خفية - لا تعترف للعقل بأي دور في مجال المعرفة، على العكس من الفلاسفة الذين أطلقوا للعقل العنان، واتجهوا في هذا السبيل اتجاهاً متطرفاً. وتريد الباطنية أن تتلقى كل الحقائق من الإمام المعصوم فقط الذي يوجد في زعمها في كل زمان. ونظراً إلى أن "مبدأ مذاهبهم إبطال الرأي وإبطال تصرف العقول، ودعوة الخلق إلى التعليم من الإمام المعصوم، وأنه لا مدرك للعلوم إلا التعليم"، فقد لقبوا أيضاً بالتعليمية. ويفصل الغزالي هذه التسمية الأخيرة لباطنية عصره من بين الألقاب الكثيرة التي أطلقت على هذه الطائفة، والتي يعد الغزالي منها عشرة ألقاب في كتابه "فضائح الباطنية" (الغزالي 1972م، ص 11-17)، وذلك لأن هذه التسمية "التعليمية" تشير إلى أساس نظريتهم وهو التعليم. وتبرر الباطنية نظرية التعليم بحجة الارتيابيين في كل العصور والتي تتمثل في أنه من المعلوم أن العقل لا يؤدي إلا إلى آراء متناقضة ونظريات متضادة، ولهذا فلا يصلح طريقاً للمعرفة، ونظراً إلى أن الحقيقة - كما يقولون - إما أن تعرف عن طريق العقل أو عن طريق التعليم، فإنه لا يبقى إلا الطريق الأخير فقط وهو التعليم (من الإمام المعصوم) حتى يمكن الحصول على المعارف. ويخفى الباطنيون أيضاً مقاصدهم السياسية وراء ستار ديني فإنهم لا يريدون أيضاً أن يعترفوا بأن تعاليمهم وتفسيرهم الباطني للقرآن، يقود في النهاية إلى الإباحية وإبطال الشرائع. وقد كشف الغزالي عن ذلك في كثير من كتبه (الغزالي 1964م، ص 11). واستطاع الغزالي أن يتعمق في

تعاليم الباطنية، وقام بتأليف كتب عديدة ضد هذه التعاليم. عرض في هذه الكتب تعاليمهم وأهدافهم بطريقة منهجية، وقرر شبهتهم إلى أقصى الإمكان مما دعا بعض أهل الحق في عصره إلى الاعتراض عليه في مبالغته في تقرير حجتهم لأنه بذلك قد أدى لهم خدمة كبيرة، فلم يكن في استطاعه أحد منهم عرض هذه التعاليم وبراهينها بهذه الطريقة الدقيقة (الغزالي 1972م، ص 108) ورفض الغزالي - الذي نبذ كل تبعية عقلية وأدان التقليد بكافة أشكاله - رفض تعاليم الباطنية ونقضها وأصابها في الصميم. وبرهن على أن نظرية التعليم من الإمام المعصوم تناقض نفسها بنفسها من حيث أن الباطنية يجب أن تطبق الفكر المنطقي للبرهنة على صحة هذه النظرية، على الرغم من أنها في الوقت نفسه - عن طريق تعاليمها - تجحد أية قيمة للمنطق (الغزالي 1972م، ص ص 17 - 86)، وهذا يجعل "رتبة هذه الفرقة أخس من رتبة كل فرقة من فرق الضلال، إذ لا نجد فرقة ينقض مذهبها بنفس المذهب سوى هذه" (الغزالي 1964م، ص ص 52 - 53).

#### د / الصوفية:

بعد أن انتهى الغزالي من نقد المتكلمين والفلاسفة والباطنية، لم يبق أمامه - في مجال البحث عن الحقيقة - إلا تعاليم الطائفة الأخيرة وهي طائفة الصوفية، فأخذ الغزالي يدرس كتب الصوفية دراسة جادة، وفي النهاية واجه أزمة نفسية عنيفة عرف خلالها أن الطريق الصوفي لا يتلاءم على الإطلاق مع طريقة حياته الحالية التي هي سعي وراء الشهرة والغنى. وقد استمرت هذه الأزمة - كما يروي لنا الغزالي (الغزالي 1972م، ص 126) - ستة أشهر، ودفعت به إلى حالة أصبح فيها لا حول له ولا قوة، فقد "جاوز الأمر حد الاختيار إلى الاضطرار، إذا أقفل الله على لساني حتى اعتقل عن التدريس ... حتى أورثت هذه العقلة في لساني حزناً في القلب بطلت معه قوة الهضم ومراءة الطعام والشراب ... حتى قطع الأطباء طمعهم من العلاج" (الغزالي، 1972م). وأخيراً استطاع أن يتغلب على هذه الأزمة الحادة، وغير طريقة حياته من أساسها، وتنازل عن كل الأمور الدنيوية والسعي وراءها، كما تنازل عن منصبه كأستاذ في

المدرسة النظامية في بغداد حتى يتسنى له أن يمارس الطريقة الصوفية ممارسة عملية. فقد عرف الغزالي أن المتصوفة لا يقفون عند حد التعاليم النظرية بل يطلبون زيادة على ذلك السلوك العملي لهذه التعاليم. وهنا يجب أن نشير إلى أن الغزالي على الرغم من إعجابه الشديد وتحمسه البالغ للصوفية كما نرى ذلك واضحاً من خلال حديثه في المنقذ وغيره - إلا أنه لم يقع في الأخطاء التي يمكن أن تنشأ في مثل هذه الأحوال، فتحمسه لم يكن تحمساً أعمى، ولهذا فلم تخف عليه ضلالات ومتاهات بعض اتجاهات الصوفية، ورفض رفضاً قاطعاً نظريات الحلول والاتحاد ونقضها، ودان بكل قوة ما كان منتشراً بين بعض الطوائف الصوفية من الإباحية، أو القول برفع التكليف (الغزالي 1964م، ص ص 64 - 66). ومن خلال نقد الغزالي لنظريات الصوفية المشار إليها، وممارسته الشخصية للتصوف استطاع في النهاية أن يصل إلى فهم التصوف فهماً جديداً.

ساعدت ممارسة التصوف الغزالي على تطوير عقليته بطريقة حاسمة؛ فالتصوف - إذا ما فهم فهماً صحيحاً، وطبقت تعاليمه عملياً تطبيقاً سليماً - هو "قدرة على انتزاع النفس من المألوف؛ وتلك قدرة لا يستغنى عنها الفيلسوف" (عباس محمود العقاد 1960م). ونود أن نشير هنا إلى أن الغزالي قد رفض ذم العقل من جانب بعض الصوفية، واعتبر ذلك اتجاهاً خاطئاً. وفوق ذلك أعطى الغزالي العقل دور القاضي في التجارب الصوفية، من حيث أن هذه التجارب لا يجوز بحال من الأحوال أن تناقض العقل (الغزالي 1964م، ص 100).

ينبغي أن نؤكد هنا أن الغزالي - بعد أن اتجه إلى التصوف - ظل محتفظاً بفكره الفلسفي المستقل في البحث، فلم ينقلب - كما يزعم البعض - إلى متصوف ارتيابي تشككي، ولم يصبح من أنصار الفكر اللاعقلي، بل - على العكس من ذلك - ساعده التصوف على تحرير فكره كما سبقت الإشارة إلى ذلك. وعلى الرغم من أن كثيراً من كتبه المتأخرة قد اتخذت طابعاً صوفياً فإنها تبرهن على أصالة وابتكار. وعلى الجملة فإن عصر الغزالي كان - بسبب الوضع المتدهور من جانب

الفلسفة وعلم الكلام ومن جانب الاتجاهات الفكرية للطوائف الأخرى - مطبوعاً إلى حد كبير بطابع الاتجاهات الارتياجية والزندقة. ومن بين الارتيابيين نذكر بوجه خاص اثنين من المشهورين في ذلك العصر وهما: أبو العلاء المعري (363- 494هـ) الذي مات قبل مولد الغزالي بعام، وعمر الخيام مات في عام 1142م وكان معاصراً للغزالي .

### خاتمة:

ساعدت تلك الاتجاهات الرئيسية الأربعة - التي أشرنا إليها - بصفة خاصة على الانحلال الديني والأخلاقي في ذلك العصر في المجتمع الإسلامي. وقد سبق أن أشرنا إلى الميول الإباحية لدى الباطنية وبعض الطوائف الصوفية. وكان هناك أيضاً بين رجال الدين أنفسهم بعض الأدعياء الذين لم يلتزموا التزاماً تاماً بأوامر الدين، فكانوا أمثلة سيئة لغيرهم. أما أنصار الفلسفة فكان يغلب فيهم الميل إلى اعتبار الدين من الأمور الخاصة بالعامّة، ويدفع بهم الغرور إلى إهمال التكاليف الدينية، عليه رتب الغزالي على نظريته في المعرفة نظريته في السعادة وانتهى فيها إلى أن لذة الإنسان وسعادته إنما تكونان في معرفة الله عزّ وجلّ أكثر وأمتع مما تكونان في معرفة أي شيء آخر. إن نشأة الغزالي في ظل المدرسة الأشعرية وتلمذه على إمام الحرمين الجوني ثم تدريبه في المدرسة النظامية ببغداد كان لها أثر كبير على إنتاجه الفكري. ونبه إلى ضرورة العلم الشرعي لكل من يسلك طريق الآخرة خلافاً لما كان شائعاً بين كثير من الصوفية في عصره، وخلص إلى أن العلم حجاب لذا جعل أول كتاب من كتاب "إحياء علوم الدين" "كتاب العلم"، وأول عقبة يجب أن يجتازها العابد السالك هو العلم. وأكد أن السعادة لا تتال إلا بالعلم والعمل. واستطاع الغزالي أن يعمق روحانية الإسلام في العبادات والمعاملات بعد أن أحيا التصوف على المنهج الإسلامي الصحيح، حتى أصبح التصوف لدى الغزالي دنيا. ونقله من مجرد الذوق والتحليق والشطح إلى علم أخلاقي عملي يعالج أمراض القلوب وآفات النفوس ويزكيها بمكارم الأخلاق ويقف لها عند حدود ما رسمه الدين وبينه.



## قائمة المصادر والمراجع:

## 1 / المصادر والمراجع باللغة العربية:

- أبو داود، سليمان بن الأشعث، 1388هـ، سنن أبي داود، (تحقيق) عزت عبيد الدعاش، دار الحديث، بيروت.
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد 1984م، مقدمة ابن خلدون، ط1، دار القلم، بيروت.
- البيهقي، أبوبكر أحمد بن الحسن بن علي 1353هـ، السنن الكبرى، ط1، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الهند.
- الحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري 1384هـ، المستدرک على الصحيحين، مكتبة ومطابع النصر الحديثة، الرياض.
- الزبيدي، محمد بن محمد الشهير بمرتضي الزبيدي 1965م، إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد 1322هـ، المستصفي من علم الأصول، (تحقيق) محمد مصطفى أبو العلا، ط1، شركة الطباعة الفنية المتحدة، القاهرة.
- ..... 1354هـ - 1933م، إحياء علوم الدين، ط1، المطبعة العثمانية، القاهرة.
- ..... 1383هـ - 1964م، فضائح الباطنية، (تحقيق) عبد الرحمن بدوي، الدار القومية للطباعة والنشر.
- ..... 1384هـ، منهاج العابدين ومعه الكشف والتبيين وبداية الهداية، ط1، شركة الطباعة الفنية المتحدة، القاهرة.
- ..... 1392هـ - 1972م، المنقذ من الضلال، ط7، دار النصر للطباعة والنشر، القاهرة.
- ..... 1406هـ - 1986م، الذكرى المئوية التاسعة بعد المئة، بحوث ومقالات بأقلام نخبة من أعضاء هيئة التدريس، جامعة قطر، الدوحة.

- ..... 1961م، معيار العلم، (تحقيق) سليمان دنيا، دار المعارف، القاهرة.
- ..... 1961م، مقاصد الفلاسفة، (تحقيق) سليمان دنيا، ط1، دار المعارف، مصر.
- ..... 1962م، الاقتصاد في الاعتقاد، مطبعة محمد على صبيح، القاهرة.
- ..... 1962م، تهافت الفلاسفة، المطبعة الكاثوليكية، بيروت.
- ..... 1965م، القصور العوالي من رسائل الغزالي، ط1، مكتبة الجندي، بيروت.
- ..... 1965م، ميزان العمل، (تحقيق) سليمان دنيا، ط1، دار المعارف، القاهرة.
- ..... 1966م، القسطاس المستقيم، دار المعارف، القاهرة.
- ..... 1966م، محك النظر، ط1، بيروت.
- ..... كارل 1959م، تاريخ الأدب العربي، (نقله إلى العربية) عبد الحليم النجار، ط1، دار المعارف، القاهرة.
- ..... عباس محمود العقاد 1960م، محاضرة، فلسفة الغزالي، القاهرة.
- ..... عبد الرحمن بدوي 1961م، مؤلفات الغزالي، ط1، القاهرة.
- ..... عثمان عبد الكريم 1961م، سيرة الغزالي وأقوال المقدمين فيه، ط1، دار الفكر، دمشق.

## 2/ المراجع بلغات غير العربية:

- Abu Ridah, M. 1952, Al-Ghazali and seine Widerleg der griechischen Philosophie (Al-Ghazai and His Refutation of Greek Philosophy), Madrid: S. A. Bass. (An analysis of al- Ghazali's refutation of Philosophy in the framework of his religious thought).
- Bouygues, M. (eds.) 1995, Al-Ghazali, L'incoherence des philosophes.
- Brockelmann, C. 1932-1942, Geschichte der Arabischen Literature, Supplement, 3vos., Leiden: Brill.

## العصبية القبلية وأثرها في ضعف المسلمين (الأندلس أمودجاً)

د. عفاف مكاوي محمد قبلي

أ. مساعد - جامعة شندي

د. حسن عوض الكريم على

أ. مساعد - جامعة شندي

### المقدمة:

حينما قدم المسلمون إلى بلاد الأندلس بادروا بالدعوة إلى الدين الجديد، وتأسيس مبادئه في نفوس أهل المنطقة، فدعوا الناس بأفعالهم، وعرضوا عليهم الإسلام بأقوالهم، فتطابق القول مع العمل، فأقبل سكان الجزيرة على الدين الجديد برغبة ذاتية، فلم تمض مدة وجيزة إلا وقد انصهر معظم أهل الأندلس في بوتقة الإسلام على مختلف طبقاتهم وفتاتهم، مستشعرين قول المصطفى ﷺ: (المؤمنون تتكافأ دماؤهم وهم يد على من سواهم ويسعى بذمتهم أدناهم) (الألباني 1985م، ص439). هذه الحقيقة التي لا تغيب على كل مسلم يعتز بدينه، ولكن تقابلها حقيقة أخرى هي: أننا دخلنا الأندلس باسم الإسلام لا العروبة، وكانت كتائبنا تحت قيادة موسى بن نصير العربي، وطارق بن زياد البربري، فأحرزنا نصراً سطره التاريخ، ثم خرجنا منها نجر أذيال الهزيمة متدثرين بثوب القبليّة البالي.

لم تكن تلك القناعات لذلك الرعيل النقي مجرد مصادفة، ولكنها نتيجة تربية نبوية، عرّف أصحابها يقيناً أنهم لم يسودوا لعروبتهم، وإنما لدينهم، وأنه لن ينصلح حالهم إلا بهذا الدين، ولكننا لما ابتعدنا عن هذا الهدى النبوي، قال أحد زعمائنا الذين دخلوا الأندلس معلقاً على قوله تعالى: (... وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ...) (سورة آل عمران، الآية 140)، قال: وهل يسود غير العرب؟ فهو لا يتصور أن تكون السيادة لغير بني جنسه، أما العجم فيجلسون على درجة أقل، خلّقوا ليكونوا

خدماً وموالي ورقيقاً للعرب. ومن حق سائل أن يقول لماذا تذكر الصميل بن أبي حاتم هذا المعنى عندما سمع الآية، ولم يتذكر قول الله تعالى: (... وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا) سورة النساء: الآية 94. فأين كانوا قبل الإسلام؟ وهل نسي جاهلية أسلافه التي لخصها المغيرة بن زرارة في حوارهِ مع يزيد جرد قبيل معركة القادسية، وذلك عندما عير العرب بقلة ذات اليد والجوع فردَّ عليه قائلاً: (إنك وصفتنا بصفة لم تكن بها عالماً فأماً جوعنا فلم يكن يشبه الجوع! كُنَّا نَأْكُلُ الْخَنَافِضَ وَالْجَعْلَانَ وَالْعُقَارِبَ وَالْحَيَّاتَ وَنَرَى ذَلِكَ طَعَامَنَا. وَأَمَّا الْمَنَازِلُ فَإِنَّمَا هِيَ ظَهْرُ الْأَرْضِ، وَلَا نَلْبَسُ إِلَّا مَا غَزَلْنَا مِنْ أَوْبَارِ الْإِبِلِ وَأَشْعَارِ الْغَنَمِ، دِينَنَا أَنْ يَقْتُلَ بَعْضُنَا بَعْضًا...) (الطبري 1967م، ص ص 499 - 500). ومن الواضح أن المغيرة قد تعمَّد تسويد ماضي العرب الجاهلي لبيان نور الإسلام.

### أهمية الدراسة:

الصراعات العرقية لم تُعدْ أمراً خافياً، بعد أن أصبحت عنصراً ثابتاً في دوائر الصراع بين كثير من الشعوب، فلا تكاد أزمة تنشب إلا وللقبلية والعرق النصيب الأكبر فيها. فباسم كل منهما سالت دماء، وتحت مظلة كل منها جثم باعث الخوف والخراب. بل صارت الحروب بين أهل البلد الواحد تشتعل بسبب تعرُّض فئة لظلم اجتماعي.

### أسباب اختيار الموضوع:

عوامل عديدة دفعتنا لتناول هذا الموضوع أهمها:

- (1) إنَّ الاتكاء على النَّسب لم يكن في يوم من الأيام أحد الفوارق بيننا نحن أمة الإسلام.
- (2) إن العصبية في الإسلام تحتل منزلة وضيعة، فالتقوى هي ميزان التفاضل بين الناس.

(3) مما يدلُّ على خُطورة العصبية أن الرسول ﷺ ما كان يدع لها فُرصة حين تطل برأسها فكان يقتلها في مهدها، ويقف بنفسه على آثارها حتى يتأكد من خُلوا مجتمعه من نعرتها.

(4) إننا سُدنا العالم عندما كُنَّا نعتقد أن لا فرق لعربي على عجمي إلا بالتقوى، فلما ظهرت القبلية غابت التقوى وحلَّ التمزُّق ومُنيت أرضنا بالهزائم.

(5) الفتنة القبليَّة أصبحت في عصرنا الحاضر من أوسع الأبواب التي يلج من خلالها المُنْدسين لضرب الإسلام وشغل المسلمين بأنفسهم.

#### أسئلة البحث:

عندما عزمنا على تناول هذا الموضوع وضعنا بعض الأسئلة التي غلب على ظننا أنها ستوصلنا إلى المبتغى وهي:

(1) لماذا كان العربي يعتز بقبيلته في جاهليته، وما الثمار التي جناها من حُبِّه المُفرط لها؟

(2) كيف عالج الرسول ﷺ هذه النعرات القبلية؟

(3) كيف تسللت الخلافات العرقية إلى بلاد الأندلس؟

(4) هل كان أهل الأندلس يعرفون هذا النوع من الصراعات قبل قدوم المسلمين؟

(5) ما الجّهات المُستفيدة من هذا الصراع؟ وهل حققت ما تصبو إليه؟

#### تعريف العصبية:

العصبية لغة مُشتقة من "عصب" وجمعها أعصاب، والعصب هو الطي الشديد، وجاءت عصب بمعنى شدَّ وضمَّ، فعصب رأسه أي شدّه، وتعصَّب بمعنى تشيَّع، وعُصبة الرجل قومه الذين يتعصبون له.

أما اصطلاحاً فهي تعني أن يدعو الرجل إلى نُصرة عصبته والتألب معهم (ابن منظور د.ت، ص 63).

أقسامها:

العصبية ليست كلها شرّاً بل هنالك الممدوح منها وهنالك المذموم. فالعصبية الممدوحة ضرورية للملّة، وبوجودها يتم أمر الدين فهي عصبية تحثُّ على الحق ونصرة

المظلوم. أما العصبية المذمومة فهي تلك التي تقوم على الباطل ونصرة الظالم، وقد ذمَّ الإسلام هذه العصبية، وذلك عندما عرفها الرسول ﷺ في حديث سلمة بن بشر الدمشقي عن بنت وائلة بن الأسقع أنها سمعت أباها يقول: قلت يا رسول الله ما العصبية؟ قال: أن تعين قومك على الظلم (الترمذي 1985م، ص63)، وقد خلّفت هذه العصبية آثاراً مُدمرة على القبائل التي جعلت شعارها: "انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً".

يعرض القرآن الكريم حلاً للنزاعات ذات المعنى العرقي (ضمن الشعوب) وذات المعنى العنصري (ضمن القبائل) وهو التّعارف أي الاعتراف المتبادل بالخصوصيات وبالمصالح، ولذا يفسر البعض قوله تعالى: (وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا) (سورة الحجرات، الآية 13) بأن اللام هنا هي لام العاقبة أو الصيرورة، مثل قوله تعالى في قصة موسى وفرعون: (فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا...) (سورة القصص، الآية 8)، فالاختلاف مُتجذر في البشرية (وجعلناكم)، وإنما التعارف هو السبيل إلى النهوض، فإذا كانت الاختلافات تضع قانون التّدافع في المقدمة أو الواجهة فإن التّقدم الإنساني العلمي والسياسي والاقتصادي يفرض رؤيةً أخرى أو منطقتاً آخر هو التعارف، وذلك من أجل استمرار البشرية والخروج من الحروب وهذا نقيض الغلبة والاستضعاف أو الاستكبار. فمنطق الغلبة يقتضي أن يكون الاختلاف بين الذكورة والأنوثة وبين الشعوب والقبائل باعثاً على الخصومة والحروب وعدم الاستقرار، أما المنطق الثاني والذي يتفق وتقدم البشرية وتوازن مجتمعاتها وثقافتها ودولها فهو منطق التعارف الذي أساسه الحوار العقلاني المنطلق من تسليم مُتبادل بالخصوصيات والتمايزات وصولاً للاغتناء باختلاف الآخر، وليس السعي للخلاص منه أو إلغائه (عبد الرحمن السالمي، [www.altasamoh.net](http://www.altasamoh.net)).

#### الفرق بين القبيلة والشعب:

يقودنا الحديث عن العصبية القبلية إلى التحقق في مسألة مُهمّة، هي الفرق بين القبيلة والشعب، وإذا كانت القبيلة شرّاً كلها، فمن أين جاءت الأمم وكيف تكوّنت

الشعوب؟ فقد تعارف النَّاس على أن القبيلة مُفردة لا تتفصل عن البدائية والتخلف، في حين تشير مُفردة الشعب إلى التقدم والتحضر. إلا أن الشعب ما هو إلا مجموعة من القبائل، وعندها لا يختلف عن القبيلة إلا في كونه بُرة تجمعُ بدائية لعدد من القبائل. هناك فرق بين شعب وآخر، فالشعب المتحضر هو الذي تذوب فيه القبائل وتتلاشى بحيث لا تشكل أي مرجع اجتماعي أو حضاري، فأنظمة المدنية هي الموجهة لحياة الناس، أما الأنظمة السياسية فإنها تستند إلى عصبية التنظيم المدني والفكري لا القبلي أو العنصري.

لورجعنا إلى كُتب النُساب نجد أن الشعب يضمُّ عدداً من القبائل، فكنافة شعب في حين قريش قبيلة، والأزد شعب، ولكن الأوس قبيلة. أما إذا ألقينا نظرة فاحصة إلى مكونات القبيلة وأسلوب حياتها، نجدها تنقسم إلى قسمين هما: قبيلة النسب وقبيلة الأرض (ابن عرفة 1993، ص 35 - 45). وقبيلة النسب نعني بها القبائل الصغيرة التي تكوّن أسرة واحدة ويحكمها زعيم قوي واحد، وهؤلاء يتميزون بالعنصرية البغيضة والميل إلى حياة التنقل والترحال. أما قبيلة الأرض فهي تلك القبائل الكبرى التي تبرز وكأنها مجموعة قبائل، وهذا النوع يميل إلى التكافل الاجتماعي، وقد يحكمها عدّة زعماء. والقبيلة هي صاحبة القرار الأخير وليس الزعيم، بل قد ترفض القبيلة رأي زعيمها كما فعلت سليم مع زعيمها يوم حنين (ابن هشام 1992م، ص 872).

عرف العرب كلا النوعين - (قبيلة النسب وقبيلة الأرض)، فهناك من قاتل من أجل الحفاظ على موروثاته، وهناك من عاش مُنفتحاً على غيره، لم يتعصّب لبني جنسه، ففي اليمن وصلت المرأة كرسي الحكم في عهد بلقيس، في حين أن غيرها كانت تُدفن، وفي نجد تتبأت سجاح وقادت بني تميم، وفي يثرب انتخب الأوس والخزرج عبد الله بن أبي بن سلول ملكاً عليهم، وفي مكة أسسوا دار الندوة من أجل بسط الشورى.

غير أن قبيلة النسب لم تكن سوى أداة بيد غيرها، أما أهدافها فتتمحور حول الغزو والسلب والنهب، فنظرتها للحياة نظرة سطحية آنيّة، وذلك لأن بنيتها تستند إلى علاقة وهمية، النسب فيها يتناول إلى حد الأسطورة. وقد أدرك أعداء الإسلام سلبيات قبيلة النسب، فاعتمدوا عليها في غرس أظافرهم في خيرات الشعوب، وأحالوا أرضهم إلى دمار وخراب بسبب الحروب، حتى أصبحت قبيلة النسب تشكل عالمنا المعاصر، بقيمتها المضادة للتحضّر، ومما زاد الأمر سوءاً أن ما تحمله قبيلة النسب من قيم مضادة للحضارة والحدّثة أصبحت في عصرنا الحاضر سلوكاً يؤمن به الكثيرون حتى من أولئك الذين ليس لهم أصل في القبائل العربية، بينما تظل (قبيلة الأرض) وما تمثله من مستوى حضاري يتقبّل الحدّثة وقيم الإنسانية هي ما يدافع عنه النبلاء في عالمنا العربي.

**جذور العصبية:**

المتتبّع لتاريخ الصراع على الأرض يجد العصبية حاضرة في كل مراحلها، بل تمثل العصبية خط المواجهة الأول ضد النبوات والرسالات السماوية، فالقرآن الكريم يسجّل لنا أول مواجهة واعتراض من إبليس وذلك بسبب عصبية نوعه كما قال عز وجل: (قَالَ مَا مَنَّكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ) (سور الأعراف، الآية 12). أما الأنبياء فكانت عصبية تقليد الآباء هي الشعار الدائم لجبهة المعارضين لخط النبوات بكل حلقاته، قال تعالى: (وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُّقْتَدُونَ) (سور الزخرف، الآية 23).

### العصبية القبلية في الجاهلية:

كان للقبائل العربية اعتداد كبير بالأنساب، فترى بعض الطبقات أنها أفضل من غيرها، بل أصبحت تترفع على الناس ولا تشاركهم في عادات كثيرة، حتى في بعض مناسك الحج، فلا تصف قريش بعرفات وتتقدّم على الناس في الإفاضة (الندوي 1984م، ص61).

لم تكن القبائل العربية تعيش بمعزل عن بعضها البعض فقد كانت ظروف الحياة تفرض على تلك القبائل أن تقيم مع بعضها البعض علاقات جوار وحلف، وأن



تلعجاً إلى الطُرق السلمية بدلاً من السيف، ومن ذلك اللجوء إلى التَّحكيم عند الخلافات القبلية، والحُكَّام في الغالب من طبقة الكهان (الجاحظ 1906م، ص380). ومن مظاهر التقارب أيضاً المصاهرة التي كانت العرب تجتذب بها قلوب البُعداء وتتألف بها الأعداء، وعن طريقها نشأت عصبية الخؤولة، التي كان لها دوراً بارزاً في فك الحصار عن بني هاشم عند المقاطعة في الشَّعب، وذلك عندما جاء هشام بن عمرو بن ربيعة إلى زهير بن أبي أمية المخزومي (أُمُّه عاتكة بنت عبد المطلب) فقال له: "يا زهير أرضيت أن تأكل وتشرب وتلبس الثياب وتنكح النساء آمناً وأخوالك كيف علمت على الجهد والصبر، أما أني أحلف بالله لو كانوا أخوال أبي الحَكَم ثم دعوته إلى مثل ما دعاك إليه ما أجابك أبداً" (ابن الأثير 1979م، ص60)، وهذا ما ذهب إليه ابن خلدون بقوله: وما جعل الله في قلوب عباده من الشفقة والنعرة على ذوي أرحامهم وقباهم موجودة في الطبائع البشرية وبها يكون التعاضد والتناصر وتعظيم رهبة العدو لهم واعتبر ذلك فيما حكاه القرآن عن أخوة يوسف عليه السلام حين قالوا لأبيه: (لَئِن أَكَلَهُ الدَّئِبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَّخَاسِرُونَ) (سورة يوسف، الآية 14) (ابن خلدون 1988م، ص172). ومن تلك المظاهر أيضاً الأحلاف من أجل الدفاع عن مصالحهم، ومنها كذلك الحج والأسواق، حيث تلتقي تلك القبائل في الأشهر الحُرْم في الحج أو الأسواق وتقع الهدنة فلا قتال ولا تآر بينها. إلا أن هذه المظاهر لم تكن عاصماً للعرب في جاهليتهم من النزاع والقتال، فقد كان النزاع القبلي لا يكاد ينتهي حتى ينشب آخر، حتى عُرفت فترات النزاع القبلي بأيام العرب، أما أسبابها فتدور حول نظرة العربي للغزو بأنه وسيلة من وسائل العيش، كما اعتبرته القبائل من مقومات العزة والمنعة.

### سياسة الرسول ﷺ في تجفيف منابع العصبية الجاهلية:

تعدُّ العصبية القبلية من الأمور المتأصلة في النفوس، والتي يصعب اقتلاعها، بل تُعدُّ هي جوهر الخلاف الذي أدى إلى تفرُّق الأمة. أما في العصر النبوي فقد بدت واضحة منذ الوهلة الأولى حينما بعث الرسول ﷺ رسولاً للأمة: (وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقُرَيْتَيْنِ عَظِيمٍ) (سورة الزخرف، الآية 3). فاستكروا أن يختار الله هذا البيتيم ويترك عظماء قريش.

اتفق المفسرون على أن المقصود بالقريتين: مكة والطائف، ولكنهم اختلفوا في المقصود بالعظيم. قال ابن عاشور: رُوي عن ابن عباس رضي الله عنه أنهم عنوا بعظيم مكة الوليد بن المغيرة المخزومي، وبالعظيم الطائف حبيب بن عمرو الثقفي، وعن مجاهد أنهم عنوا بعظيم مكة عتبة بن ربيعة، وبالعظيم الطائف كنانة بن عبد ياليل (محمد الطاهر بن عاشور 1984م، ص200)، والله أعلم حيث يجعل رسالته، فقد أثبت لهم أن هذا الاختيار لا يرتكز على الجاه والثراء والزعامة، وإنما هناك معايير أخرى فاصطفى لها من هو أهل لها، وعلى الرغم من بقائهم على كفرهم ومقابلتهم للنبي صلى الله عليه وسلم بالصد والإعراض إلى أن عصبية القرابة والعشيرة التي كانت راسخة قوية جعلت بني هاشم يحمون النبي صلى الله عليه وسلم في مكة ضد بطون قريش استجابة لعصبية الرحم والقري (أحمد إبراهيم الشريف د.ت، ص52).

ذهب المشركون إلى منحى آخر من مناحي العصبية فتصوروا أنه ما دام الرسول صلى الله عليه وسلم قرشياً فإنه سيحيي عصبية القبيلة، ولكن خابت آمالهم حين جاءت مبادئ رسالته واضحة جلية فهدم تلك العصبية ونادى بالمساواة بين الناس، وأنزل الله سبحانه وتعالى: (ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (سورة البقرة، الآية 99) ، حيث كانت دليلاً على مساواة قريش بغيرها من القبائل في الحج، وما أن دخل الناس في دين الله أفواجاً حتى تغيرت تربيتهم العقلية والسلوكية، فاستتكروا شعارهم في الجاهلية: (أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً) الذي عنوا به آنذاك الإعانة على الغير، كما روى أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، قلنا يا رسول الله نصرته مظلوماً، فكيف أنصره ظالماً؟ قال: تكفّه عن الظلم فذاك نصرك إيّاه) (الترمذي 1995م، ص523).

لما هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة كان أول عمل قام به هو إزالة الشحنة بين الأوس والخزرج فأطفأ نار الحرب التي اشتعلت بينهم ردحاً من الزمان وكان آخرها يوم بُعث الذي انتصر فيه الأوس على الخزرج لأول مرة، فطلب صلى الله عليه وسلم من زعيم الخزرج أن يخرج ويحضر زعيم الأوس فلما رأى الناس من كان يبحث عن غريمه للثأر يأتي ويأخذ

بيده، إلا أن العصبية التي تأصلت في النفوس وقد تناول بها العهد فمن الصعب اجتثاثها من جذورها في فترة وجيزة فكانت تطل برأسها بين الفينة والأخرى، إلا أن المصطفى ﷺ كان لها بالمرصاد. فقد سعى إلى محاربة العصبية وإبعاد الناس عن كل طريق موصل لها، فكانت المؤاخاة بين الأوس والخزرج، ثم المؤاخاة الكبرى بين المهاجرين والأنصار أعظم دليل على القضاء عليها، وظهور رابطة الدين والعقيدة وجعل التقوى هي معيار التفاضل بين الناس، كما قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) (سورة الحجرات، الآية 13). كما كان لبناء مسجده دور كبير في القضاء على العصبية من خلال اجتماع الناس، والصلاة الجماعية، وتعليمهم أحكام جديدة تقوم على الأخوة في الدين، لا على رابطة العشيرة والقرباة. فتعهدهم النبي ﷺ المسلمين بغرس العقيدة والتوحيد، وأقبل عليهم بالإرشاد والتوجيه تارة وبالترهيب والوعيد تارة أخرى مبيناً لهم مغبة ذلك فقال ﷺ: (ليس منّا من دعا إلى عصبية، وليس منّا من قاتل على عصبية، وليس منّا من مات منّا على عصبية) (أبو داود 1409هـ، ص 753).

استطاع النبي ﷺ - بهذا المجهود الذي بذله - القضاء على العصبية بكافة أشكالها ونجح في علاج داء عضال من أدواء المجتمع آنذاك بغرس العقيدة في النفوس لأنها أساس كل تغيير، وجعل الأخوة فقط بين المؤمنين كما حصر الموالاتة بين المؤمنين دون الكفار وبهذا فقد زالت العصبية القبلية وحلت محلها عصبية الدين والعقيدة التي تعلق على رابطة القرباة والعشيرة. فها هو أبو عبيدة بن الجراح ﷺ يقتل أباه يوم أحد مشركاً، فأنزل الله فيه: (لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (سورة المجادلة، الآية 22).

عندما عاد المسلمون من غزوة المريسيع، ضرب رجلٌ من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال الأنصاري: يا لأنصار وقال المهاجري: يا للمهاجرين. فسمع ذلك رسول الله ﷺ فقال: (ما بال دَعْوَى الجاهلية؟) قالوا: يا رسول الله، كَسَعَ رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال ﷺ: (دعوها فإنها مُنتنة) (مسلم 1955م، ص1998). فسمع بذلك عبد الله بن سلول فقال: أما والله نئن رجعنا إلى المدينة ليُخْرَجَنَّ الأعرُضُ منا الأذل. فقال عمرؓ: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق. فقال النبي ﷺ: دَعُهُ لا يتحدث النَّاسُ أن محمداً يقتل أصحابه (ابن هشام 1992م، ص404). فما أن عاد المسلمون إلى المدينة حتى انقلب قوم ابن سلول على صاحبهم وأخذوا يعاتبونه على مقولته، عندها قال رسول الله ﷺ لعمر بن الخطابؓ: كيف ترى يا عمر؟ أما والله لو قتلته يوم قلت لأرعدت له أنفٌ لو أمرتها اليوم بقتله لقتلته. قال عمرؓ: قد والله علمت لأمر رسول الله ﷺ أعظم بركة من أمري (مسلم 1955م، ص406).

لما خرج المسلمون إلى حنين جلس الرسول ﷺ لتوزيع الغنائم، فخصَّ بها المؤلفة قلوبهم - أهل مكة - وترك الأنصار، فقال بعض أحداثهم: (إذا كانت الشدة تُدعى وتُعطى الغنائم غيرنا)، فجمعهم الرسول ﷺ وقال لهم: (أما ترضون أن يذهب الناس بالدنيا وتذهبوا برسول الله تحوزونه إلى بيوتكم). قالوا: بلى يا رسول الله ثم قال لهم: (أوجدتم يا معشر الأنصار في أنفسكم لُعاة من الدنيا تألفت بها قوماً ليسلموا، ووكلتكم إلى إسلامكم... ألهم أرحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار)، فعرف الأنصار الحَكْمَةَ فبكوا حتى ابتلت لحاهم بدموعهم وقالوا: (رضينا برسول الله قسماً وحظاً) (ابن هشام 1992م، ص119). وفي أواخر صفر من العام الحادي عشر للهجرة ندب رسول الله ﷺ الناس لغزو الروم فخرجوا وفيهم كبار المهاجرين والأنصار، فدعا رسول الله ﷺ أسامة بن زيدؓ فأمره على الجيش، فطعن بعض الناس في أمارته فقال ﷺ: (إن تطعنوا في إمارته فقد كنتم تطعنون في أمانة أبيه من قبل، وأيم الله إن كان لخليقاً للأمانة وإن كان لمن أحب الناس إليّ وإن هذا لمن أحب الناس إليّ) (البخاري، 1979م، ص387). وكان سبب طعن الناس في أمارته لكونه

صغير السن، وذكر السهيلي سبباً آخراً هو لكونه مولى (السهيلي 1978م، ص248).

هكذا حطمت الشريعة قيم الجاهلية ومقاييسها التي كانوا يتفاضلون بها. وما أن انتقل ﷺ إلى الرفيق الأعلى حتى أطلت العصبية بوجهها الكالح مرة أخرى، وقد ركبت هذه المرة موجة الردة والنبوات الكاذبة، التي تُعدُّ قمة العصبية القبلية، بل تُعدُّ أبشع نتائجها، إذ لا يُعقل أن يأخذ الناس هذا الهراء الذي يدعوا له الكذابون ويتركوا المعجزة الخالدة - القرآن الكريم - حتى أن المرء يتساءل: هل جاء طليحة الأسدي وسجاح ومسيلمة بمعجزة أسمى، أو خارق عادة أقوى من ذلك الذي جاءهم به محمد ﷺ، حتى يتخلّى المرتدون عن الإسلام ويلحقوا بهؤلاء المتبئين؟ وهل جاءهم مُسيلمة وغيره بكلام أبلغ من القرآن، وأكثر منه بهاءً وروعة، فيحملهم على الارتداد واستبدال شيء مكان شيء؟ وهل تردى الذوق العربي وقد كان في قمة البلاغة إذ خاطبه الله تعالى بمعجزة البيان البليغ، إلى هذا الحضيض؟ (شوقي أبو خليل 1999م، ص ص 226 - 227). ويقمع حركة الردة في عصر الصديق ﷺ كان القضاء على العصبية وإذابة روحها التي كانت - في اعتقادهم - مُرتكزاً هاماً للزعامة والرئاسة، وحينها علموا أن التعاليم الدينية كالتقوى والإخلاص هي المُعتبرة فقط. ولكن من عرف عمق آثار العصبية القبلية عند العرب، لا يتساءل مثل هذه التساؤلات، فضلاً عن كون الإسلام بالنسبة للمرتدين من الأمور الجديدة التي لا مست أسمعهم دون أن تدخل إلى الأعماق، فهم ليسوا في حالة رفض دين سابق أبداً، قد سبروا أغواره وعرفوا خفاياه، بل رفضوه قبل أن يعرفوا حقيقته وعدّوه وسيلة سعى صاحبها للتسلُّط بها على الخلق، فأرادوا أن يسيروا على ذات الطريق ليحققوا نفس الهدف - حسب نظرهم القاصرة أو غاياتهم غير النبيلة - وقد وصفهم القرآن في قوله تعالى: (قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ نُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قَوْلُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (سورة الحجرات، الآية 14).

إذا العصبية لم تنته في عصر النبوة إلا أن الرسول ﷺ سعى لتجفيف منابعها، وحقق نجاحاً مذهلاً لا يتناسب وفترة إدارته للدولة، فتوارت عن مجتمع الفضيلة، وأصبحت "منتنة" في ثقافة ذلك الجيل، واستمر اختفاؤها إلى عصر الخليفة الشهيد عثمان، ثم انبعثت في آخر عهده لجة عنيفة (محمد أبو زهرة دت، ص12)، لتجد مرتعاً خصباً في أواسط عصر بني أمية.

لم تكن العصبية سلوكاً عابراً يمكن إزالته بقرار فوقي، ولكنها أمرٌ ضارب بجذوره في قدم التاريخ، يحتاج حقبةً طويلة لإزالته من النفوس، وقد تبين أن التربية كانت هي العاصم الوحيد من الوقوع في براثتها المنتنة، ولكن لما توسعت الدولة وزادت رقعة الإسلام وزاد معها عدد الداخلين في دين الإسلام، ولم تواكب هذه الزيادة المضطردة تربية إسلامية ناجعة، فلم يفهم الناس حقيقة الدين، وضعف التربية الإسلامية يعني اختفاء البديل للسلوك المنحرف، فعندما غاب البديل بقي الأصل المنحرف فاحتفظ هؤلاء بكثير من سلوكياتهم الجاهلية، فكانت مرتعاً خصباً ترعرعت فيه جماعات النفاق وأعداء الأمة.

بلاد الأندلس: أصل التسمية:

إن العصبية كانت أقوى من أن يُقضى عليها في وقت قصير وأن العرب إذا كانوا قدسوا القبيلة في بلادهم فإنهم كانوا أحوج إليها في عزبتهم إبقاءً على عنصرهم ودمائهم واستفاد الأمويون من العصبية حتى لا يجتمع العرب عليهم وانتقل الصراع القبلي من بلاد المشرق إلى بلاد الأندلس (حسن أحمد محمود 1999م، ص97).

المقصود ببلاد الأندلس الأراضي التي تشغلها دولتي أسبانيا والبرتغال الحاليتين، وتقع في الجزء الجنوبي الغربي من قارة أوروبا. وقد عرفت نفس المنطقة قديماً باسم إيبيريا (Iberia) المشتق من أيبيروس (Iberos) وهي إحدى قبائل البربر التي عبرت للمنطقة، ثم أطلق عليها الرومان اسم أسبانيا (Espania) أما الأندلس (Andalus) فهو مشتق فهو مشتق من قبيلة الوندال التي سيطرت على المنطقة في

409م وأصبحت تُعرف باسم فاندوليس (Vandolos) ولما جاء العرب تم تعريبه إلى الأندلس (حسن خضيرى أحمد 2006م، ص 17).

اكتمل الفتح الإسلامي للأندلس في 95هـ/714م وحكمها المسلمون حتى عام 897هـ/1492م وفي هذه الدراسة سنتناول الصراعات القبلية بالأندلس في عصر الولاة وأمارة وخلافة بني أمية منذ 95هـ وحتى 399هـ/714م إذ انتهت بعد ذلك الوحدة السياسية للأندلس ووقعت تحت حكم دول الطوائف والمرابطين والموحدين.

**العصبية القبلية في الأندلس في عصر الولاة:**

انتقل النزاع إلى الأندلس بعد الفتح مباشرة إثر هجرة قبائل عربية كثيرة إما من بلاد العرب رأساً أو من بلاد المغرب، وكان المهاجرون ينضمون إلى من يجدونه من أبناء العشيرة فتكونت الجماعات " القيسية والمضرية: وكثيراً ما استعاد المهاجرون للأندلس مرارات الصراع الدموي في بلاد الشام. ولعل الذي كان يثير أحقادهم هو النزاع حول الغنائم والسلطان والمصالح الجديدة التي ظهرت بالأندلس. وقد كانت المغانم في أول الأمر لليمانية لأنه يبدو أنهم كانوا أقدم القبائل هجرة (حسن خضيرى أحمد 2006م، ص 67).

بدأ النزاع بين العصبية العربية في الأندلس في عهد الوالي عنبسة بن السحيم الكلبي (103 - 107هـ/721 - 725م) وبسبب النزاع بين العصبية انشغل العرب بتصفية ثاراتهم القبلية من القضاء على بقايا القوط في الأندلس ومن إخضاع البربر في إفريقية ولذلك قضى عنبسة أربع سنوات ولايته في تنظيم أمور الدولة. وخلفه عذرة بن عبد الله الفهري (107 - 110هـ/725 - 728م) والذي انشغل بالخلافات التي نشبت بين المسلمين ولما عُزل عيّن على الأندلس يحيى بن سلمة الكلبي (110 - 112هـ/728 - 730م) وفي عهده توقفت الفتوحات إذ انشغل بالقضاء على الفتن والاضطرابات ثم تولى بعده أربعة ولاة خلال (112 - 113هـ/730 - 731م) لم تزد مدة الواحد منهم عن الأشهر (السيد عبد العزيز سالم 2008م، ص 138-140).

يرى بعض المؤرخين أن تكوين جيش عبد الرحمن الغافقي من العرب اليمانية والقيسية والبربر الذين فرقوا بينهم العنصرية القبلية كان واحداً من أسباب هزيمة الغافقي في معركة بلاط الشهداء (بواتيه) عام 114هـ/732م (السيد عبد العزيز سالم 2008م، ص 134). وباستشهاد الغافقي تولى الإمارة عبد الملك بن قطن ولكنه عُزل في عام 116هـ/734م وتولى مكانه عقبة بن الحجاج السلولي والذي أمن البلاد وأعاد الجهاد على الفرنجة في جنوب وشمال شرق بلاد الغال ولكنه تعرض لثورات البربر التي أعاقت تقدمه في الفتوحات حتى استشهد في مدينة قرقوشة في 123هـ/741م (السيد عبد العزيز سالم 2008م، ص ص 147 - 149). وتجددت الصراعات القبلية بولاية عبد الملك بن قطن مرة في ثانية 123هـ/741م من العرب اليمانية وفي عهده تأججت نيران الفتنة في الأندلس بين اليمانية والمضرية كما تأججت نيران الفتنة في المغرب بين البربر والمضرية زمن ولاية كلثوم بن عياض القشيري الذي بطش بالمضرية فلاذوا بالفرار للأندلس بقيادة بلج بن بشر القشيري وثلعة بن سلامة الجزامي وعبد الرحمن بن حبيب الفهري وأمنهم عبد الملك بن قطن لمدة عام ثم أصرّ على إخراجهم من الأندلس فقاموا بقتله وصلبة في عام 123هـ/741م، وعيّن مكانه ثلعه بن سلامة (عبد القادر عثمان جاد الرب، 2005م، ص 66).

لما كثرت الهجرات من القيسية لم يرض اليمانية بهذا الوضع واشتبك الطرفان في صراع حياة أو موت شغل شطراً كبيراً من عصر الولاة، واشتبك الطرفان في موقعة بربوبورة التي هزم في اليمانية وأقصوا عن ميدان السياسة والقيادة. لم يتوقف الصراع بين العرب أنفسهم بل امتدّ لصراع بين العرب والبربر، وكان البربر قد أسهموا في فتح بلاد الأندلس. وهاجروا بكثرة لقرب بلادهم منها. ورغم أن الطرفان اشتراكاً في الفتح إلا أن الأطماع مزقتها وبفترتها تصدعت جبهة الإسلام بالأندلس، ولعل من أسباب الخلاف بين الطرفين هو استبداد العرب بأمر الحكم واعتبار البربر شعباً محكوماً، ولم يترك لهم نصيب في الحكم بل وامتد الأمر إلى سوء معاملة البربر وأمانتهم. وقد اندلع الصراع بين العرب والبربر في المغرب ثم انتقل إلى الأندلس عندما



ثار البربر على العرب القيسية في الأندلس بقيادة بلج بن بشر في عام 123هـ للقضاء على البربر وطلب من عبد الملك بن قطن منحه مدة عام، وتمكنوا من القضاء والانتصار عليهم في أوائل عام 124هـ/741م (عبد القادر عثمان جاد الرب 2005م، ص ص 69 - 70). وفي عام 125هـ/742م عزل والي إفريقية حنظلة بن صفوان ثعلبة بن سلامة وعيّن مكانه أبا الخطار بن ضرار الكلبي وهو مضري والياً على الأندلس، فساس أهلها سياسة عادلة إلا أنه انحاز لليمنية فيما بعد فثارت المضرية عليه وأدت العصبية إلى عزله وتعيين ثوابة بن سلامة - وهو يماني - مكانه في عام 122هـ/745م. وأجمع عليه أهل الأندلس إلا أنه توفي في عام 130هـ/746م (عبد القادر عثمان جاد الرب 205م، ص 66) فخلفه يوسف بن عبد الرحمن الفهري باتفاق الجانبين على أن تكون الولاية سنوية ودولة بينهما. ولكن الخلاف سرعان ما ظهر بينهما وأدى إلى اشتباكهما في عدة معارك أهمها معركة شقرة في عام 300هـ/747م والتي جمع فيها اليمانية جيوشهم لمحاربة الصميل بن حاتم ومن معه من القيسية وهزم اليمانية للمرة الثانية حتى قال أحد زعمائهم: (لو أن دماء أهل الشام جمعت لي في قدح لشربته) وكانت هذه المعركة ذات أثر كبير في تاريخ الأندلس إذ انصرف اليمانية إلى الأعمال المدنية، ولما أطل عبد الرحمن بن معاوية ظنوا أن الفرصة مواتية لهم فأيدوه، وقتل في هذه المعركة أبي الخطار فصفا الجو ليوسف وأنصاره، وشهدت فترته كثرة الفتن والصراعات بالأندلس (حسن أحمد محمود 1999م، ص ص 67 - 68).

سقطت الدولة الأموية في المشرق عام 132هـ/750م وتعرض الأمويون للبطش والتكيل حتى خرج عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك متكرراً إلى إفريقية واستغل الظروف التي تمر بها الأندلس "صراع المضرية واليمانية" حتى عرف أحوال الأندلس وضمن تأييد اليمانية له فغبر للأندلس بجانب بعض البربر وموالي بني أمية فاتجه إلى قرطبة وهزم جيش يوسف بن عبد الرحمن الفهري في المصاراة قرب قرطبة في عام 138هـ/756م وأعلن أمارته على الأندلس ليبدأ الأمانة الأموية (عبد القادر عثمان جاد الرب 2005م،

ص67). وهكذا اشتعلت نار الحرب بين العصبيتين اليمينية والمضرية وهي حول حرب كانت في الإسلام بهذه الدعوة وهي الفتنة التي أدت لضعف الإسلام بالأندلس. كان من نتائج هذه الصراعات اضطراب الحياة الاقتصادية في البلاد إذ أدت الحروب لخلو المزارع والقرى من أهلها وانتشرت المجاعة في البلاد حتى خلت بعض مناطق شمال وغرب الأندلس من المسلمين تماماً. كما أن النصارى انتهزوا الفرصة فاتسعت دولتهم للضعف في عام 751م. كما خسر المسلمون ربع ما فتحوه من البلاد وتمت المقاومة النصرانية في الحدود بينما ترسخت في نفوس العرب والبربر رواسب الحقد والكراهية (حسن أحمد محمود 1999م، ص70).

#### العصبية القبلية في الأندلس في عصر الإمارة والخلافة الأموية:

استعان عبد الرحمن الداخل في أول أمره بالصميل بن أبي حاتم، ليكون في طليعة كتائبه نحو الأندلس، إلا أن الأخير لم يشأ أن يسير في فلك صاحبه، مع أنهم جميعاً من عرب الشمال، وذلك لاعتبارات منها أنه صاحب سبق في المنطقة، وزعيم المضريين فيها، هذه كلها تمنعه من أن يكون تابعاً لعبد الرحمن بن معاوية (الداخل) (ابن القوطية 1994م، ص86). دفع تباطؤ الصميل في دعمه لعبد الرحمن الداخل الأخير للبحث عن بديل يناصره في مُبتغاه، وهذا البديل لابد من أن تكون له كذلك أجنדתه، فوجد ضالته في القبائل اليمينية، التي وجدت أن هذا العرض سيحقق لها أهداف عديدة، منها الثأر من المضريين الذين أذاقوهم الويلات في المشرق والمغرب، كما أنها سانحة لهم ليقودوا دفة البلاد مرة أخرى بعد أن فقدوها بزوال الدولة الأموية في المشرق (ابن القوطية 1994م، ص86). وهكذا لعبت الظروف السياسية دوراً كبيراً في أن يلتقي زعيم مضري بقبائل يمنية لتأسيس دولة سيكون من أولى مظاهرها اختفاء العصبية القبلية، وهذا ما حدث فعلاً فقد خاض عبد الرحمن الداخل معاركه ضد الصميل بن أبي حاتم (المضري) ويوسف الفهري (اليميني) وبعض الطامحين من بقايا بني أمية. فأصبحت معارك الدولة - ولأول مرة - يكون هدفها فرض هيبة الدولة وقتال البُغاة بغض النظر عن كونهم عدنانيين أو قحطانيين أو بربر أو أمويين. فكانت

الدولة الأموية بالأندلس البوتقة التي انصهرت فيها كل القبائل العربية والإسلامية فأصبح الرابط بينها هو الإسلام ودولة بني أمية الحديثة في الأندلس.

حكم عبد الرحمن الداخل ما يقرب من أربعة وثلاثين عاماً (138 - 172هـ) استطاع أن يقضي فيها على المصاعب التي واجهته، وأن يوطد دعائم ملكه، فنجح في بناء جيش قوي منظم، فانشغل الناس بالبناء والتنمية ولفظوا العصية جانباً، إلا أن محاولات العباسيين لمحاربة الدولة الناشئة كانت عاملاً في ظهور القبلية مرةً أخرى، وذلك عندما دسَّ الخليفة العباسي أحد رجاله يدعى العلاء بن مغيث اليحصبي ليخلصه من عبد الرحمن الداخل، وله بعد ذلك حكم الأندلس، فدعا العلاء إلى طاعة المنصور فتبعه خلق كثير، وعلى الأخص الجماعات اليمينية التي كانت تطمح في الحكم، وأمام هذا الموقف اضطر عبد الرحمن الداخل للانضمام صراحةً لأعدائهم المضرية، فاجتمع إليه سبعمائة رجل هاجم بهم جموع اليمينية التي يقودها العلاء فأنزل بهم هزيمة قاسية، واحتز رأس قائدهم العلاء وأرسله إلى الخليفة المنصور، فلما أتى به إليه اشتدَّ غضبه وقال: (الحمد لله الذي جعل بيننا وبين هذا الشيطان بخرًا) (ابن القوطية 1994م، ص39).

أعقب ذلك مشكلة أخرى قام بها البربر الناقمون على السيادة العربية، فكانت ثورتهم بقيادة رجل يدعى شقيا بن عبد الواحد المكناسي، وقد استمرت ثورته زهاء عشر سنوات (151 - 160هـ)، وقد استعصى أمرها على عبد الرحمن الداخل الذي لجأ في آخر الأمر للحيلة عندما دبر مؤامرة قام بها أحد أصحابه فتخلص من المكناسي، وإن كان البعض يرى أن هذه يشتم منها رائحة التشيع أكثر من كونها ذات طابع قبلي، وذلك أن المكناسي ادَّعى أنه من نسل الحسن بن علي ؑ (أحمد مختار العبادي 1967م، ص105).

خلف عبد الرحمن الداخل على الأمانة ابنه هشام بن عبد الرحمن (172 - 180هـ) فوجد الأمن مُستتباً، والبلاد خاضعة لسلطان بني أمية، فظهرت شخصيته المتمثلة في التأصيل لمبادئ الإسلام، فأحبَّه أهل الأندلس حتى لقبوه بالرضا، فكانوا له درعاً واقياً ضد الطامعين في عرش دولته من أخوته وبعض زعماء الدول النصرانية

المجاورة (ابن القوطية 1994م، ص99). ولكن هذا لا يعني إجماع أهل الأندلس وخلو البلاد من التفتلات، ففي سنة 178هـ قام البربر بثورة ضد العرب فقتلوا أعداداً كبيرة منهم وسبوا منهم الكثير، فأرسل إليهم هشام قواته فأوقع بالبربر وأعاد الأمور إلى نصابها. كما أخذ ثورتين يمينيتين قامتتا في منطقتي سرقسطة وبرشلونة (أحمد مختار العبادي 1967م، ص113). ثم خلفه ابنه الحَكَم بن هشام (180 - 206هـ)، والذي بدأت تظهر في أول عصره ثمار البناء الذي شاده جدّه ثم والده، فازدهرت الحضارة، واستقرّ اقتصادها وأصبحت قبلة التجار وطلبة العلم والعلماء، فلم يكن لديه ما يزيد، ولما كان الابن بعيداً كل البعد عن ورع وحكمة وتقوى والده فقد مال إلى حياة الترف والخنوع، ومما زاد الأمر سوءاً ميله إلى الجنس العربي وتقديمه على البربر والمولدين، فهو بهذه السياسة أحياء القبليّة بعد وأدها، فبرزت عنده نزعة التعالي ليس على غير العرب فحسب بل حتى على من هم غير بني أمية من العرب، ولم يكتف بذلك بل فقد أهم شريحة كان يمكنه استخدامها في القضاء على الفتن الداخلية، لأنها الشريحة الوحيدة التي تمتلك سلاح التأثير على أهل الملة، وهي شريحة العلماء، وركّز جُلّ اهتمامه في بيطانته وندمائه وشُعرائه الذين يزيّنون له سوء عمله.

أفقدت تلك السياسة الحَكَم ود المتدينين من العرب والبربر، كما أفقدته عُصراً وإن كان جديداً إلا أن الأيام كانت تزيد قُوّة ومثانة وغلبة، وهو عنصر المولدين، الذين ينتمون إلى آباء عرب وأمّهات أندلسيات، فهؤلاء أخذوا الإسلام نقيّاً، خالياً من شوائب القبليّة، وهم يختلفون عن غيرهم في أنهم أصحاب أرض، وأكثر العناصر علماً ومهارة في فنون الزراعة والصناعة، فهم ليسوا كالعرب الذين أضاعوا جُلّ أوقاتهم في النزاعات القبليّة، وهذا العنصر يُعدُّ من أهم العناصر المُكوّنة للمجتمع الأندلسي، وإذا صرفنا النظر عن صحة تصنيفهم في المرتبة الثالثة بعد العرب والبربر، إلا أنهم يمثلون الأكثرية العددية، أو على الأقل هم المجموعة الأكثر نمواً (عبد الحليم عويس 2006م، ص51). ولما عجز الحَكَم بن هشام عن استيعاب هذه الوضعية الاجتماعية الجديدة وتوظيفها لخدمة دولته مال إلى الحلول العنيفة مُعتمداً على العنصر

العربي، مما زاد الهوة بين العرب والمولدين، فكانت هذه الحروب سبباً في إحداث فجوة عميقة بين المسلمين تحتاج إلى عقود لردمها، وهذا ما لا تستوعبه فترة حكم هشام. ولعل من أخطر نتائج القبلية التي غرسها الحَكَم ابن هشام وقوع مذبحتين كبيرتين، الأولى كانت لأهل طليطلة، يتحمّل كبرها قمة هرم الدولة المتمثل في الحَكَم وولي عهده عبد الرحمن بن الحَكَم والوالي عمرو بن يوسف. وتعدّ تلك المذبحة من أخطر الضربات التي وُجّهت لأهل الإسلام، فما جرى فيها من غدر وخيانة أمر لا يعرفه الإسلام ولا تقرّه الشهامة العربية. والحادثة بدأت بتدبير زيارة لولي العهد للمدينة، ثم دُعي الناس للطعام على شرف ولي العهد، فدخلوا للسلام عليه، وكانت الخطة أن يدخل وجوه البلدة للسلام على ولي العهد، بينما تُصرف دوابهم إلى الباب الثاني، فإذا سلموا على ولي العهد وتناولوا طعامهم خرجوا من الباب الثاني حيث دوابهم عنده. إلا أن الذي حدث أنهم كانوا عندما يدخلون يجد أحدهم نفسه أمام شفير حفرة وسيّاف يضرب عنقه ثم يرمي به حتى أتى القتل على أكثر من خمسة آلاف (المراكشي 1980م، ص104).

أما المذبحة الثانية فهي أكثر بشاعة وأعمق أثراً، وقد وقعت في العاصمة قرطبة، جراء الشعور بالظلم والدونية والكرهية لسياسة الحَكَم وأخلاقه الشخصية، وتحريض الدعاة وعلماء الإسلام الناس عليه وتشجيعهم به، وقد استجاب لهم سُكّان حي الربض، وهو حي يسكنه الفقراء والعمال والحرفيين، يقع على الضفة الجنوبية لنهر الوادي الكبير. وسبب الثورة أن أحد حُرّاس الأمير ذهب إلى الحداد ليُصلح سيفه، فلما تباطأ في إصلاحه حدث بينهما جدال عنيف فما كان من الجندي إلا وأن استل سيفه وقتل الحداد، فاندسّ العلماء بين الناس وأشعلوا الثورة، فعبّرت جموعهم الجسر وحاصروا قصر الحَكَم، فلجأ الحاكم إلى الحيلة فأوعز إلى ابن عمه بأن يعبر النهر بجنوده إلى حي الربض، ويشعل النار فيه، فتحقق ما أراد الحَكَم إذ فزع الثوار لما شاهدوا النيران تلتهم مساكنهم، وخافوا على ممتلكاتهم ونسائهم وأولادهم، فدبرت لهم قوات الأمير كميناً على جسر النهر، وأعملت فيهم السيف حتى أفنوا منهم أعداداً

كبيرة (ابن القوطية 1994م، ص101). وإذا اتفقنا مع الذين يحملون الثوار المسؤولية إلا أن رد الفعل كان عنيفاً، فعملية الحرق التي دبرها الحَكَم لا علاقة لها بالإسلام، بل الإسلام حرّمها حتى على الحشرات فضلاً عن البشر.

هذا التصرف مع فظاعته لم يشف غيظ الحَكَم فأمر بهدم حي الريض وحرث أرضه وتحويلها إلى أرض زراعية، كما أمر من تبقى منهم بمغادرة البلاد، فعبروا المضيق إلى المغرب حيث استقروا بين قبائل البربر في جبال الريف شمال المغرب. بينما غادر فريق منهم شرقاً فنزلوا في ضواحي الإسكندرية في أوائل عصر الخليفة المأمون سنة 200هـ (ابن القوطية 1994م، ص102).

كان من آثار هذه السياسة العنصرية العنيفة للحكم أن اندفع الكارولنجيون إلى تصعيد وتيرة الهجوم المضاد، مُستفيدين من تراجع الخطر الأموي وراء جبال البرانس، وضعف دفاعهم على التخوم، وتحقيق السيطرة على ثغر برشلونة الهام، والذي بقي في يد النصارى ولم يفلح المسلمون في استرداده إطلاقاً. أما مدينة طليطة - العاصمة القديمة للقوط - والتي أُصيبت بخيبة أمل كبيرة جراء مذبحه عمروس والحَكَم، فقد تعمّقت لديها كراهية الخلافة الأموية، وأصبحت مُستعدة للثورة على الجنس العربي متى ما سنحت لها الفرصة. لتصبح بعد ذلك أول مدينة إسلامية أندلسية تخرج من حوزة المسلمين وتقع في أيدي النصارى المستفيد الأول من العصبية. ثم خلفه ابنه عبد الرحمن بن الحَكَم (206 - 238هـ) المعروف بعبد الرحمن الأوسط، فبذل جهوداً مقدرة في تحسين أوضاع البلاد والقضاء على العصبية، فحقّق نجاحاً مُعتبراً، ساعده في ذلك التطوّر العمراني والحضاري الذي صاحب عصره. إلا أن الثورات ذات الطابع القبلي لم تنقطع، ففي سنة 207هـ قامت فتنة بين المضريين وأهل اليمن، واستمرت سبع سنوات، فأرسل أمير الأندلس عبد الرحمن الأوسط، أبرز قادته هو الأمير يحيى بن عبد الله بن خلف، الذي خاض معهم معارك عديدة أبرزها وقعة "المصادرة" التي تجاوز عدد القتلى فيها ثلاثة آلاف (المراكشي 1980م، ص81).

لم ينته الصراع في الأندلس بالنزاع العربي العربي، إذ واكبه صراع بين العرب والبربر، والذي ألقى بظلاله القاتمة على وحدة المنطقة، ووسّع الهوة بين القادمين الجدد (العرب والبربر)، وعكس صورة سيئة لفئة من الناس دخلت إلى البلاد وهي تحمل لواء الإصلاح، ونقل العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد. وكان من أبرز تلك المواجهات ما قام به حبيب البُرُئس في جبال الجزيرة، عندما قاد ثورة ضد العرب، فوجد ضالته في فئات من دُعاة الشر والفساد، فأرسل إليه عبد الرحمن الأوسط جيوشه، فقتل عدداً من أنصاره وتفرقت البقية. إلا أن حوادث الصراع القبلي في عهد عبد الرحمن الأوسط لم تشكل خطورة على أمن واستقرار الدولة، نتيجة للدروس التي اكتسبها الأوسط من سياسة والده الظالمة والتي أفقدته كل شيء، والسعيد من وعظ بغيره.

تغيرت الأحوال تغيرت في الأندلس بعد وفاة عبد الرحمن الأوسط، إذ تعاقبت الثورات والفتن المحلية، واستغل النورمان هذه الظروف ليعاودوا غاراتهم على سواحل الأندلس، وضعف نفوذ أمراء قرطبة، وفقدوا السيطرة على البلاد، فظهرت الاضطرابات السياسية، واستفحلت العصبية، فاستقل كل والي بما تحت يده حتى أطلق المؤرخون على هذه الفترة (238 - 300هـ) اسم (عصر الطوائف الأولى) وذلك لنشوء العديد من الثورات العنصرية، والتي تمثلت في بروز ثلاث طوائف غير متجانسة في الأندلس في تلك الفترة، هي: العرب والبربر والمولدين. فكانت تلك الحقبة مرتعاً خصباً للقبليّة البغيضة. ومما زاد الأمر سوءاً رقّة الدين عند أهل ذلك العصر، وكثرة التفسخ والانحلال، فبرزت إلى السطح فئات من المنحليين، والعائلات المترفة، فارتفع شأن الغناء والموسيقى، فضاعت جهود الأمة ففقدت خيرة عناصرها المتمثلة في فئة الشباب الذين سقطوا في مستنقع الرذيلة، بعد أن ماتت هممتهم.

قامت ثورات عبد الرحمن بن مروان الجليقي - من المولدين - في شمال غرب الأندلس في سنة 254هـ ف، في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط (238 - 272هـ)، وقد اتخذ ذلك الصراع منحىً خطيراً إذ تحالف عبد الرحمن بن معاوية مع

نصارى المنطقة فدعموه عسكرياً ولوجستياً، ووجد كذلك الدعم من بني جلدته المولدين، ولعل من أخطر نتائج هذه الثورة أنها فتحت الباب على مصراعيه لمثل تلك الثورات، فامتدت الثورة الجليقية في ماردة سنة 261هـ، وثورة بني قسي في سرقسطة (أحمد مختار العبادي 1967م، ص157). ولم تنته الثورات في عهد الأمير محمد ابن عبد الرحمن عند هذه الثورة، فقد تبعها ثورات عديدة قام بها المولدون وغيرهم في طليطلة والثغر الأعلى والغرب الأندلسي، كما شهد عصره اضطرابات داخلية في الجنوب الأندلسي قام بها المولدون والمستعربون، فاستغل بعض القادة العرب الطامحين هذه الأحوال غير المستقرة فحاولوا الاستقلال عن الدولة الأموية في قرطبة، فأصبحوا يديرون المدن التي يحكمونها نيابة عن الأمير الأندلسي وكانهم ملوك مستقلون. ومنهم بنو حجاج في إشبيلية، وهم ذوي أصول يمينية يعودون إلى قبيلة لخم، وفي غرناطة استقل سعيد بن جودي السعدي. لم يستسلم الأمير محمد بن عبد الرحمن لهذه الحركات الانفصالية بل أرسل إليهم جيوشه وخاض ضدهم معارك عديدة. ولعل أسوأ ما في هذه الحركات الانفصالية ذات الطابع القبلي أنها فتحت الباب أمام الطامعين من الممالك النصرانية التي اضطرت الأمير محمد بن عبد الرحمن إلى حربها عندما سعت الأخرى لاقتطاع أطراف الدولة. أما أخطر الثورات التي شهدتها فترة الأمير بن عبد الرحمن فهي ثورة عمر بن حفصون الذي اعتصم بجبل بوبشتر، فنجح في استمالة أعداداً كبيرة من المتمردين الأسباب الثائرين على حكومة قرطبة، فاعتدى على حدود الدولة وروّع الأمنين، وأشاع الهلع والخوف في نفوس أهل الأندلس، وظل الأمير محمد يقاتل جيوش ابن حفصون الآخذة في الزيادة من وقت لآخر، والمعتمنة بالجبال إلى أن توفي دون أن يحقق نصراً ظاهراً عليه ويقضي على تمرده.

خلف المنذر بن محمد والده على أمانة الأندلس، فوضع نصب عينيه القضاء على العدو الأكبر عمر حفصون إلى أن المنية عاجلته قبل أن يحقق غايته. ثم خلفه أخوه عبد الله ابن محمد، الذي تقلد الإمارة في فترة عصيبة، فالحرب قد أنهكت خزينة الدولة، وفي وقت برزت فيه عنصرية جامحة، تمثلت في تكثّل العرب في بعض المناطق،



لمواجهة تكتل آخر يقوده المولدون، وكانت مدن إشبيلية وطليلطة وغرناطة أبرز مراكز هذه الحركة.

وقد أظهرت القبائل العربية من جانبها تعصباً عنصرياً ضد البربر والمولدين، وصفه مؤرخ الأندلس ابن حيان بقوله: (وكان ابتداء فتنة أهل الجزيرة وانبعاثها بالمعصية بين اليمانية والمضرية، فأطلق بعضهم على بعض الغارات، واستحلوا الحرمات، وتخلقوا بأخلاق الجاهلية) (القرطبي، 1973م، ص52)، وفي موضع آخر يواصل تحليله الدقيق للأزمة فيقول: (... وأشرأبت نفوس الناس إلى الفتنة، وتفاقم في هذا الوقت ما بين العرب والمولدين والعجمة، واستعملوا العصبية، فعادوا في الجاهلية وسفكوا الدماء وتحزبت المسالمة مع المولدين، وتميزت إليهم نصارى الذمة فصاروا جميعاً إلباً على العرب) (القرطبي 1973م، ص51). وقد رأى الأمير عبد الله الاستفادة من هذه الخلافات القبلية لضرب تلك العناصر ببعضها البعض حتى يضعفها، فقام بدعم ثورة العرب ضد المولدين في غرناطة وألبيرة، فلما تقدم إليه المولدون بشكوى مما يلاقونه من ظلم العرب لهم لم يهتم بشكواهم، حتى وقعت معركة دامية بين الطرفين في سنة 276هـ، فأسفرت عن هزيمة كبيرة للمولدين، وفقدوا فيها أعداداً كبيرة من عناصرهم، فأحدثت هذه النكبة ردة فعل عنيفة تمثلت في تجمع المولدين من كل حذب وصوب، فالتفت حول المولدي الثائر عمر بن حفصون، الذي استفاد من هذه الأحداث فقويت شوكته، نتيجة للحسابات الخاطئة التي وضعها الأمير عبد الله. ونتيجة لذلك تلقى العرب ضربات موجعة من عمر بن حفصون الذي أصبح أكبر مُهدد للدولة الأموية التي مُنيت بخسارة أخرى نتيجة لدعمها لهذه القبلية، وهي أن القادة العرب الذين قادوا معاركهم غير الناجحة ضد المولدين بقيادة عمر بن حفصون، وأصبحوا يتعاملون وكأنهم قُوَّة مُوازية للأمارة لا تربطهم بعاصمتها أي صلة، حتى قيل أن مقتل قائد العرب سعيد بن جودي كان بإيعاز من الأمير عبد الله، وذلك لاستئصال أمره، وسعيه لإلغاء الأمارة (أحمد هيكل د.ت، ص118).

أما أشبيلية فقد ساعدتها طبيعتها الديموغرافية على أن تكون مسرحاً للعصبية، إذ أنها تضم أخطر العناصر التي قامت بتأجيج الصراع القبلي في الأندلس، وهي العناصر العربية والمولدين، وقد وصف ابن عذارى أحداث أشبيلية بقوله: (ثار العرب بأشبيلية ثورة، وقبضوا على عاملها عنوة، وانتهبوا طارفة ومتلده، ولم يتركوا إلا أهله وولده، وقتلوا كثيراً من أعوانه وعاثوا ما شاءوا في سلطانه، فاجتمعت العساكر من قرمونة وسائر الأقطار، وأحاطت بأشبيلية إحاطة الفلك بالدوار، فغلبوا على القائمين فيها، وقتلوا منهم فرقة، فكانت الوقعة المعروفة بالدعقة) (المراكشي 1982م، ص134).

يجدر بنا أن نذكر أن أول من بدأ التمرد في أشبيلية كان من العرب اليمينية، ويُدعى إبراهيم بن حجاج اللخمي، الذي تمكن من تكوين دولة في أشبيلية عُرفت بدولة بني حجاج، وأحاط نفسه بالشعراء والأدباء، وكان من بين هؤلاء ابن عبد ربه صاحب العقد الفريد، وكان إبراهيم يلبس رداءً من الحرير المنسوج بخيوط الذهب والفضة، وقد قصده الفقهاء والعلماء، وطال أمد دولته حتى مجيء عبد الرحمن الناصر، وهكذا أحاطت الأخطار بدولة بني أمية وانحسر نفوذها، حتى أصبح سلطانهم لا يتعدى قرطبة ونواحيها، وهي تجتاز مرحلة حرجة من أدق مراحل تاريخها السياسي، وكانت الظروف تستدعي أميراً حازماً وبطلاً قوياً يعيد للأمانة هيبتها، وينقذها من التفكك والانحيار (السيد عبد العزيز سالم 1998م، ص243).

تولى عرش الدولة عبد الرحمن الثالث (الناصر) بين (300 - 350هـ)، ونجح في إعادة بناء النسيج الاجتماعي للبلاد، وذلك بالقضاء على رموز العصبية الذين كانوا سبباً في إشعال نارها، والمتمثلة في القادة العرب، والمولدين، كما أراح البلاد من النخب البربرية التي كانت كثيراً ما تُحرك سُكان الأندلس الأصليين ضد المسلمين العرب، وتستميلهم من أجل الاستقلال عن الإمارة الأموية. ولم تمر فترة وجيزة حتى أدرك أهل الأندلس من سكان أصليين وعرب أن الخير كل الخير في ركل العصبية والاجتماع تحت مظلة أمة الإسلام، فاندمج المجتمع الأندلسي واختفت كل مظاهر العصبية. وكان للانتصارات التي حققها الخليفة الناصر، وإدارته الحكيمة لدولته، الدور الفعال في نشر الأمن في

ربوع البلاد، فاتجه الناس إلى ممارسة حياتهم العادية، فتحوّل المجتمع من عناصر فتن وتخريب، إلى سواعد بناء وتتمية، فانعكس ذلك على حياة الناس فارتفع مستوى المعيشة، وعمّ البلاد الرخاء الاقتصادي (المراكشي 1982م، ص134).

لما تولى الحُكَمَ بن المستنصر الخلافة (350 - 366هـ) وجد دولة قويّة، ونظاماً مُستقراً، أما العصبية فقد ظلّت مُختفية، فهي داءٌ خطير يضعف، ولكنه لا يموت ولا يفقد الأمل في قادم ينفخ في الروح ليعاود نشاطه من جديد. فجاءت الفرصة هذه المرّة على يد الخليفة الحُكَمَ بن المستنصر وذلك عندما عهد بالخلافة من بعده لابنه القاصر "هشام" الذي حكم تحت وصاية رجل مُغامر، يسعى للسيطرة على البلاد والظفر بعرشها، فوجد بُغيته في التقرب من الخليفة الحُكَمَ، حتى صار وصياً على الخليفة الطفل "هشام". هذا الرجل هو المنصور بن أبي عامر الذي أحكم سيطرته على الخلافة ليقوم الدولة العامرية (368 - 399هـ)، فعجز عن تسيير أمورها، وقد اكتفى بأن يسجّل في ديوان انجازه أنّه أعاد البلاد إلى المربع الأول بعد أن استردت عافيتها، ومما زاد الأمر سوءاً أن ابنه عبد الرحمن بن محمد أبي عامر خلفه على القبضة الحديدية لدولة الخلافة، فاستقدم البربر وجعلهم وجوه القوم، وأبعد العرب وبني أمية فأطلّت العُنصريّة برأسها من جديد، وفقدت الدولة هيبتها، ودخلت البلاد في حروب طويلة عُرفت في التاريخ بـ "الفتنة" امتدت في الفترة (399 - 422هـ) (المراكشي 1982م، ص379). ونتج عن ذلك بُعد الناس عن الدين، وذهبت هيبة السلطان، فأصبح الصراع بين العرب والبربر والصقالبة، وكل هذا يهون أمام لجوء بعضهم إلى موالاة النصارى ضد إخوانهم المسلمين، وهذا أسّ البلبايا.

أما الخليفة الشرعي "هشام بن الحُكَمَ" فقد أحسّ أخيراً بأن الأمور يُسييرها بني عامر وأنه لا رأي له في حُكْم دولته، ولكنه لم يفعل شيئاً، بل إن ابن عمه محمد بن هشام الثاني كان أكثر إيجابية منه في إعادة الأمور لبني أمية، وذلك عندما أفلح في الوصول لحُكْم الدولة في سنة 399هـ، إلا أن قومه الأمويين لم يكونوا في حجم طموحه، لأنهم ما عادوا يملكون الدوافع الدينية والتاريخية التي تؤهلهم للصمود أمام

أعدائهم العامريين. لا سيما وأن فترة سيطرة العامريين شهدت نُفوذاً كبيراً للبربر والصقالبة الذين سيطروا على الجوانب العسكرية إذ كان مُعظم الجيش من هذين العنصرين، الأمر الذي صعب من مهمة سيطرة بني أمية.

قاد محمد بن هشام بن عبد الجبار الملقَّب بالمهدي ثورته ضد عبد الرحمن بن أبي عامر ونجح في القضاء على الدولة العامرية، إلا أنه تبنت سياسة تعسُفِيَّة تجاه الصقالبة والبربر لأنهم كانوا أعوان العامريين، وتشدَّد مع الأندلسيين ونزع منهم السلاح، ثم أخفى الخليفة هشام بن الحَكَم في مكان بعيد، وأحضر جثَّة وأعلن أنها جثَّة الخليفة هشام بن الحَكَم (المراكشي 1982م، ص51). ومن غرائب محمد بن هشام أنه اتخذ الدين ستاراً للوصول للحكم بل أعلن أنه المهدي المنتظر الذي سيملاً الأرض عدلاً كما ملئت جوراً، ولكنه في حقيقة أمره بعيد كل البُعد عن الدين، وقد عُرِف عنه الفسق والفجور والميل إلى الملذات، فضلاً عن ميله إلى القسوة والعنف، مع قصر نظره في التعامل مع المشكلات (أحمد هيكل د. ت، ص243). ولذا يجمع المؤرخون على أنه كان العامل الأول في نشوب الفتنة التي وقعت في قرطبة بين البربر والعامية، وذلك عندما أمر أن يُنادى في الناس: من أتى برأس بربري فله كذا، فتسارع أهل قرطبة في قتل من قدروا عليه، فلم يبق تاجر ولا جندي إلا عمل مجهوده في ذلك. ومن الفضائح التي أوردها ابن عذارى أن أهل قرطبة دخلوا على أحد أعيان المدينة من البربر كانت له أدوار مشهودة في ميادين العلم والجهاد يُدعى "وسنار الرزالي" فدُبح على فراشه، ونُهبت ديار البربر وهتكت أعراضهم، وبيعت نساؤهم في أسواق النخاسة، وقتلوا النساء الحوامل، وقتلوا سبعة عشر رجلاً من أهل تلمسان كانوا قد جاءوا للجهاد مع إخوانهم المسلمين في الأندلس، وأنزلوا "مسلم بن عبد الله الحسيني" من داره فقتلوه وربطوه من رجله ثم سحبوه حتى ألقوا به في حفرة جوار داره، ونهبوا داره وفجروا بحرمة، وقتلوا أعداداً من أهل خراسان والشام ظناً منهم أنهم بربر، فكل من وجدوه في خلوة أو منفرداً قتلوه غيلة، وكان البربر إذا دخلوا أسواق قرطبة تخوفوا من العامة، فإن سهل فرس على فرس قامت نفرة لتعصب العامة عليهم ويُغضهم فيهم، وهم

مع ذلك صابرون ينهون سفهاءهم وعبيدهم أن يمد أحد منهم يده إلى عربي أو مولدي (المراكشي 1982م، ص81).

انتَهز هشام بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر الفرصة في تلك الظروف المضطربة - وكان المهدي قد سجن والده - فثار ضد المهدي في قرطبة حيث ساعده في ذلك البربر، الذين عبثوا بقرطبة إلا أن المهدي تمكن من القبض على ذلك الثائر وقتله مع بعض أنصاره (المقري 1388هـ، ص427). لم يستسلم البربر لذلك - لا سيما وأنهم يمثلون قوة لا يستهان بها، فتجمعوا تحت قيادة "زاوي بن زيري" وهجموا على قرطبة، ثم بايعوا سليمان بن الحَكَم بن عبد الرحمن الناصر. وفي سنة 422هـ سقطت الدولة الأموية بعد عزل آخر خلفائها هشام الثالث المعتد بالله، وإعلان الوزير "أبو محمد بن جهور" انتهاء الخلافة لعدم وجود من يستحق شغلها، لتدخل الأندلس في عصر جديد عُرف بعصر ملوك الطوائف (أحمد مختار العبادي 1967م، ص254). وهكذا مضى عقدان من الزمان (399 - 422هـ) غاب فيهما ميزان العدل، وضاعت قيم الإسلام، وترعرعت جرثومة العصبية التي جعلت المسلمين يتذللون ويبدلون كل ما يُقربهم للنصارى من أجل معاونتهم في حرب إخوانهم. وهذه الفتنة لا تقع مسؤوليتها على فئة دون أخرى، ويتحمل وزرها الجميع، وقد كانت نهايتها زوال دولة الإسلام في الأندلس وتحولها من كتلة متماسكة تحكم جميع أرض أيبيريا إلى أشلاء مُمزقة لا يجمع بينها رابط، تجاوزت العشرين دولة، توزعت بين فئات أهل البلاد، فكان البربر في الجنوب، والصقالبة في القسم الشرقي، أما باقي البلاد فكانت تحكُمها بعض الأسر العربية. وقد أدى تقسيم الأندلس إلى هذه الدويلات العنصرية المتحاربة إلى طمع نصارى الشمال في أرضهم، فكانت الكارثة المروعة - سقوط طليطلة - في يد النصارى في عام 478هـ، وقد رسم الشاعر ابن العسَّال محمد عبد الله بن فرج اليعصبى صورةً غاتمةً لهذه المأساة في قصيدته التي يقول فيها:

يا أهل أندلس شدّوا رواحلكم ❖ فما المقام بها إلا من الغلط  
الثوب ينسل من أطرافه وأرى ❖ ثوب الجزيرة منسُلاً من الوسط

وكان هذا الحصاد المر هو ثمرة العصبية القبلية التي مزقت العرب - قيسية ويمنية - من جانب وزرعت الفتن بين العرب والبربر، وبين العرب والصقالبة، وبين العرب والمولدين. وهذه الأحداث المؤسفة جرت على أرض وطنتها أقدام رجال كان شعارهم: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) (سورة الحجرات، الآية 13).

### الختامة:

من خلال هذا العرض السريع لأهم مظاهر العصبية القبلية في الأندلس، نجد أن هنالك عوامل كانت سبباً مباشراً في إذكاء نارها، تتمثل في الآتي:

العامل الأول: ما نقله القادمون الجدد (العرب) من المرات التي عاشوها في المشرق، خلال عصري الدولتين الأموية ثم العباسية، فالمُضريون لم ينسوا ما فعل بهم في مرج راهط، وكذلك لم ينس اليمينيون مجدهم الذي أزاله خلفاء بني أمية في أواخر عهدهم بالشام.

العامل الثاني: الملاحظ أن القبائل التي كانت تخرج مع هؤلاء القادة، هي الأخرى لها أجندها التي تخفي أثناء الثورة، وما أن تضع الحرب أوزارها وتستقر الأمور حتى يدرك الطرفان تباين الأهداف، فتضعف الثقة وتزداد الشكوك بينهما فيتحوّل أصدقاء الأمس إلى أعداء. وهذا يظهر بجلاء في موقف القبائل اليمينية التي دعمت عبد الرحمن الداخل في أول الأمر ليس حُباً في حكم بني أمية، ولكن لاستعادة مجدهم الذي ذهب بزوال ملك بني أمية في الشام، فلما يسوا عن تحقيق غايتهم ناصرُوا داعية العباسيين "العلاء اليحصبي".

العامل الثالث: سعي بعض الثُخب للوصول إلى السلطة، فأفرغوا جهدهم في استمالة بعض العناصر، وتجييش الجيوش وخوض معارك وقودها قبيلة ضد أخرى، فيحقق القائد أمله في الوصول إلى السلطة غير مُكترثاً لما يحدث من شرخ في النسيج الاجتماعي بالمنطقة.

العامل الرابع: طبيعة أهل قرطبة - قلب الجزيرة النابض - الذين جُبلوا على الميل إلى الفتن والثورات، وقد وصفهم ابن الخطيب: (وقد جبل الله أهل قرطبة على ملل

ملوكها، والقلق بذوي أمرها، والإرجاف بما يتوقع لها) (ابن الخطيب 1965م، ص90). ولا شك أن هذه النزعة هي التي جعلتهم مذنبين في ولائهم للحُكَّام حيث كانوا يقاتلون مع هذا تارة ثم يميلون إلى خصمه، مُعرضين أنفسهم وبلادهم للهلاك والفساد، وغير مُبالين بعهد أو ذمة. ولعل من الأمثلة الواضحة على ذلك ما ذكره ابن الأبار من أنه حينما أعلن محمد بن هشام بن عبد الجبار خروجه ضد بني عامر تهافت الناس عليه تهافت الفراش على النار، فهذا السلوك أوجد مُناخاً خصيباً للنفعيّة والانتهازية (ابن الأبار 1963م، ص170).

العامل الخامس: العناصر العربية وخاصة الأجيال التي وضت بعد جيوش الفتح لم يكن الإسلام متأصلاً فيها، فكانت تنظر إلى الفئات الأخرى نظرة دونية، الأمر الذي أصاب تلك العناصر بخيبة أمل كبيرة تجاه الإسلام الذي اعتنقته بحثاً عن العدالة الاجتماعية. ولذا نجد كثير من الثورات يقوم بها البربر والمولدين والأسبان بسبب ما يعانونه من ظلم اجتماعي.

العامل السادس: أدّى انشغال الأمراء بحماية مركز الدولة، وإعادة الأمن لأطرافها، إلى تصدي أمراء المدن للثورات المحليّة بأنفسهم، الأمر الذي قاد إلى شعورهم بالقوة وإمكانية الاستقلال، وهذا الشعور تعاضم في نفوس هؤلاء القادة مع ضعف المركز فانتهى إلى تمزق الجزيرة الأندلسية إلى أكثر من عشرين دولة.

العامل السابع: ضعف الوازع الديني لدى بعض القادة، الذي ألبوا ضدهم العلماء بسبب فجورهم، وفسقهم ونشرهم للفساد. وكان العلماء يمثلون خط الدفاع الأول لتماسك المجتمع، فإذا ما أذاعوا انحرافاً لأمير انفضّ الناس من حوله فنقم عليه أهل الورع والصلاح، وانتهز أصحاب المصالح الفرصة للثورة.

العامل الثامن: الطبيعة الجغرافية للمنطقة ساعدت الخارجين على الدولة في الاعتصام بالجبال واتخاذ القلاع والغابات مُنطلقاً لثوراتهم.

العامل التاسع: قُرب البلاد من الدُوِيلات النصرانية وتداخلها مع المسلمين جعلها على علم بكل تفاصيل الدولة، ونقاط الضعف فيها فكانوا يستغلون هذه الخلافات

ويدعمونها، ليسقط المسلمون في أخطر اختبار عقدي، هو القدح في عقيدة الولاء والبراء.

### المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم
- الألباني، محمد ناصر الدين 1405هـ/1985م، مختصر إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، ط2، المكتب الإسلامي، بيروت.
- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل 1399هـ/1979م، الجامع الصحيح، المكتب الإسلامي، استانبول.
- التبريزي، محمد بن عبد الله الخطيب 1985م، مشكاة المصابيح، (تحقيق) محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت.
- الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى 1998م، سنن الترمذي، ط2، (تحقيق) بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر 1906م، الحيوان، دار الكتاب العربي، القاهرة.
- السهيلي، أبو القاسم عبدالرحمن بن عبدالله بن أحمد 1978م، الروض الأنف .
- السيد عبد العزيز سالم 1998م، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، دار النهضة العربية، بيروت.
- الطبري، محمد بن جرير الطبري 1967م، تاريخ الأمم والملوك، ط2، (تحقيق) محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت.
- القرطبي، أبو مروان حيان بن خلف 1973م، المقتبس من بناء أهل الأندلس، (تحقيق) محمود على مكي، بيروت.
- المراكشي، ابن عذارى 1980م، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، نشر كولان وليفي بروفنسال، بيروت.



- الندوي، أبو الحسن 1984م، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت.
- المقري، أبو العباس أحمد بن محمد التلمساني 1388هـ، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب، (تحقيق) إحسان عباس، دار صادر، بيروت.
- ابن الآبار، أبو عبد الله القضاعي 1963م، الحلة السبراء، (تحقيق) حسين مؤنس، ط1، الشركة العربية للطباعة والنشر.
- ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني 1399هـ/1979م، الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت.
- ابن الخطيب، أبو عبد الله محمد بن عبد الله 1965م، أعمال الأعلام فيمن بويغ قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، ط2، (تحقيق) ليفي بروفتسال، دار الكشوف، بيروت.
- ابن القوطية، أبو بكر بن عمر بن عبد العزيز 1415هـ/1994م، تاريخ افتتاح الأندلس، (تحقيق) عبد الله أنيس الطباع، بيروت.
- ابن خلدون، عبد الرحمن 1988م، مقدمة ابن خلدون، ط1، دار الفكر، بيروت.
- ابن عرفة، أبو عبد الله محمد الانصاري 1993م، الهداية الكافية الشافية، (تحقيق) محمد أبو الانجفان والطاهر المعموري، دار العرب الاسلامي.
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر 1414هـ/1993م، البداية والنهاية، (تحقيق) أحمد عبد الوهاب فتيح، دار الحديث، القاهرة.
- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي بن أحمد (د.ت)، لسان العرب، دار صادر، بيروت.
- ابن هشام، أبو محمد عبد الله بن هشام بن أيوب الحميري 1992م، السيرة النبوية، دار الفكر.
- أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي السجستاني 1409هـ، سنن

- أبي داود، ط1، دار الجنان، بيروت.
- أحمد إبراهيم الشريف (د.ت)، مكة والمدينة في عهد الرسول (ص).
- أحمد مختار العبادي 1967م، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، الإسكندرية.
- أحمد هيكل (د.ت)، الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، دار المعارف.
- حسن أحمد محمود 1999م، تاريخ المغرب والأندلس من الفتح العربي إلى سقوط غرناطة، ط1، دار الفكر العرب، القاهرة.
- حسن خضير أحمد 1427هـ/2006م، صفحات من تاريخ الأندلس الإسلامي، ط1، مكتبة المتنبى، السعودية.
- شوقي أبو خليل 1999م، في التاريخ الإسلامي، ط2، دار الفكر المعاصر، بيروت.
- عبد الحلیم عويس 1327هـ/2006م، تجربة الأندلس أسباب السقوط (دروس وعبر)، دار الكلمة، المنصورة.
- عبد الرحمن السالمي، القبيلة والإثنية والدين، [www.altasamoh.net](http://www.altasamoh.net)
- عبد القادر عثمان جاد الرب 2005م، تاريخ المغرب والأندلس، ط1، منشورات جامعة السودان المفتوحة، الخرطوم.
- محمد أبو زهرة (د.ت)، تاريخ المذاهب الإسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة.
- محمد الطاهر بن عاشور 1984م، التحرير والتتوير، ط1، الدار التونسية للنشر والتوزيع، تونس.
- مسلم، بن الحجاج القشيري النيسابوري 1955م، صحيح مسلم بشرح النووي، (تحقيق) محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.

## الثقافة التنظيمية ودورها في تطوير الأداء الوظيفي (دراسة ميدانية على العاملين في جامعة القلمون الخاصة)

د. عاطف محمود عوض

أ. مشارك بقسم إدارة الموارد البشرية - البرامج الأكاديمية للكليات العسكرية  
- جامعة أبو ظبي - العين - الإمارات العربية المتحدة

### مقدمة:

تواجه المنظمات - على اختلاف أنواعها وأحجامها ومهامها - تحدياً مشتركاً يتمثل في حاجتها لتحسين مستوى أدائها حتى يتسنى لها التأقلم مع متطلبات التغيير السريع. ومن هنا تبرز أهمية الثقافة التنظيمية التي تمثل مجموعة العوامل المتعلقة بالبيئة الداخلية للمنظمة وتؤثر على مستوى أداء الأفراد. لذلك فإن اتجاه المنظمات نحو الاهتمام بالثقافة التنظيمية لا ينبغي أن يقتصر على إدخال الأدوات والتقنيات المتطورة، بل لابد أن يشمل إحداث تغييرات فعلية في توجهات وسلوكيات وفلسفة وسياسات المنظمة.

لم تعد البيئة الخارجية للمنظمات - كما كانت - مستقرة وذات ثبات ملحوظ، بل أصبحت الحركية والديناميكية من سماتها الواضحة، الأمر الذي نتج عنه إفراز مشكلات معقدة ومتشابكة ألفت بظلالها على منظمات العمل، وبالتالي حتم على هذه المنظمات ابتكار حلول لمواجهة تلك المشكلات. غير أن ابتكار الحلول لا يأتي من قبيل الصدفة، بل يتطلب توفير البيئة المناسبة لخلق الإبداعات وفتح الآفاق للخيال المنتج، لذا أصبح الاهتمام بالأداء الوظيفي ضرورة لنجاح منظمات العمل، وسبباً لقدرتها على البقاء ومواجهة تغيرات البيئة الخارجية المتلاحقة. وحتى تضمن منظمات العمل نمو القدرات الإبداعية في محيطها الداخلي والخارجي يتوجب عليها أن تشكل نسيج ثقافتها التنظيمية لتكون داعمة ومشجعة للتميز في الأداء الوظيفي، لأن الثقافة التنظيمية وما تتضمنه من قيم ومعتقدات هي التي توجه سلوك الأفراد إلى ما يجب وما لا يجب عمله في بيئة العمل. من هنا يمكن ملاحظة أن للثقافة التنظيمية تأثيراً على

أنشطة المنظمات ومنها الأداء الوظيفي، لكونه أحد السبل المهمة التي تساعد على رفع وتحسين الكفاءة والفاعلية في المنظمات الخدمية والإنتاجية. وبما أن الأفراد يحملون أفكاراً ومعتقدات خاصة بهم فإن ذلك سيؤثر على التفاعل الاجتماعي والإبداعي والثقافي داخل المنظمات التي يعملون بها، وهذا ما حدا بالمنظمات إلى الاهتمام بالثقافة التنظيمية في الثمانينيات من القرن العشرين (نايف سليمان الفالح 1422هـ)، ومن هذا المنطلق فإن هذا البحث سوف يحاول التعرف على أثر الثقافة التنظيمية على الأداء الوظيفي لدى العاملين في جامعة القلمون الخاصة/سوريا.

**مشكلة البحث:**

تشكل الثقافة التنظيمية تحدياً لأي تنظيم نظراً لما لها من أثر في تشكيل سلوك العاملين وعاداتهم وتوقعاتهم، ما ينعكس سلباً أو إيجاباً على كافة أنشطة المنظمة بشكل عام. ولأهمية الثقافة التنظيمية في صياغة وتوجيه السلوك الإنساني فإن هذا البحث سوف يحاول التعرف على مدى تأثير هذه الثقافة على الأداء الوظيفي لدى العاملين في جامعة القلمون الخاصة/سوريا. وستكون مشكلة البحث ممثلة في السؤال التالي:

ما أثر الثقافة التنظيمية على الأداء الوظيفي في جامعة القلمون الخاصة/سوريا؟

#### تساؤلات البحث:

1. ما القيم السائدة المكونة للثقافة التنظيمية في جامعة القلمون الخاصة/سوريا؟
2. ما مدى توفر عناصر الأداء الوظيفي في جامعة القلمون الخاصة/سوريا؟
3. ما أثر القيم السائدة المكونة للثقافة التنظيمية على الأداء الوظيفي في جامعة القلمون الخاصة/سوريا؟

#### أهداف البحث:

إن الهدف الرئيس من هذا البحث هو معرفة أثر الثقافة التنظيمية على الأداء الوظيفي في جامعة القلمون الخاصة/سوريا، أما الأهداف الفرعية فهي كما يلي:

1. توضيح أهمية كلٍ من الثقافة التنظيمية والأداء الوظيفي للعاملين في جامعة القلمون الخاصة/سوريا.
2. التعرف على واقع قيم الثقافة التنظيمية وعناصر الأداء الوظيفي في جامعة القلمون الخاصة/سوريا.
3. التعرف على مدى تأثير القيم المكونة للثقافة التنظيمية على الأداء الوظيفي في جامعة القلمون الخاصة/سوريا.
4. تقديم بعض التوصيات والمقترحات التي تساعد المسؤولين في جامعة القلمون الخاصة/سوريا على الاستفادة من نتائج البحث.

#### أهمية البحث:

تتبع أهمية البحث من أهمية كل من الثقافة التنظيمية والأداء الوظيفي، حيث إن دراسة هذين الجانبين ما زالت محدودة وقاصرة في الوطن العربي لذا من المتوقع أن يمثل هذا البحث إضافة نوعية لحقل الإدارة في الجامعات الخاصة لمناقشته موضوعين فاعلين في مجال السلوك الإداري الذي هو محور التركيز لدى الباحثين في مجال الإدارة الجامعية ومجال التطوير التنظيمي بشكل خاص، لذلك نأمل أن يكون هذا البحث مرجعاً لهؤلاء الباحثين لإضافته الجديدة لهذا الحقل من خلال معرفة أثر الثقافة التنظيمية على الأداء الوظيفي ومساعدته في سد النقص في المكتبة العربية التي تفتقر إلى مثل هذه الدراسات والأبحاث المتعلقة بهذا الموضوع. وهذا كله حتم عليها توفير البيئة المناسبة وغرس القيم التي تشجع على الأداء الوظيفي المميز لدى منسوبيها، لكونه أحد السبل المهمة التي تساعد على المنافسة والصمود أمام المتغيرات المتلاحقة. ومن هنا يأمل الباحث أن تكون لهذا البحث مساهمة فاعلة في الواقع العملي لجامعة القلمون الخاصة/سوريا من خلال إيجاد البيئة المشجعة للأداء الوظيفي المتميز من خلال تأثير عنصر بالغ الأهمية وهو الثقافة التنظيمية، عن طريق التعرف على القيم السائدة المكونة للثقافة التنظيمية الأمر الذي يعطي المسؤولين القدرة على محاولة غرس القيم المشجعة على التميز في الأداء الوظيفي ونبذ القيم التي لا تشجعه، إضافة إلى التعرف

على خصائص الأداء الوظيفي المتوفرة لدى العاملين في مثل هذه المؤسسة ما يساعد على تحديد الخصائص التي يلزم تطويرها لدى العاملين للوصول إلى الحد المأمول من أداء الموظفين.

#### حدود البحث:

تتمثل حدود البحث فيما يلي:

#### أ. الحدود المكانية:

اقتصر هذا البحث على العاملين من كل المستويات في جامعة القلمون الخاصة/سوريا.

#### ب. الحدود الموضوعية:

ركز هذا البحث في جانبه الموضوعي على دراسة أثر القيم السائدة المكونة للثقافة التنظيمية على الأداء الوظيفي.

#### أدبيات البحث:

#### أولاً: الثقافة التنظيمية:

#### مفهوم الثقافة التنظيمية:

**الثقافة:** هي مجموعة العادات والتقاليد والقيم والقواعد السلوكية المشتركة الملموسة وغير الملموسة لمجتمع ما أو جماعة ما، والتي تميزهم عن غيرهم. وتشكل هذه المجموعات أسس التفاهم والتعامل فيما بين أفراد المجتمع من خلال تفاعلهم اليومي مع بعضهم البعض، يتعلمونها ويدركونها كونهم أعضاء فيه.

**التنظيمية:** يعرف التنظيم من عدة نواحي، أبرزها على أنه كيان معنوي مستقل وهو عملية إدارية، وظيفية، نظام. كما يمكن تعريفه على أنه هيكل للعلاقات التي تقوم بين جماعات متخصصة تسعى إلى تحقيق هدف محدد من خلال تنسيق وتكامل الجهود.

**الثقافة التنظيمية:** هي مجموعة القيم والمعايير والسلوكيات والتصرفات والاشارات وأساليب التعامل والمعاملة التي تصدر عن الموظفين ويلبسها العملاء والمتعاملين والمجتمع الذي تتواجد فيه المنظمة، سواء كان داخل أوقات العمل الرسمي

أو خارجه، وعليه فانه يجب أن يصبح الموظفون ومع الوقت يشعرون ويعرفون ويعاملون ويتعاملون بثقافة وقيم وسلوكيات منظماتهم وليس كما اعتادوا عليه قبل أن يصبحوا أعضاء في هذه المنظمة.

لأي فرد منا شخصيته المستقلة التي تميزه عن غيره، وكذلك الحال فإن لكل منظمة ثقافتها وشخصيتها التي تتميز بها عن غيرها من المنظمات الأخرى. فالمنظمات الربحية تختلف عن المنظمات غير الربحية والجامعات تختلف عن المعاهد والمستشفيات تختلف عن الفنادق والمسارح... الخ كما أن المنظمات التي تعمل في نفس المضمار وطبيعة العمل تختلف عن بعضها البعض فلن تجد مصرفاً له شخصية مماثلة لمصرف آخر أو جامعة لها شخصية مماثلة لجامعة أخرى.

تعد الثقافة التنظيمية عنصراً أساسياً في المنظمات المعاصرة يفرض على القادة ومديريها أن يفهموا أبعادها وعناصرها الفرعية لكونها الوسط البيئي الذي تعيش فيه المنظمات، فالثقافة التنظيمية نتاج ما اكتسبه العاملون من أنماط سلوكية وطرق تفكير وقيم وعادات واتجاهات ومهارات تقنية قبل انضمامهم للمنظمة التي يعملون فيها، ثم تضفي المنظمة ذلك النسق الثقافي لمنسوبيها من خصائصها واهتماماتها وسياساتها وأهدافها وقيمها ما يحدد شخصية المنظمة ويميزها عن غيرها من المنظمات ولاستيعاب دراسة مفهوم الثقافة التنظيمية وللاستفادة منه في حياة العاملين والمنظمات سيتطرق الباحث في هذا الجانب إلى مفهوم الثقافة التنظيمية وخصائصها وأهميتها وعلاقتها بالعمل وأنواعها ومكوناتها ووسائل تطويرها وتكوينها. وقد عرف تايلور الثقافة بأنها كلُّ معقد يشتمل على مجموعة من المعلومات والمعتقدات والفن والقانون والأخلاق والعادات وأي قدرات أخرى اكتسبها الإنسان بحكم عضويته في المجتمع (عبد الرحمن أحمد هيجان 1412هـ). وقد انبثق مفهوم الثقافة التنظيمية في الأساس من أدبيات الإدارة والسلوك التنظيمي وهذا يرجع إلى ظهور المنظمات الحديثة وتزايد مشكلتها التنظيمية (أحمد مصطفى النعمي 1418هـ).

## العوامل المكونة للثقافة التنظيمية:

## عوامل ومتغيرات ملموسة:

- منتجات وخدمات المنظمة.
- اسم وشعار المنظمة وأية دلالات أو أشكال أخرى.
- مباني ومكاتب وفروع خاصة بالمنظمة وأثاثها وتصاميمه الداخلية والخارجية.
- اعلانات ونشرات ومطبوعات المنظمة على اختلافها.
- مساهمات وخدمات المنظمة في خدمة المجتمع.

## عوامل ومتغيرات غير ملموسة:

- سلوكيات وتصرفات الموظفين.
- أسلوب وطريقة تعامل الموظفين للجمهور والمجتمع بشكل عام داخل وخارج ساعات العمل.
- أسلوب الموظفين في تقديم المنتجات والخدمات التي تقدمها المنظمة للمجتمع.
- آراء وأفكار وتوجهات الموظفين بما يتعلق بالقضايا الاجتماعية.
- مدى التزام الموظفين بالصورة العامة التي تطرحها المنظمة لنفسها داخل المجتمع.
- الأمور التي يفتخر بها الموظفون كونهم أعضاء في المنظمة.
- شعور الموظفون تجاه المنظمة والصورة التي يحملونها وينقلونها للجمهور الخارجي.
- سياسات وإجراءات عمل المنظمة.
- سبب وجود المنظمة.

ومن هذا المنطلق يرى هيجان أن الثقافة التنظيمية تعبر عن القيم التي يؤمن بها الأفراد في منظمة ما، وهذه القيم تؤثر بدورها في الجوانب الإنسانية الملموسة من المنظمة وفي سلوك الأفراد (عبد الرحمن أحمد هيجان 1412هـ). ويرى الكبيسي الثقافة التنظيمية بأنها مجموعة من المعاني المشتركة والتي تشمل القيم والاتجاهات



والمشاعر التي تحكم سلوك أفرادها (عامر الكبيسي 1998م). ومن هنا يرى الباحث أن الثقافة التنظيمية مجموعة من القيم التي يؤمن بها الأفراد داخل المنظمات والتي تحكم سلوكهم وتؤثر على أدائهم للأعمال المنوطة بهم.

من المعلوم انه لا توجد منظمة مهما كانت صغيرة ام كبيرة تخلو من ثقافة تنظيمية معينة، إلا أن المنظمات بشكل عام لا تعمل على ايجاد ثقافتها بوعي وإدراك وتخطيط مسبق، وتتكون الثقافة التنظيمية لهذه المنظمات بناء على طبيعية عملها واجراءاتها الداخلية وسياسات الإدارات العليا فيها. وتتحول هذه السياسات والإجراءات مع الوقت إلى مجموعة من الممارسات والخبرات للموظفين، والتي تكون وبشكل مباشر ثقافة المنظمة. إلا أن وجود الثقافات التنظيمية على هذا الشكل لن تمكن هذه المنظمات من مواكبة التطورات المتسارعة المحيطة، ولن تمكنها من القيام بعمليات تحول وتطور ناجحة. وتقع المسؤولية على الإدارة العليا وعليها أن تساهم بشكل واضح بوضع وتحديد وتشكيل الثقافة التنظيمية الخاصة بالمنظمة ومجموعة القيم الجوهرية والسلوكيات والتصرفات التي تتوافق وغايات المنظمة العليا والمصالح المشتركة للمالكين والإدارة والأفراد الموظفين والمجتمع الذي تتواجد فيه المنظمة. وتتبع أهمية الثقافة التنظيمية أيضاً من دورها في التأثير على سلوكيات العاملين فهي:

- توجد الإحساس بالذاتية والهوية للعاملين إذا ما تجذرت فيهم.
- إنها تساعد في إيجاد الالتزام بين العاملين.
- إنها تدعم استقرار المؤسسة كنظام اجتماعي.
- إنها تعمل كإطار مرجعي للعاملين لاستخدامه أو الاستعانة به لإعطاء معنى لنشاطات المؤسسة وأيضاً استخدامه كمرشد للسلوك اللائق.
- تساعد على جودة العمل.
- تساعد على سرعة الانجاز وزيادة الإنتاج.
- تؤدي إلى حسن التخطيط.

- تمتص الصراع في المنظمة.
- تؤدي إلى المنافسة الشريفة.
- تحقق الأهداف.
- تدعم التحفيز.
- تعكس صورة ايجابية أسلبية عن المنظمة.

### خصائص الثقافة التنظيمية:

تستمد الثقافة التنظيمية خصائصها من خصائص الثقافة العامة في المجتمع من ناحية، ومن خصائص المنظمات الإدارية من ناحية أخرى. ويمكن تحديد خصائص الثقافة التنظيمية فيما يلي:

- الإنسانية.
- الاكتساب والتعليم.
- الاستمرارية.
- التراكمية.
- الانتقائية.
- الثقافة.

تلك مجموعة من الخصائص الأساسية التي تشترك فيها الثقافة الإنسانية رغم تنوعها. وعلى الرغم من أن الثقافة التنظيمية تتفق مع تلك الخصائص، إلا أن لها بعض السمات التي تميزها باعتبارها ثقافة فرعية للمنظمات الإدارية تشكل مدارك العاملين والمديرين، وتزودهم بالطاقة الفاعلة وتحدد أنماط سلوكهم. وتنفرد الثقافة التنظيمية بالخصائص التالية (Ott 1989).

- 1- إنها توجد في المنظمات الإدارية بشكل يماثل الثقافة المجتمعية.
- 2- إنها تتمثل في القيم والمعتقدات والإدراكات والمعايير السلوكية وإبداعات الأفراد وأنماط السلوك المختلفة.
- 3- إنها الطاقة التي تدفع أفراد المنظمة إلى العمل والإنتاجية.

4- إنها الهدف الموجّه والمؤثر في فاعلية المنظمة.

#### أهمية الثقافة التنظيمية:

لقد أصبحت الثقافة التنظيمية جانباً مقبولاً وذا أولوية في كثير من المنظمات المعاصرة فالكثير من المديرين يعطون الأولوية والاهتمام الكافي للثقافة التنظيمية في منظماتهم لأنهم يعتبرونها من أهم المكونات الأساسية للمنظمة حيث إنها تحدد نجاح المنظمة إلى حد كبير كما أنها تخلق ضغوطاً على الأفراد العاملين بها للمضي قدماً للتفكير والتصرف بطريقة تتسجم وتتناسب معها. وتكمن أهمية الثقافة التنظيمية في المنظمات في الأوجه التالية:

1. هي بمثابة دليل للإدارة والعاملين، تشكل لهم نماذج السلوك والعلاقات التي يجب إتباعها والاسترشاد بها.
2. هي إطار فكري يوجه أعضاء المنظمة الواحدة وينظم أعمالهم وعلاقاتهم وإنجازاتهم.
3. العاملون بالمنظمات لا يؤدون أدوارهم فرادى أو كما يشتهون، وإنما في إطار تنظيمي واحد. لذلك فإن الثقافة بما تحويه من قيم وقواعد سلوكية تحدد لهؤلاء العاملين السلوك الوظيفي المتوقع منهم، وتحدد لهم أنماط العلاقات فيما بينهم، وبينهم وبين المراجعين والجهات الأخرى التي يتعاملون معها. كما أن ملابسهم ومظهرهم واللغة التي يتكلمونها، ومستويات الأداء، ومنهجيتهم في حل المشكلات تحدد ثقافة المنظمة وتدريبهم عليها، وتكافتهم على إتباعها.
4. تعتبر الثقافة التنظيمية من الملامح المميزة للمنظمة عن غيرها من المنظمات، وهي كذلك مصدر فخر واعتزاز للعاملين بها، وخاصة إذا كانت تؤكد قيماً معينة مثل الابتكار والتميز والريادة.
5. الثقافة القوية تعتبر عنصراً فاعلاً ومؤيداً للإدارة ومساعداً لها على تحقيق أهدافها وطموحاتها. وتكون الثقافة قوية عندما ما يقبلها غالبية العاملين

- بالمنظمة ويرتضون قيمها وأحكامها وقواعدها ويتبعون كل ذلك في سلوكياتهم وعلاقاتهم.
6. الثقافة القوية تسهل مهمة الإدارة والمديرين، فلا يلجأون إلى الإجراءات الرسمية أو الصارمة لتأكيد السلوك المطلوب.
7. تعتبر الثقافة القوية ميزة تنافسية للمنظمة إذا كانت تؤكد على سلوكيات خلاقة كالتفاني في العمل ولكنها قد تصبح ضارة إذا كانت تؤكد سلوكيات روتينية، كالطاعة العمياء، والالتزام الحرفي بالرسميات.
8. ثقافة المنظمة تعتبر عاملاً مهماً في استجلاب العاملين الملائمين، فالمنظمات الرائدة تجذب العاملين الطموحين. والمنظمات التي تبني قيم الابتكار والتفوق تستهوي العاملين المبدعين، والمنظمات التي تكافئ التميز والتطوير ينضم إليها العاملون المجتهدون الذين يرتفع لديهم دافع إثبات الذات.
9. تعتبر الثقافة عنصراً جديراً يؤثر على قابلية المنظمة للتغيير وقدرتها على مواكبة التطورات الجارية من حولها. فكلما كانت قيم المنظمة مرنة ومتطلعة للأفضل، كانت المنظمة أقدر على التغيير وأحرص على الاستفادة منه، ومن جهة أخرى كلما كانت القيم تميل إلى الثبات والحرص والتحفظ قلت قدرة المنظمة واستعدادها للتطوير.
10. تحتاج ثقافة المنظمة - كأى عنصر آخر في حياة المنظمات - إلى مجهودات واعية تغذيها وتقويها وتحافظ على استقرارها النسبي ورسوخها في أذهان العاملين وضمائرهم واتباعهم لتعليماتها في سلوكهم وعلاقاتهم (ممدوح جلال الرخيمي 1421هـ).

### الثقافة التنظيمية وعلاقتها بالعمل:

تؤثر الثقافة التنظيمية على جوانب عديدة من نشاط العاملين في المنظمة. كما تؤثر في نوع التعليم الذي يبغيه الفرد والجهد الذي يبذله في العمل، والطريقة التي

يتعاون بها مع أقرانه ورؤسائه، والعلاقات الإنسانية في العمل. ويبرز تأثير الثقافة التنظيمية على العمل في الجوانب التالية (ديفيز كيث 1976م):

(1) الحرية: وهي أن يشعر الفرد بالحرية في أداء عمله والاستقلالية الذاتية بحيث لا يبدي الفرد أي مقاومة في الانضمام إلى فريق العمل مع زملائه لإنجاز عمل ما.

(2) المساواة: وتستلزم أن يقف العاملون جميعاً على قدم المساواة وأن تكون لهم جميعاً حقوق وامتيازات متساوية. ولا تتجاهل المساواة الفروق الفردية في النواحي العقلية والانفعالية والاجتماعية، وبالتالي تعد المساواة من أقوى عناصر الثقافة التنظيمية التي تقف خلف أداء العاملين في المنظمات. وهناك فكرة أخرى ترتبط بالمساواة ألا وهي الإنصاف والعدالة، التي يقف الناس من خلالها متساوين، ويحصلون على حقوقهم دون تفرقة، وخاصة فيما يتعلق بقوانين العمل وأنماطه في المنظمات بصفة عامة.

(3) الأمن: يشكل الأمن الوظيفي حاجساً لكل موظف، إذ يخشى الموظف دائماً مجابهة كبر السن أو التقاعد دون أن يؤمن على حياته اقتصادياً. إن تحقيق الأمن الاقتصادي يوفر للعامل حقه في الفرص المتكافئة للعمل بكفاية وإخلاص وضمن الأمن، والأمان من أية خسائر خارجة عن نطاق إمكاناته.

#### وسائل تطوير وتكوين وتغيير الثقافة التنظيمية:

هناك أربع وسائل لتكوين ثقافة المنظمة أو تغييرها وتطويرها:

(1) مشاركة العاملين: إن أول وسيلة حساسة لتطوير أو تغيير ثقافة المنظمة هي النظم التي توفر المشاركة للعاملين؛ فهذه النظم تشجع العاملين على الانغماس في العمل. ما ينمي إحساساً بالمسؤولية إزاء نتيجة الأعمال ومن الجانب النفسي يزيد التزام الفرد.

(2) الإدارة عمل رمزي: إن ظهور أفعال واضحة ومرئية من قبل الإدارة في سبيل دعم القيم الثقافية يعتبر الوسيلة الثانية لتطوير الثقافة. فمثلاً العاملون يريدون معرفة ما هو مهم وإحدى الوسائل لذلك هي مراقبة وسماع السلطة والقيادة العليا بعناية حيث يتطلع العاملون إلى أنماط وأفعال الإدارة والتي تعزز أقوالها وتجعل الأفراد يصدقون ما تقوله.

3) المعلومات من الآخرين: إذا كانت الرسائل الواضحة من المديرين تعتبر عاملاً مهماً في الثقافة فكذلك الرسائل الثابتة المتوافقة مع العاملين زملاء؛ فشعور الفرد مثلاً بأن زميله مهتم به ويعطيه الانتباه الكامل يشكل نوعاً من الرقابة على الفرد. وهذا ما يؤدي إلى تكوين تكامل اجتماعي قوي للواقع عن طريق تقليص التفسيرات المختلفة.

4) نظم العوائد الشاملة: ونظم العوائد لا يقصد بها الجانب المادي فقط بل إن هذه النظم تشمل التقدير والاعتراف والقبول. كما أنها تركز على الجوانب الذاتية (Intrinsic) والعمل والشعور بالانتماء للمنظمة.

### ثانياً: الأداء الوظيفي:

مفهوم الأداء: يرتبط مفهوم الأداء بكل من سلوك الفرد والمنظمة ويحتل مكانة خاصة داخل أية منظمة باعتباره الناتج النهائي لمحصلة جميع الأنشطة بها وذلك على مستوى الفرد والمنظمة والدولة، وقد تعددت تعريفات الباحثين للأداء، حيث عرف (أندروود) الأداء بأنه: تفاعل لسلوك الموظف، وأن ذلك السلوك يتحدد بتفاعل جهده وقدرته (عادل باجابر 1416هـ). كما عرف (هاينز) الأداء بأنه: الناتج الذي يحققه الموظف عند قيامه بأي عمل من الأعمال (مساعدة الماضي 1417هـ).

عناصر الأداء الوظيفي: للأداء عناصر أو مكونات أساسية بدونها لا يمكن التحدث عن وجود أداء فعّال، وذلك يعود لأهميتها في قياس وتحديد مستوى الأداء للعاملين في المنظمات، وقد اتجه الباحثون للتعرف على عناصر أو مكونات الأداء من أجل الخروج بمزيد من المساهمات لدعم وتنمية فاعلية الأداء الوظيفي للعاملين. ومن هذه المساهمات ما ذكره (درة) وذلك بالإشارة إلى عناصر الأداء التالية: (أ) كفايات الموظف: وهي تعني ما لدى الموظف من معلومات ومهارات واتجاهات وقيم، وهي تمثل خصائصه الأساسية التي تنتج أداءً فعّالاً يقوم به ذلك الموظف. (ب) متطلبات العمل (الوظيفية): وتشمل المسؤوليات أو الأدوار والمهارات والخبرات التي يتطلبها عمل من الأعمال أو وظيفة من الوظائف. (ج) بيئة التنظيم: وتتضمن العوامل الداخلية التي تؤثر في الأداء الفعّال: التنظيم وهيكله وأهدافه وموارده ومركزه الاستراتيجي والإجراءات

المستخدمة، و العوامل الخارجية مثل العوامل الاقتصادية والاجتماعية والتكنولوجية والحضارية والسياسية والقانونية. (د) محددات و معايير الأداء الوظيفي: يتطلب تحديد مستوى الأداء الفردي معرفة العوامل التي تحدد هذا المستوى والتفاعل بينها، ونظراً لتعدد هذه العوامل وصعوبة معرفة درجة تأثير كل منها على الأداء، واختلاف نتائج الدراسات السابقة التي تناولت هذا الموضوع، فإن الباحثين يواجهون عدة صعوبات في تحديد العوامل المؤثرة على الأداء ومدى التفاعل بينها (عبد الباري درة 2003م).

**تقييم الأداء الوظيفي:** يمثل تقييم الأداء الوصف المنظم لنواحي القوة والضعف المرتبطة بالوظيفة سواء بصورة فردية أو جماعية بما يخدم غرضين أساسيين في المنظمات: تطوير أداء العاملين بالوظيفة، بالإضافة إلى إمداد المديرين والعاملين بالمعلومات اللازمة لاتخاذ القرارات، ومن ثم نجد أن عملية تقييم الأداء تشير إلى تلك الوظيفة المستمرة والأساسية من وظائف إدارة الموارد البشرية التي تسعى إلى معرفة نقاط القوة والضعف للأداء الجماعي أو الفردي خلال فترة معينة والحكم على الأداء لبيان مدى التقدم في العمل بهدف توفير الأساس الموضوعي لاتخاذ القرارات المتعلقة بالكثير من سياسات الموارد البشرية في المنظمة (عبد الحميد المغربي 2007م).

#### الدراسات السابقة:

##### أولاً: الدراسات المتعلقة بالثقافة التنظيمية:

يعتبر موضوع الثقافة التنظيمية مجالاً حياً للدراسة في الفكر الإداري المعاصر وقد لقي اهتماماً من قبل بعض الباحثين والمهتمين في الآونة الأخيرة الأمر الذي نتج عنه بعض من الدراسات التي تحاول توضيح هذا الموضوع من خلال القيم المكونة للثقافة التنظيمية:

1. قام هيجان (عبد الرحمن احمد هيجان 1412هـ) بدراسة أهمية قيم المديرين في تشكيل ثقافة منطمتين سعوديتين: الهيئة الملكية للجبيل وينبع، وشركة سابك على عينة من المديرين والمشرفين وذلك للتعرف على قيم أولئك الأفراد ذوي النفوذ (المديرين) في المنطمتين السابقتين لمعرفة مدى تأثير هذه القيم في أبعاد الثقافة في منظماتهم. وقد

أظهرت البحث أن قيم المديرين ومديري الإدارات العليا على وجه الخصوص تمثل عاملاً رئيساً في تشكيل ثقافة منظماتهم كما أنه يمكن القول بأن قيم هؤلاء المديرين سواء تلك التي يمثلونها بأقوالهم أو يمارسونها في أعمالهم تمثل شواهد أساسية على مدى تأثيرهم في ثقافة منظماتهم التي يديرونها.

2. وقد قام البداينة والعضايلة (ذياب البداينة وعلى العضايلة 1416هـ) بمقارنة نتائج دراستهما عن قيم المديرين كمؤشر لثقافة منطمتين أردنيتين بنتائج البحث السابقة التي قام بها هيجان وتوصلت البحث إلى أن هناك اتساقاً في قيم المديرين في المنظمات الأردنية مع قيم المديرين في المنظمات السعودية حيث تبين أن قيم الدفاع والقوة والفاعلية والكفاءة والعدالة والصفوة تمثل أعلى القيم على التوالي في المنظمات الأردنية والسعودية أما قيم التنافس والقانون والاقتصاد والمكافأة وفرق العمل واستغلال الفرص فقد احتلت أدنى ترتيب في المنظمات ويعود التشابه في نتائج الدراستين في نظر البداينة والعضايلة رغم اختلاف مجتمع الدراستين إلى تشابه النشاط الاقتصادي للمنطمتين السعوديتين والأردنيتين مع تشابه نظام الحكم في كل من البلدين (ملكي) حيث يتوقع أن تؤثر هذه التشابهات في تشكيل ثقافة المنظمات الرسمية وتؤثر في قيم المديرين والتي بدورها تشكل تصوراً مهماً في تشكيل ثقافة المنظمات.

3. أما النعمي (أحمد مصطفى النعمي 1418هـ) فقد قام بدراسة من نوع آخر وذلك لمعرفة أثر الثقافة التنظيمية في فاعلية عملية التدريب على عينة من ضباط الشرطة، وحرس الحدود والجوازات والدفاع المدني بالمنطقة الشرقية، في المملكة العربية السعودية لتحديد مستوى إدراك الثقافة التنظيمية السائدة في الأجهزة الأمنية. وقد أوضحت البحث أن ضباط الأجهزة الأمنية بالمنطقة الشرقية يدركون قيم القوة وفرق العمل والنظام، بدرجة عالية جداً أما قيم الصفوة والمكافأة والفاعلية والكفاءة والعدالة فهم يدركونها بدرجة عالية فقط.



4. وفي دراسة مشابهة قام آل حسن (عبد العزيز حسن آل حسن 1422هـ) بدراسة الثقافة التنظيمية وعلاقتها بفاعلية التطوير التنظيمي على عينة من العاملين بالإدارة العامة للمجاهدين في المملكة العربية السعودية لتحديد واقع الثقافة التنظيمية بهذه الإدارة. وقد توصلت البحث إلى أن العاملين بالإدارة العامة للمجاهدين يدركون القيم التالية بدرجة عالية وهي: القوة والفاعلية والكفاءة وفرق العمل أما قيم: المكافأة والعدالة والنظام فهم يدركونها بدرجة متوسطة.

5. وفي دراسة أخرى قام الفالح (نايف سليمان الفالح 1422هـ) بدراسة حول الثقافة التنظيمية وعلاقتها بالرضا الوظيفي في الأجهزة الأمنية على عينة من العاملين بهيئة التحقيق والادعاء العام بمنطقة الرياض والمنطقة الشرقية، وذلك للتعرف على مستوى إدراك منسوبي هيئة التحقيق والادعاء العام للثقافة التنظيمية السائدة بالهيئة. وقد توصلت البحث إلى أن مستوى إدراك الثقافة التنظيمية لدى منسوبي هيئة التحقيق والادعاء العام بالرياض متوسط في أربعة قيم وهي: الصفوة والمكافأة والاقتصاد واستغلال الفرص ومرتفع في باقي القيم وهي: القوة والفاعلية والكفاءة والعدل وفرق العمل والنظام والتنافس أما مستوى إدراك الثقافة التنظيمية لدى منسوبي الهيئة بالمنطقة الشرقية فهو مرتفع في جميع القيم.

ومن خلال عرض الدراسات السابقة المتعلقة بالثقافة التنظيمية إن القيم المكونة لها يتضح أنها تطرقت لهذه القيم حسب ما يراه فرانسيس وودكوك (دايفيد فرانسيس وومايك وودكوك 1416هـ) وهي نفس القيم التي تحاول هذه البحث التعرف على مستوى إدراكها بالمؤسسات العامة.

#### ثانياً: الدراسات المتعلقة بالأداء الوظيفي:

1. دراسة السكران (ناصر السكران 2004م) ، بعنوان: "المناخ التنظيمي وعلاقته بالأداء الوظيفي " دراسة مسحية على ضباط قطاع الأمن الخاصة بمدينة الرياض. هدفت هذه البحث للتعرف على توجهات العاملين في قطاع الأمن نحو المناخ التنظيمي السائد في هذا القطاع وعلاقة ذلك بأدائهم. وكان من أهم نتائج هذه البحث: (1)

وجود توجهات ايجابية مرتفعة لدى ضباط قوات الأمن الخاصة نحو نظم وإجراءات العمل. (2) وجود توجهات ايجابية مرتفعة لدى ضباط قوات الأمن الخاصة نحو الاتصالات الإدارية كأحد محاور المناخ التنظيمي المؤثرة في تحسين الأداء الوظيفي. (3) وجود توجهات ايجابية مرتفعة لدى ضباط الأمن الخاص نحو محور "إدراك الموظف لدوره" كأحد محاور الأداء الوظيفي. وقد أوصت البحث بما يلي: (أ) ضرورة اهتمام المسؤولين في قطاع قوات الأمن الخاصة بمكونات وعناصر المناخ التنظيمي. (ب) الحرص على تطوير وتأهيل القدرات الفكرية لجميع العاملين في قطاع قوات الأمن الخاصة. (ج) رفع دافعية العاملين بقطاع قوات الأمن الخاصة عن طريق دعمهم بمزيد من الحوافز المادية والمعنوية.

2. دراسة إيكفال (Ekvall 1996, pp.105 - 123) بعنوان: "المناخ المؤسسي للإبداع والابتكار" هدفت هذه البحث إلى تصميم أداة لقياس المناخ الإبداعي. وكان من أهم نتائج هذه البحث: (1) المناخ هو أهم هذه المتغيرات المؤسسية بالنسبة للابتكار والأداء الجيد. (2) النزعة الرسمية لها أثر مانع أو مثبط يجعلها تقلل من القدرة الابتكارية للمؤسسة. 3- هناك علاقة قوية جداً بين نمط القيادة والمناخ الإبداعي. وقد أوصت البحث بما يلي: (أ) ضرورة العمل على توفير المناخ المؤسسي الذي يشجع على الابتكار والأداء الجيد. (ب) تبني النظم اللامركزية في القرارات مما يحث على استنهاض الطاقات الابتكارية لدى مجتمع البحث. (ج) استخدام الديمقراطية ما أمكن في العمل الإداري.

### التعليق على الدراسات السابقة:

- استطاعت هذه الدراسات أن تسهم مجتمعة في بيان الثقافة التنظيمية المؤثرة في الأداء الوظيفي.
- أن هذه الدراسات تسهم جميعاً في دعم الاتجاه الداعي إلى ضرورة التطوير المؤسسي والموارد البشرية في المؤسسات العامة والخاصة على حد سواء وصولاً إلى الأداء

الوظيفي المتميز. وذلك من خلال تأكيدها على أهمية البيئة التنظيمية الايجابية الداعمة للإبداع الإداري وتنمية وتطوير الأداء الوظيفي.

- تختلف الدراسات السابقة فيما بينها من حيث الأبعاد والمتغيرات التي تم التركيز عليها من جانب كل دراسة، مما يجعل الباب مفتوحاً لأي باحث لسد هذه الثغرة البحثية، والإسهام في إثراء الجانب المعرفي أو التطبيقي في موضوع الثقافة التنظيمية وموضوع الأداء الوظيفي.

- كان للدراسات السابقة فائدة كبيرة في مساعدة الباحث في تكوين تصور شامل لموضوع البحث الأمر الذي ساهم في صياغة مشكلة وفرضيات البحث.

#### الإطار المنهجي للدراسة:

منهج البحث: اعتمد الباحث على المنهج الوصفي حيث انه يعبر عن الظاهرة الاجتماعية المراد دراستها تعبيراً كمياً وكيفياً.

مجتمع وعينة البحث: يتكون مجتمع البحث من العاملين في جامعة القلمون الخاصة / سوريا وعددهم (304) موظفاً.

أداة البحث: تم تصميم استبانة لجمع المعلومات اللازمة بما يتوافق مع أهداف البحث وتحتوي على (45) عبارة تغطي جميع أبعاد البحث.

صدق وثبات الاستبانة : تم التأكد من صدق فقرات الاستبانة بطريقتين هما:

1. الصدق الظاهري(صدق المحكمين) : تم عرض الاستبانة على مجموعة من المحكمين من الأكاديميين العاملين بجامعة القلمون الخاصة/سوريا والجامعة الدولية الخاصة للعلوم والتكنولوجيا/سوريا.

2. صدق الاتساق الداخلي لعبارات الاستبانة: تم تطبيق الاستبانة على عينة استطلاعية مؤلفة من (30) موظف. كما تم حساب الاتساق الداخلي لفقرات الاستبانة على هذه العينة وذلك بحساب معاملات الارتباط بين كل فقرة والدرجة الكلية للمحور التابعة له كما يلي:

- الصدق الداخلي لبنود المحور الأول (الثقافة التنظيمية): جدول رقم (1) يبين معاملات الارتباط بين كل عبارة من عبارات الاستبانة والمعدل الكلي لها، كذلك مستوى الدلالة.

جدول رقم (1) الصدق الداخلي لعبارات المحور الأول الثقافة التنظيمية

| م  | العبارة  | معامل الارتباط | مستوى الدلالة |
|----|--|----------------|---------------|
| 1  | يتصرف المديرون بطرق تبين أنهم في موقع المسؤولية  | 0.410          | 0.024         |
| 2  | يكافأ المديرون ذؤو الأداء المتميز بسخاء.   | 0.639          | 0.000         |
| 3  | تبدل عناية كبيرة للتأكد من أن القرارات المهمة للإدارة تؤخذ بعين الاعتبار.                                | 0.580          | 0.001         |
| 4  | هناك بحث متواصل لإيجاد أساليب تحقق الكفاءة في الأداء.  | 0.410          | 0.024         |
| 5  | تعتبر القواعد والإجراءات التنظيمية في هذه الجامعة عادلة ومنصفة.  | 0.597          | 0.000         |
| 6  | تحظى الإدارة في هذه الجامعة بالاحترام والتقدير.  | 0.690          | 0.000         |
| 7  | تبدل جهود ملحوظة لتعيين أفضل المرشحين في المناصب الإدارية.   | 0.395          | 0.030         |
| 8  | يتلقى المديرون بصورة منتظمة تقارير مفصلة عن كيفية أدائهم.  | 0.639          | 0.000         |
| 9  | خلال السنوات القليلة الماضية أثبتت القرارات الاستراتيجية التي اتخذتها الإدارة العليا نجاحها إلى حد كبير. | 0.518          | 0.003         |
| 10 | تتم دراسة التقنيات الحديثة والأساليب الإدارية الجديدة بانتظام لزيادة كفاءة العاملين.                     | 0.499          | 0.005         |
| 11 | يمنح الأفراد فرصة عادلة لسماع شكواهم عندما تنشأ خلافات ما.   | 0.441          | 0.014         |
| 12 | تستخدم طرق تشكيل فرق العمل بصورة ملائمة.   | 0.651          | 0.000         |
| 13 | يطبق العدل في جميع الوحدات والأقسام في هذه الجامعة ويتم الاهتمام بتطبيقه.                                | 0.602          | 0.000         |
| 14 | تبدل جهود كبيرة لتطوير مهارات المديرين.  | 0.753          | 0.000         |
| 15 | ترتبط المكافآت الإدارية بصورة واضحة بالأداء.   | 0.443          | 0.014         |
| 16 | يخطط مديرو الإدارة العليا جيداً للمستقبل.  | 0.302          | 0.104         |
| 17 | يهتم مديرو الإدارة العليا بمصلحة الأفراد.  | 0.410          | 0.024         |
| 18 | يرتبط الأفراد ارتباطاً شديداً بوحدات عملهم.  | 0.363          | 0.048         |
| 19 | يمنح الأفراد أصحاب المسؤولية صلاحيات معادلة لحجم مسؤولياتهم.   | 0.535          | 0.002         |
| 20 | يحصل الأفراد ذوو القدرات الإدارية على فرص حقيقية لتطوير مستقبلهم الوظيفي.                                | 0.514          | 0.003         |
| 21 | يتم تبليغ قرارات الإدارة العليا للموظفين بشكل فاعل.  | 0.683          | 0.000         |
| 22 | لايسمح بتدني الأداء لدى الأفراد.   | 0.591          | 0.001         |
| 23 | تعد هذه الجامعة مكان عمل جيد.  | 0.420          | 0.020         |
| 24 | يساعد الأفراد بعضهم البعض.   | 0.719          | 0.000         |
| 25 | تنصف القواعد والتنظيمات الداخلية بأنها عادلة.  | 0.540          | 0.002         |
| 26 | يحافظ المديرون على خط سير عمل الجامعة.   | 0.429          | 0.017         |
| 27 | يتم تقييم أداء المديرين بصورة منتظمة.  | 0.573          | 0.001         |
| 28 | يتم مكافأة الأفراد على عمل الأشياء التي تساعد على نجاح العمل.  | 0.740          | 0.000         |
| 29 | يفتخر الأفراد في جميع المستويات بالعمل في هذه الجامعة.   | 0.393          | 0.031         |
| 30 | لا توجد في هذه الجامعة طقبة هدامة أو عوائق عنصرية.   | 0.490          | 0.006         |

يلاحظ من الجدول السابق أن معاملات الارتباط بين كل عبارة من عبارات المحور الأول والمعدل الكلي لعبارته دالة عند مستوى دلالة (0.05)، حيث أن مستوى الدلالة لكل عبارة أقل من (0.05) وقيمة  $r$  المحسوبة أكبر من قيمة  $r$  الجدولية والتي تساوي 0.361، وبذلك تعتبر عبارات المحور الأول صادقة لما وضعت لقياسه.

الصدق الداخلي لفقرات المحور الثاني: واقع الأداء الوظيفي لدى العاملين في جامعة القلمون الخاصة/سوريا:

جدول رقم (2) الصدق الداخلي لعبارات المحور الثاني الأداء الوظيفي

| م  | العبرة   | معامل الارتباط | مستوى الدلالة |
|----|--|----------------|---------------|
| 31 | يتمتع الموظفون في هذه الجامعة بالمهارة المهنية والمعرفة الفنية.      | 0.652          | 0.000         |
| 32 | يتميز الموظفون في هذه الجامعة بالجدية وتحمل المسؤولية.               | 0.669          | 0.000         |
| 33 | يؤدي الموظفون في هذه الجامعة مهامهم طبقاً لمعايير الجودة.            | 0.626          | 0.000         |
| 34 | يبذل الموظفون في هذه الجامعة الجهد الكافي لإتجاز مهامهم              | 0.574          | 0.001         |
| 35 | يقوم الموظفون في هذه الجامعة بأعمالهم وفقاً لسياسات وإجراءات محددة.  | 0.570          | 0.001         |
| 36 | يتمتع الموظفون في هذه الجامعة بالقدرة على العمل.                     | 0.702          | 0.000         |
| 37 | يتمتع الموظفون في هذه الجامعة بالدافعية والرغبة في العمل.            | 0.678          | 0.000         |
| 38 | تناسب رواتب الموظفين في هذه الجامعة مع حجم مهامهم.                   | 0.418          | 0.021         |
| 39 | يشعر الموظفون في هذه الجامعة بالرضا.                                 | 0.488          | 0.006         |
| 40 | يدرك الموظفون في هذه الجامعة أدوارهم بدقة.                           | 0.655          | 0.000         |
| 41 | يتم تقييم الأداء في هذه الجامعة وفقاً لمعايير موضوعية.               | 0.498          | 0.005         |
| 42 | يحدد نظام تقييم الأداء في هذه الجامعة نقاط القوة و الضعف لدى الموظف. | 0.421          | 0.020         |
| 43 | يطلع الموظف في هذه الجامعة على نتائج تقييم أدائه.                    | 0.567          | 0.001         |
| 44 | يكشف تقييم الأداء في هذه الجامعة عن الحاجات التدريبية.               | 0.417          | 0.021         |
| 45 | يوفر نظام تقييم الأداء في هذه الجامعة نتائج ذات جدوى حقيقية.         | 0.475          | 0.008         |

يلاحظ من الجدول السابق أن معاملات الارتباط بين كل عبارة من عبارات المحور الأول والمعدل الكلي لعباراته دالة عند مستوى دلالة (0.05)، حيث أن مستوى الدلالة لكل عبارة أقل من 0.05 وقيمة  $r$  المحسوبة أكبر من قيمة  $r$  الجدولية والتي تساوي 0.361، وبذلك تعتبر عبارات المحور الثاني صادقة لما وضعت لقياسه.

صدق الاتساق البنائي لمحاو البحث: جدول رقم (3) يبين معاملات الارتباط بين معدل كل محور من محاور البحث مع المعدل الكلي لعبارات الاستبانة.

## جدول رقم (3) معامل الارتباط بين معدل كل محور مع المعدل الكلي

| المحور | محتوى المحور        | معامل الارتباط | مستوى الدلالة |
|--------|---------------------|----------------|---------------|
| الأول  | الثقافة التنظيمية   | 0.988          | 0.000         |
| الثاني | واقع الأداء الوظيفي | 0.877          | 0.000         |

الجدول السابق يوضح أن معامل الارتباط بين معدل كل محور من محاور البحث والمعدل الكلي لعبارات الاستبانة يتراوح ما بين ( 0.877 ) و( 0.988 ) وهذا يعني وجود ارتباط قوي بين معدل كل محور من محاور البحث والمعدل الكلي لعبارات الاستبانة. كما يلاحظ أيضاً أن مستوى الدلالة لكل محور أقل من ( 0.05 ) وقيمة  $\chi^2$  المحسوبة أكبر من قيمة  $\chi^2$  الجدولية والتي تساوي ( 0.361 ) ، وجميع المجاور دالة إحصائياً عند مستوى دلالة 0.05 وبذلك تعتبر هذه المحاور صادقة لما وضعت لقياسه. ثبات فقرات الاستبانة : تم التحقق من ثبات أداة البحث وذلك بطريقة ألفا كرونباخ حيث أن هناك درجة عالية من الثبات لجميع فقرات الاستبانة ، حيث بلغت قيمة معامل ألفا كرونباخ (0.8955) وهذا يدل على القدرة العالية لأداة البحث على قياس ما صممت من أجله.

أساليب المعالجة الإحصائية: لقد قام الباحث بتفريغ وتحليل الاستبانة من خلال برنامج SPSS الإحصائي وتم استخدام الاختبارات الإحصائية التالية: - النسب المئوية والتكرارات. - معامل ارتباط بيرسون لقياس صدق الفقرات. - اختبار ألفا كرونباخ لمعرفة ثبات فقرات الاستبانة. - معادلة سبيرمان براون للثبات. - اختبار كولومجروف سمرنوف لمعرفة نوع البيانات هل تتبع التوزيع الطبيعي أم لا - اختبار  $t$  لمتوسط عينة واحدة - اختبار  $t$  للفرق بين متوسطي عينتين مستقلتين. - اختبار التحليل التباين الأحادي للفرق بين ثلاث عينات مستقلة فأكثر. - اختبار شففيه للفرق المتعددة مثلى مثلى بين المتوسطات للعينات.

## عرض بيانات البحث وتحليلها وتفسيرها

## جدول رقم (4) عرض البيانات الشخصية

| النسبة %                                 | التكرار | توزيع عينة البحث حسب متغير سنوات الخبرة |
|--|---------|---|
| 32.8%                                    | 100     | أقل من 5 سنوات                          |
| 16.4%                                    | 50      | من 5 سنوات إلى أقل من 10 سنوات          |
| 29.2%                                    | 89      | من 10 سنوات إلى أقل من 15 سنة           |
| 21.3%                                    | 65      | من 15 سنة فأكثر                         |
| توزيع عينة البحث حسب متغير العمر         |         |   |
| 1.3%                                     | 4       | أقل من 30 سنة                           |
| 23.6%                                    | 72      | من 30 إلى أقل من 40 سنة                 |
| 51.3%                                    | 156     | من 40 إلى أقل من 50 سنة                 |
| 23.6%                                    | 72      | من 50 سنة فأكثر                         |
| توزيع عينة البحث حسب متغير المؤهل العلمي |         |   |
| 1.6%                                     | 5       | الثانوية العامة فما دون                 |
| 2.6%                                     | 8       | معهد متوسط                              |
| 82.8%                                    | 252     | إجازة جامعية                            |
| 13.4%                                    | 41      | دراسات عليا                             |
| توزيع عينة البحث حسب متغير الجنس         |         |   |
| النسبة %                                 | التكرار |   |
| 88.81%                                   | 270     | ذكر                                     |
| 11.18%                                   | 34      | أنثى                                    |
| توزيع عينة البحث حسب متغير نوع الوظيفة   |         |   |
| 49.1%                                    | 149     | إدارية                                  |
| 50.9%                                    | 155     | فنية                                    |
| 100%                                     | 304     | المجموع                                 |

من خلال البيانات الشخصية الموضحة في الجدول السابق يتضح أن عينة البحث مؤهلة وقادرة على استثمار الثقافة التنظيمية لتحسين مستوى أدائهم وصولاً إلى الأداء الوظيفي المتميز.

اختبار التوزيع الطبيعي: يتم لمعرفة هل البيانات تتبع التوزيع الطبيعي أم لا.

## جدول رقم (5) نتائج اختبار التوزيع الطبيعي

| التجزئة النصفية |        | المحور            |
|-----------------|--------|-------------------|
| مستوى الدلالة   | قيمة Z |                   |
| 0.399           | 0.891  | الثقافة التنظيمية |
| 0.575           | 0.778  | الأداء الوظيفي    |

الجدول السابق يوضح أن قيمة مستوى الدلالة لجميع عبارات الاستبانة أكبر

من (0.05) وهذا يدل على قبول فرضية "البيانات تتبع التوزيع الطبيعي".

تحليل عبارات الاستبانة: تم استخدام اختبار T للعينة الواحدة لتحليل الاستبانة.

المحور الأول: المتغيرات التنظيمية. جدول رقم (6) يوضح نتائج تحليل عبارات المحور الأول.

جدول رقم (6) نتائج تحليل عبارات المحور الأول (الثقافة التنظيمية).

| م  | العبرة   | المتوسط الحسابي | الانحراف المعياري | الوزن النسبي | قيمة t  | مستوى الدلالة |
|----|--|-----------------|-------------------|--------------|---------|---------------|
| 1  | يُصرف المديرون بطرق تبين أنهم في موقع المسؤولية  | 4.11            | 0.633             | 82.36        | 30.925  | 0.00          |
| 2  | يكافأ المديرون ذوو الأداء المتميز بمساء.   | 4.07            | 0.571             | 81.49        | 32.999  | 0.00          |
| 3  | تبدل غاية كبيرة للتأكد من أن القرارات المهمة للإدارة تؤخذ بعين الاعتبار.                                 | 4.02            | 0.658             | 80.51        | 27.328  | 0.00          |
| 4  | هناك بحث متواصل لإيجاد أساليب تحقق الكفاءة في الأداء.  | 2.49            | 1.240             | 49.97        | -6.934  | 0.00          |
| 5  | تعتبر القواعد والإجراءات التنظيمية في هذه الجامعة عادلة ومنصفة.  | 2.39            | 1.318             | 47.88        | -7.907  | 0.00          |
| 6  | تحظى الإدارة في هذه الجامعة بالاحترام والتقدير.  | 3.16            | 1.301             | 63.33        | 2.324   | 0.020         |
| 7  | تبدل جهود ملحوظة لتعيين أفضل المرشحين في المناصب الإدارية.   | 2.96            | 1.220             | 59.19        | -0.466  | 0.640         |
| 8  | يتلقى المديرون بصورة منتظمة تقارير مفصلة عن كيفية أدائهم.  | 2.45            | 1.128             | 52.58        | -5.607  | 0.000         |
| 9  | خلال السنوات القليلة الماضية أثبتت القرارات الاستراتيجية التي اتخذتها الإدارة العليا نجاحها الى حد كبير. | 2.49            | 1.228             | 53.96        | -4.172  | 0.000         |
| 10 | تتم دراسة التقنيات الحديثة والأساليب الإدارية الجديدة بانتظام لزيادة كفاءة العاملين.                     | 1.91            | 0.640             | 38.39        | -29.184 | 0.000         |
| 11 | يمنح الأفراد فرصة عادلة لسماع شكاوهم عندما تنشأ خلافات ما.   | 3.96            | 0.820             | 79.28        | 20.618  | 0.000         |
| 12 | تستخدم طرق تشكيل فرق العمل بصورة ملائمة  | 2.25            | 1.178             | 44.99        | -3.772  | 0.000         |
| 13 | يطلق العدل في جميع الوحدات والأقسام في هذه الجامعة ويتم الاهتمام بتطبيقه.                                | 4.04            | 0.721             | 80.97        | 25.515  | 0.000         |
| 14 | تبدل جهود كبيرة لتطوير مهارات المديرين.  | 3.52            | 0.936             | 70.38        | 9.793   | 0.000         |
| 15 | ترتبط المكافآت الإدارية بصورة واضحة بالأداء.   | 3.84            | 0.721             | 76.78        | 20.450  | 0.000         |
| 16 | يخطط مديرو الإدارة العليا جيداً للمستقبل.  | 2.47            | 1.106             | 49.51        | -8.134  | 0.000         |
| 17 | يهتم مديرو الإدارة العليا بمصلحة الأفراد.  | 3.13            | 1.038             | 62.73        | 2.412   | 0.016         |
| 18 | يرتبط الأفراد ارتباطاً شديداً بوحدات عملهم.  | 2.46            | 1.106             | 53.24        | -5.203  | 0.000         |
| 19 | يمنح الأفراد أصحاب المسؤولية صلاحيات معادلة لحجم مسؤولياتهم.   | 2.39            | 1.125             | 47.81        | -9.314  | 0.000         |
| 20 | يحصل الأفراد ذوو القدرات الإدارية على فرص حقيقية لتطوير مستقبلهم الوظيفي.                                | 3.87            | 0.754             | 77.44        | 20.323  | 0.000         |
| 21 | يتم تبليغ قرارات الإدارة العليا للموظفين بشكل فاعل.  | 2.21            | 1.240             | 54.32        | -2.317  | 0.044         |
| 22 | لايسمح بتدني الأداء لدى الأفراد.   | 2.25            | 1.207             | 56.96        | -2.075  | 0.038         |
| 23 | تعد هذه الجامعة مكان عمل جيد.  | 2.01            | 1.181             | 42.32        | -12.923 | 0.000         |
| 24 | يساعد الأفراد بعضهم البعض.   | 3.59            | 0.693             | 77.70        | 22.450  | 0.000         |
| 25 | تنصف القواعد والتنظيمات الداخلية بأنها عادلة.  | 3.69            | 0.472             | 80.77        | 38.571  | 0.000         |
| 26 | يحافظ المديرون على خط سير عمل الجامعة.   | 3.53            | 0.983             | 70.57        | 9.496   | 0.000         |
| 27 | يتم تقييم أداء المديرين بصورة منتظمة.  | 1.91            | 1.167             | 38.33        | -16.061 | 0.000         |
| 28 | يتم مكافأة الأفراد على عمل الأشياء التي تساعد على نجاح العمل.  | 2.80            | 0.971             | 56.11        | -3.342  | 0.001         |
| 29 | يفتخر الأفراد في جميع المستويات بالعمل في هذه الجامعة.   | 3.25            | 0.974             | 64.94        | 4.560   | 0.000         |
| 30 | لا توجد في هذه الجامعة طبقة هدامة أو عوائل عصرية.  | 3.40            | 0.993             | 67.95        | 7.111   | 0.000         |

الجدول السابق يوضح أن: المتوسط الحسابي لجميع العبارات المرتبطة بالمحور الأول كان (3.02) كما كانت قيمة t (5.248) ، وكذلك كان الوزن النسبي (60.42%) ، وكانت قيمة مستوى الدلالة (0.000) ، وهذا يعكس النظرة الايجابية لأفراد العينة تجاه المحور الأول "الثقافة التنظيمية" ومن ذلك يتضح أن: الثقافة



التظيمية التي تساهم في تحسين الأداء الوظيفي متوفرة بدرجات متفاوتة. والنسب السابقة تشير إلى أن واقع الثقافة التنظيمية الحالي لا يساهم في تحسين الأداء الوظيفي لعينة البحث. تتفق هذه النتيجة في دلالتها مع دراسة (ايكفال، 1996م)، والتي اعتبرت أن المناخ التنظيمي هو أهم المتغيرات المؤسسية بالنسبة للابتكار والأداء الجيد. أيضاً تتفق هذه النتيجة في دلالتها مع دراسة (ايكفال، 1996م) التي أشارت إلى أن المناخ التنظيمي هو أهم المتغيرات المؤسسية بالنسبة للأداء الفعال.

تحليل فقرات المحور الثاني: واقع الأداء الوظيفي و النتائج مينة في جدول (7)

جدول رقم (7) تحليل فقرات المحور الثاني (واقع الأداء الوظيفي)

| م  | العبرة   | المتوسط الحسابي | الانحراف المعياري | الوزن النسبي | قيمة T         | مستوى الدلالة |
|----|--|-----------------|-------------------|--------------|----------------|---------------|
| 31 | يتمتع الموظفون في هذه الجامعة بالمهارة المهنية والمعرفة الفنية.      | 4.25            | 0.478             | 85.16        | 46.079         | 0.000         |
| 32 | يتميز الموظفون في هذه الجامعة بالجدية وتحمل المسؤولية.               | 4.22            | 0.533             | 84.50        | 40.251         | 0.000         |
| 33 | يؤدي الموظفون في هذه الجامعة مهامهم طبقاً لمعايير الجودة.            | 3.92            | 0.868             | 78.49        | 18.686         | 0.000         |
| 34 | يبدل الموظفون في هذه الجامعة الجهد الكافي لإجاز مهامهم               | 4.16            | 0.575             | 83.40        | 35.658         | 0.000         |
| 35 | يقوم الموظفون في هذه الجامعة بأعمالهم وفقاً لسياسات وإجراءات محددة.  | 4.28            | 0.479             | 85.81        | 47.170         | 0.000         |
|    | جميع عبارات عناصر الأداء   | <b>4.16</b>     | <b>0.586</b>      | <b>83.47</b> | <b>37.568</b>  | <b>0.000</b>  |
| 36 | يتمتع الموظفون في هذه الجامعة بالقدرة على العمل.                     | 4.11            | 0.467             | 82.41        | 42.051         | 0.000         |
| 37 | يتمتع الموظفون في هذه الجامعة بالدافعية والرغبة في العمل.            | 4.20            | 0.465             | 84.17        | 45.503         | 0.000         |
| 38 | تناسب رواتب الموظفون في هذه الجامعة مع حجم مهامهم.                   | 3.86            | 0.745             | 77.11        | 20.194         | 0.000         |
| 39 | يشعر الموظفون في هذه الجامعة بالرضا.                                 | 3.88            | 0.650             | 77.64        | 23.809         | 0.000         |
| 40 | يدرك الموظفون في هذه الجامعة أوارهم بدقة.                            | 4.10            | 0.486             | 82.22        | 39.996         | 0.000         |
|    | جميع عبارات محددات ومعايير الأداء                                    | <b>4.03</b>     | <b>0.562</b>      | <b>80.71</b> | <b>34.310</b>  | <b>0.000</b>  |
| 41 | يتم تقويم الأداء في هذه الجامعة وفقاً لمعايير موضوعية.               | 3.07            | 1.338             | 61.35        | 0.979          | 0.327         |
| 42 | يحدد نظام تقويم الأداء في هذه الجامعة نقاط القوة و الضعف لدى الموظف. | 2.32            | 1.268             | 46.50        | -9.163         | 0.000         |
| 43 | يطلع الموظف في هذه الجامعة على نتائج تقويم أدائه.                    | 1.38            | 0.813             | 27.67        | -34.444        | 0.000         |
| 44 | يكشف تقويم الأداء في هذه الجامعة عن الحاجات التدريبية.               | 2.33            | 1.284             | 46.63        | -8.958         | 0.000         |
| 45 | يوفر نظام تقويم الأداء في هذه الجامعة نتائج ذات جدوى حقيقية.         | 1.78            | 1.002             | 35.64        | -21.024        | 0.000         |
|    | جميع العبارات المرتبطة بتقويم الأداء                                 | <b>2.18</b>     | <b>1.141</b>      | <b>43.55</b> | <b>-14.522</b> | <b>0.000</b>  |
|    | جميع عبارات المحور الثاني  | <b>3.45</b>     | <b>0.763</b>      | <b>69.24</b> | <b>19.118</b>  | <b>0.000</b>  |

من خلال الجدول السابق يتبين أن: المتوسط الحسابي لجميع العبارات المرتبطة ببند عناصر الأداء الوظيفي كان (4.16)، كما كانت قيمة t (37.568)، وكذلك كان الوزن النسبي لها (83.47%)، وكانت قيمة مستوى الدلالة (0.000)، وهذا يعكس النظرة الايجابية لأفراد العينة تجاه مجمل العبارات المتعلقة ببند عناصر الأداء الوظيفي. ومن ذلك يتضح أن: (1) جميع عناصر الأداء الوظيفي الجيد تتوفر لدى

الموظفين العاملين في جامعة القلمون الخاصة/سوريا ولكن بدرجات متفاوتة. الفروق الفردية بين مفردات العينة فيما يتمتعون به من مهارات ومعارف وقدرات وما يبذلونه من جهد وهذه هي عناصر الأداء الجيد. وهذه العناصر مرتبة حسب الوزن النسبي كما يلي: السياسات والإجراءات المحددة (85.81%)، المهارة المهنية والمعرفة الفنية (85.16%)، التفاني والجدية والقدرة على تحمل المسؤولية (84.50%)، الجهد الكافي (83.40%)، معايير الجودة (78.49%). وهذه النسب تعطي مؤشراً واضحاً للأداء الجيد لعينة البحث.

(2) إن المتوسط الحسابي لجميع العبارات المرتبطة ببند محددات ومعايير الأداء الوظيفي كان (4.16)، كما كانت قيمة  $t$  (37.586)، وكذلك كان الوزن النسبي لها (83.47%)، وكانت قيمة مستوى الدلالة (0.000) وهذا يعكس النظرة الايجابية لأفراد العينة تجاه مجمل العبارات المتعلقة ببند محددات ومعايير الأداء الوظيفي. ومن خلال جميع النتائج المرتبطة ببند محددات ومعايير الأداء الوظيفي يتضح إن: أهم معايير ومحددات الأداء الوظيفي لدى مفردات البحث تتوفر بدرجات مرتفعة وقد تعزى هذه النتيجة لارتباط معايير ومحددات الأداء بما تمتلكه مفردات العينة من قدرات ومهارات، الأمر الذي يعتبرونه متوفر لديهم بدرجة عالية. وهذه المحددات مرتبة حسب الوزن النسبي كالتالي: الدافعية والقدرة والرغبة للقيام بالأعمال (84.17%)، المهارة الفنية والقدرة على حل مشكلات العمل (82.41%)، إدراك الموظف لدوره بدقة ووضوح (82.22%)، الرضا عن العمل (77.64%)، الرواتب المناسبة (77.11%). النسب السابقة تعطي مؤشر للرضا العام لعينة البحث عن أدائهم الوظيفي. وهذه النتيجة تتفق جزئياً مع دراسة (السكران، 1425هـ)، والتي أظهرت توجهات ايجابية مرتفعة لدى ضباط الأمن الخاص بمدينة الرياض نحو محور "إدراك الموظف لدوره" كأحد محاور الأداء الوظيفي.

(3) إن المتوسط الحسابي لجميع العبارات المرتبطة ببند تقييم الأداء الوظيفي كان (2.18)، كما كانت قيمة  $t$  (-14.522)، وكذلك كان الوزن النسبي (43.55)، وكانت قيمة مستوى الدلالة (0.000). وهذا يعكس النظرة السلبية لأفراد العينة تجاه مجمل العبارات المتعلقة ببند تقييم الأداء الوظيفي. ومن خلال جميع النتائج المرتبطة ببند عملية تقييم الأداء

الوظيفي يتضح أن نظام تقييم الأداء الوظيفي في جامعة القلمون الخاصة/سوريا لا يتم بشكل صحيح وفعال بما يخدم الموظف والجامعة معاً.

ومن خلال جميع النتائج المرتبطة بهذا المحور يتضح أن: واقع الأداء الوظيفي لدى العاملين في جامعة القلمون الخاصة/سوريا بشكل عام يعتبر جيداً.  
اختبار صحة الفرضيات:

الفرضية الأولى : توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين الثقافة التنظيمية وبين مستوى الأداء الوظيفي لدى العاملين في جامعة القلمون الخاصة/سوريا. تم استخدام اختبار بيرسون لإيجاد العلاقة بين الثقافة التنظيمية وبين مستوى الأداء عند مستوى دلالة  $(\alpha = 0.05)$  جدول رقم (8).

جدول رقم (8) معامل الارتباط بين الثقافة التنظيمية وبين الأداء الوظيفي

| جميع عبارات محور الثقافة التنظيمية | الإحصاءات      |
|------------------------------------|----------------|
| 0.641                              | معامل الارتباط |
| 0.000                              | مستوى الدلالة  |
| 304                                | حجم العينة     |

الجدول السابق يوضح أن: قيمة معامل الارتباط  $r^2$  "لجميع عبارات محور الثقافة التنظيمية" تساوي (0.641) كما أن قيمة مستوى الدلالة تساوي (0.000) مما يدل على وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين الثقافة التنظيمية وبين مستوى الأداء الوظيفي للعاملين عند مستوى دلالة (0.05)

الفرضية الثانية: توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين إجابات الباحثين حول العلاقة بين الثقافة التنظيمية. ومستوى الأداء الوظيفي لدى العاملين في جامعة القلمون الخاصة/سوريا تعزى للمتغيرات التالية: (الجنس، العمر، المؤهل العلمي، سنوات الخبرة، نوع الوظيفة "إدارية أم فنية")

## 1. الجنس:

جدول رقم (9) رؤية أفراد عينة البحث نحو محاورها باختلاف الجنس

| المحور            | الجنس | العدد | المتوسط الحسابي | الانحراف المعياري | قيمة t | مستوى الدلالة |
|-------------------|-------|-------|-----------------|-------------------|--------|---------------|
| الثقافة التنظيمية | ذكر   | 270   | 3.223           | 0.559             | 0.039  | 0.965         |
|                   | أنثى  | 34    | 3.219           | 0.460             |        |               |
| الأداء الوظيفي    | ذكر   | 270   | 3.617           | 0.403             | -0.743 | 0.455         |
|                   | أنثى  | 34    | 3.670           | 0.319             |        |               |
| جميع المحاور      | ذكر   | 270   | 3.771           | 0.373             | 0.894  | 0.370         |
|                   | أنثى  | 34    | 3.712           | 0.301             |        |               |

الجدول السابق يوضح أن: القيمة المطلقة t المحسوبة لجميع المحاور مجتمعة تساوي (0.894) كما أن قيمة مستوى الدلالة لجميع المحاور تساوي (0.370) مما يدل على عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى ( $\alpha = 0.05$ ) بين إجابات الباحثين تعزى لمتغير الجنس.

## 2. العمر:

جدول رقم (10) رؤية أفراد عينة البحث نحو محاورها باختلاف العمر

| المحور            | مصدر التباين   | مجموع المربعات | درجة الحرية | متوسط المربعات | قيمة F | مستوى الدلالة |
|-------------------|----------------|----------------|-------------|----------------|--------|---------------|
| الثقافة التنظيمية | بين المجموعات  | 0.601          | 3           | 0.200          | 1.385  | 0.245         |
|                   | داخل المجموعات | 43.442         | 301         | 0.144          |        |               |
|                   | المجموع        | 44.043         | 304         | -----          |        |               |
| الأداء الوظيفي    | بين المجموعات  | 0.437          | 3           | 0.145          | 0.927  | 0.425         |
|                   | داخل المجموعات | 47.195         | 301         | 0.156          |        |               |
|                   | المجموع        | 47.632         | 304         | -----          |        |               |
| جميع المحاور      | بين المجموعات  | 0.156          | 3           | 0.051          | 0.386  | 0.760         |
|                   | داخل المجموعات | 40.657         | 301         | 0.134          |        |               |
|                   | المجموع        | 40.813         | 304         | -----          |        |               |

من خلال الجدول السابق يتضح أن قيمة F المحسوبة لجميع المحاور مجتمعة (0.386)، كذلك كانت قيمة مستوى الدلالة لجميع المحاور تساوي (0.760)، مما يعني عدم وجود فروق في إجابات الباحثين تعزى لمتغير العمر.

## 3. المؤهل العلمي:

جدول رقم (11) رؤية أفراد العينة نحو محاورها باختلاف المؤهل العلمي

| المحور            | مصدر التباين   | مجموع المربعات | درجة الحرية | متوسط المربعات | قيمة F | مستوى الدلالة |
|-------------------|----------------|----------------|-------------|----------------|--------|---------------|
| الثقافة التنظيمية | بين المجموعات  | 0.757          | 3           | 0.252          | 0.832  | 0.473         |
|                   | داخل المجموعات | 90.958         | 301         | 0.302          |        |               |
|                   | المجموع        | 91.715         | 304         | -----          |        |               |
| الأداء الوظيفي    | بين المجموعات  | 0.568          | 3           | 0.189          | 1.209  | 0.304         |
|                   | داخل المجموعات | 47.064         | 301         | 0.156          |        |               |
|                   | المجموع        | 47.632         | 304         | -----          |        |               |
| جميع المحاور      | بين المجموعات  | 0.672          | 3           | 0.224          | 1.675  | 0.170         |
|                   | داخل المجموعات | 40.142         | 301         | 0.133          |        |               |
|                   | المجموع        | 40.814         | 304         | -----          |        |               |

الجدول السابق يوضح أن: قيمة F المحسوبة لجميع المحاور مجتمعة تساوي (1.209)، وكذلك كانت قيمة مستوى الدلالة لجميع المحاور (0.170)، مما يعني عدم وجود فروق بين إجابات الباحثين تعزى لمتغير المؤهل العلمي. تتفق هذه النتيجة مع دراسة السكان (1425 هـ)، التي بينت أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى أداء أفراد البحث وفقاً لمتغير المؤهل العلمي.

## 4. سنوات الخبرة :

جدول رقم (12) رؤية أفراد العينة نحو محاورها باختلاف سنوات الخبرة

| المحور            | مصدر التباين   | مجموع المربعات | درجة الحرية | متوسط المربعات | قيمة F | مستوى الدلالة |
|-------------------|----------------|----------------|-------------|----------------|--------|---------------|
| الثقافة التنظيمية | بين المجموعات  | 1.604          | 3           | 0.534          | 1.782  | 0.149         |
|                   | داخل المجموعات | 90.110         | 301         | 0.299          |        |               |
|                   | المجموع        | 91.714         | 304         | -----          |        |               |
| الأداء الوظيفي    | بين المجموعات  | 0.198          | 3           | 0.065          | 0.418  | 0.737         |
|                   | داخل المجموعات | 47.434         | 301         | 0.157          |        |               |
|                   | المجموع        | 47.632         | 304         | -----          |        |               |
| جميع المحاور      | بين المجموعات  | 0.002          | 3           | 0.001          | 0.006  | 0.996         |
|                   | داخل المجموعات | 40.810         | 301         | 0.135          |        |               |
|                   | المجموع        | 40.812         | 304         | -----          |        |               |

الجدول السابق يوضح أن قيمة F المحسوبة لجميع المحاور مجتمعة (0.006) وكذلك كانت قيمة مستوى الدلالة لجميع المحاور تساوي (0.996)، مما يعني عدم وجود فروق بين إجابات المبحوثين تعزى لمتغير سنوات الخبرة.

### 5. نوع الوظيفة "إدارية أم فنية":

جدول (13) نتائج اختبار t للكشف عن دلالة الفروق بين رؤية باختلاف الوظيفة

| المحور            | الجنس  | العدد | المتوسط الحسابي | الانحراف المعياري | قيمة t | مستوى الدلالة |
|-------------------|--------|-------|-----------------|-------------------|--------|---------------|
| الثقافة التنظيمية | إدارية | 149   | 3.276           | 0.600             | 1.681  | 0.092         |
|                   | فنية   | 155   | 3.171           | 0.490             |        |               |
| الأداء الوظيفي    | إدارية | 149   | 3.657           | 0.408             | 1.468  | 0.141         |
|                   | فنية   | 155   | 3.591           | 0.380             |        |               |
| جميع المحاور      | إدارية | 149   | 3.787           | 0.388             | 1.067  | 0.285         |
|                   | فنية   | 155   | 3.743           | 0.343             |        |               |

الجدول السابق يوضح أن: القيمة المطلقة t المحسوبة لجميع المحاور مجتمعة تساوي (1.067) كما أن قيمة مستوى الدلالة لجميع المحاور تساوي (0.285). مما يدل على عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى ( $\alpha = 0.05$ ) بين إجابات المبحوثين تعزى لمتغير نوع الوظيفة.

### النتائج والتوصيات:

#### نتائج البحث:

(1) الثقافة التنظيمية تساهم بدرجات متفاوتة في رفع مستوى الأداء الوظيفي لدى العاملين في جامعة القلمون الخاصة/سوريا. وبالنظر إلى الوزن النسبي لأبعاد محور الثقافة التنظيمية فإنها تعطي مؤشر بأن واقع الثقافة التنظيمية في جامعة القلمون الخاصة/سوريا يساهم بشكل عام بدرجة متوسطة في تحسين الأداء الوظيفي لعينة البحث.

(2) يتوفر لدى العاملين في جامعة القلمون الخاصة / سوريا عناصر ومعايير الأداء. وهذا يعني أن مقومات الأداء الوظيفي متوفرة لدى عينة البحث.

(3) لا تتم عملية تقييم الأداء الوظيفي في جامعة القلمون الخاصة/سوريا بشكل صحيح وفعال بما يخدم الموظف والجامعة معاً. وهذا يدل على أن هناك خلل في نظام

تقويم الأداء المعمول به في جامعة القلمون الخاصة/سوريا. حيث أن الموظفين لا يطلعون على نتائج تقويم أدائهم ليتمكنوا من تعزيز نقاط القوة وتطوير نقاط الضعف، كذلك نظام تقويم الأداء لا يكشف عن الاحتياجات التدريبية اللازمة للموظفين، وأن عملية تقويم الأداء تميل إلى الروتين دون جدوى حقيقية.

(4) توجد علاقة ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة ( $\alpha = 0.05$ ) بين الثقافة التنظيمية وبين مستوى الأداء الوظيفي لدى العاملين في جامعة القلمون الخاصة/سوريا.  
 (5) لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى ( $\alpha = 0.05$ ) بين إجابات المبحوثين حول العلاقة بين الثقافة التنظيمية ومستوى الأداء الوظيفي تعزى لمتغيرات ( الجنس، العمر، المؤهل العلمي، سنوات الخبرة، نوع الوظيفة).

#### توصيات البحث:

عند النظر لعلاقة الثقافة التنظيمية بالأداء الوظيفي فإننا نجد أن الثقافة التنظيمية ترتبط بعلاقة إيجابية مع الأداء الوظيفي، كما أن قيم الثقافة التنظيمية ترتبط بعلاقة إيجابية مع عناصر الأداء الوظيفي. ما يدل ويعني أن هناك علاقة وطيدة بين الثقافة التنظيمية والأداء الوظيفي حيث يندر وجود أداء وظيفي عالي المستوى بدون ثقافة تنظيمية تشجع وتدعم هذا الأداء.

لعل هذا البحث يعتبر إضافة جديدة إلى أدبيات الإدارة العامة بشكل عام وأدبيات السلوك التنظيمي بشكل خاص لبحثه جانبيين مهمين هما: الثقافة التنظيمية والأداء الوظيفي مما يزيد في فهم هذين المفهومين في الأدبيات العربية والمحلية، وإضافة البحث الحقيقية في هذين الجانبين تكمن في بحثه لأثر القيم المكونة للثقافة التنظيمية على الأداء الوظيفي الأمر الذي يعطي هذا البحث أهمية بالغة لاستكشافه هذا الأثر.

كما أن هذه النتيجة تساعد المسؤولين في التعرف على القيم غير المتوفرة بالمنظمة وبالتالي البحث عن الأسباب والمشكلات التي تعوق توفرها والعمل على وضع الإجراءات والخطط التي تساعد على تفعيل هذه القيم عند الحاجة لها. وعندما ننظر

لعناصر الأداء الوظيفي من خلال نتائج البحث فإننا نستطيع القول إنه يمكن لمؤسسات التعليم العالي أن تستفيد من هذه النتيجة عن طريق معرفة أي عناصر الأداء الوظيفي متوفرة في بيئتها التنظيمية، وبالتالي تحاول هذه المؤسسات تطوير وغرس العناصر التي لا تتوفر بالشكل المطلوب ومحاولة تشجيع العناصر الموجودة وذلك عن طريق الدعم من قبل الإدارة العليا وعقد الدورات التدريبية والندوات والمحاضرات عن أهمية الأداء الوظيفي وعناصره إضافة إلى البحث عن المشكلات والمعوقات التي تحول دون تحقيق وتوفير بعض العناصر ووضع الخطط المناسبة لتطويرها. كما أن هذا البحث قد يعطي الممارسين في مؤسسات التعليم العالي تصوراً حول دور الثقافة التنظيمية في تحقيق التحسين في الأداء الوظيفي من خلال الارتباط الوثيق بين قيم الثقافة التنظيمية وعناصر الأداء. ولعل أهم ما أبرزه هذا البحث والذي يمكن مؤسسات التعليم العالي والجامعات الخاصة بالذات الاستفادة منه على أرض الواقع هو توضيحه لأهم القيم المؤثرة على الأداء الوظيفي والتي يمكن من خلالها التنبؤ بقيمة الأداء الوظيفي بمؤسسات التعليم العالي والجامعات الخاصة عن طريق القيم المتوفرة بهذه المؤسسات والتي تدعم هذا الأداء.

بناء على ما سبق الباحث يوصي بالتالي:

- 1- العمل على تبسيط أنظمة وقواعد وإجراءات العمل من خلال الابتعاد عن المركزية والحرفية والتشدد في تنفيذ المسائل الشكلية، وإتاحة الفرصة للموظفين بتطوير قواعد وإجراءات خاصة لانجاز ما يوكل إليهم من مهام. فهذا من شأنه أن يوفر هامش من الحرية للموظفين لإظهار إبداعاتهم والتعبير عن أفكارهم.
- 2- العمل على إتباع اللامركزية وتفويض السلطة وذلك من خلال مشاركة المرؤوسين في اتخاذ القرارات والتخلي عن الروتين وأن تكون الديمقراطية هي السمة الأساسية للإشراف على المرؤوسين. فذلك كفيل بأن يبذل الموظفون قصارى جهدهم لفعل الأشياء على الوجه الأكمل كما وان ذلك ينمي القدرة الإبداعية والابتكارية لديهم.



3- المحافظة على وجود نظام اتصالات فعال عن طريق السماح للموظفين بإبداء آرائهم ومقترحاتهم من خلال الاجتماعات واللقاءات الدورية بين القيادة العليا والمرؤوسين. ووضع صندوق للشكاوى والاقتراحات ليتمكن المرؤوسون من التعبير عن آرائهم ومقترحاتهم بحرية واعتماد سياسة الباب المفتوح التي تعني الحق للموظف مقابلة الإدارة العليا ومناقشتهم في أي أمر من أمور العمل وفق الضوابط والأصول الإدارية. فهذا من شأنه أن يكسر حواجز الخجل والخوف بين المرؤوسين والرؤساء ويعزز الثقة المتبادلة بينهم مما يفتح الباب أمام الأفكار الإبداعية أن تطرح.

4- تفعيل نظام الحوافز على أسس ومعايير مهنية وذلك من خلال وجود آلية عمل ونظام محدد لإدارة الحوافز بالشكل الأمثل مع ضرورة توافر عنصر في غاية الأهمية ألا وهو المصادقية في تطبيق نظام الحوافز داخل المؤسسة، وأن يتم تقنين مثل هذه الحوافز ليتم منحها لأصحاب التميز والإبداع في الأداء ومكافأة المبدعين في العمل، وعنصر آخر وهو تقييم مستوى الحوافز ومدى فاعليتها بالنسبة للموظف.

5- زيادة اهتمام الإدارة العليا بالتدريب وذلك لأن التدريب يعد خياراً استراتيجياً لإعداد كوادر بشرية مبدعة. ويمكن زيادة اهتمام الإدارة العليا بالتدريب من خلال العمل على تشجيع الأفراد على المشاركة في البرامج التدريبية الهادفة. تخصيص ميزانية واضحة لبرامج التدريب. ربط المسار الوظيفي بالمسار التدريبي. التنسيق مع الجهات المحلية والعربية والدولية لعقد برامج تدريبية هادفة لتطوير مهارات الموظفين بشكل عام والمبدعين منهم بشكل خاص.

6- تفعيل نظام تقييم الأداء على أسس ومعايير تقييم موضوعية وواضحة وذلك باستخدام أسس وطرق مختلفة لتقييم الأداء الوظيفي وفقاً لطبيعة الوظائف المختلفة. وأن يشرف على عملية تقييم الأداء طاقم من الخبراء المختصين. أن تتبع عملية تقييم الأداء بتغذية راجعة بما يكفل اطلاع الموظف على نتائج تقييم أدائه، فهذا يعطي الفرصة للموظف من تعزيز نقاط القوة لديه وتحسين وتطوير نقاط الضعف، كذلك

لابد وان تكشف عملية تقويم الأداء عن الاحتياجات التدريبية اللازمة للموظفين. ربط الترقيات والحوافز بنتائج تقويم الأداء.

### المراجع:

- 1- أحمد مصطفى النعمي 1418هـ، أثر الثقافة التنظيمية في فعالية عمليات التدريب في الأجهزة الأمنية بالمملكة العربية السعودية: دراسة ميدانية على بعض الأجهزة الأمنية بالمنطقة الشرقية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض.
- 2- دايفيد فرانسيس ومايك وودكوك 1416هـ، القيم التنظيمية، (ترجمة) عبد الرحمن هيجان، معهد الإدارة العامة، الرياض.
- 3- ديفيز كيث 1976م، السلوك الإنساني في العمل، (ترجمة) سيد عبد الحميد ومحمود إسماعيل، دار النهضة العربية، القاهرة.
- 4- ذياب البدانية وعلى العضيلة 1416هـ، قيم المديرين كمؤشر لثقافة المنظمات: دراسة مقارنة بين الأردن والسعودية، مجلة العلوم الإدارية، مجلد (8)، عدد(1).
- 5- عادل باجابر 1416هـ، الاتجاهات نحو المهنة وعلاقتها بالأداء الوظيفي لدى الأخصائيين الاجتماعيين والأخصائيات الاجتماعيات العاملين بالمستشفيات الحكومية المركزية بالمنطقة الغربية، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.
- 6- عامر الكبيسي 1998م، التطور التنظيمي وقضايا معاصرة، دار الشرق للطباعة والنشر، الدوحة.
- 7- عبد الباري درة 2003م، تكنولوجيا الأداء البشري في المنظمات: الأسس النظرية ودلالاتها في البيئة العربية المعاصرة، المنظمة العربية للتنمية الإدارية، عمان.
- 8- عبد الحميد المغربي 2007م، دليل الإدارة الذكية لتنمية الموارد البشرية في المنظمات المعاصرة، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان.

9- عبد الرحمن أحمد هيجان 1412هـ، "أهمية قيم المديرين في تشكيل ثقافة منظمين سعوديتين: الهيئة الملكية للجبيل وينبع وشركة سابك"، مجلة الإدارة العامة، العدد (74).

10- عبد العزيز حسن آل حسن 1422هـ، الثقافة التنظيمية وعلاقتها بفعالية التطوير التنظيمي: دراسة تطبيقية على الإدارة العامة للمجاهدين بالملكة العربية السعودية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض.

11- مساعد الماضي 1417هـ، معوقات الاتصال الإداري انعكاساتها على الأداء الوظيفي: دراسة تحليلية مطبقة على المستويات الإدارية الوسطى والتنفيذية بإمارة منطقة الرياض، رسالة ماجستير، أكاديمية نايف للعلوم الأمنية، الرياض.

12- ممدوح جلال الرخيمي 1421هـ، دور الثقافة التنظيمية في تطبيق إدارة الجودة الشاملة على قطاع الصناعات الكيماوية بمحافظة جدة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الملك عبد العزيز، جدة.

13- ناصر السكران 2004م، المناخ التنظيمي وعلاقته بالأداء الوظيفي: دراسة مسحية على ضباط قطاع قوات الأمن الخاصة بمدينة الرياض، رسالة ماجستير، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض.

14- نايف سليمان الفالح 1422هـ، الثقافة التنظيمية وعلاقتها بالرضا الوظيفي في الأجهزة الأمنية: دراسة تطبيقية على هيئة التحقيق والادعاء العام بمنطقة الرياض والمنطقة الشرقية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض.

15-kvall, Goran 1996, "Organizational Climate For Creativity and Innovation", European Journal Of Work And Organizational Psychology, 5, PP,105-123

16-Ott, J. Steven 1989, The organizational culture perspective  
Chicago. Dorsay press.

## التسول مشكلة اجتماعية في المدينة السودانية (مدينة كريمة نموذجاً)

د. سامية الباقر محمد سليمان

أ. مشارك - قسم علم الاجتماع

كلية الآداب والدراسات الإنسانية - جامعة دنقلا

### مقدمة :-

التسول ظاهرة اجتماعية واضحة القسمات والملامح موجودة في كثير من مجتمعات الدول النامية والمتقدمة. والسودان كأحد الدول النامية تجذرت ظاهرة التسول في كثير من مدنه. كان التسول في هذا القطر قبل ثمانينات القرن العشرين محدوداً ومحصوراً في بعض الشرائح الاجتماعية، أما في الوقت الراهن فقد أضحى ظاهرة متجذرة، تعددت وتطورت أساليبها نتيجة لعوامل اقتصادية وطبيعية وسياسية واجتماعية - ثقافية رافقت النزوح جراء تعرض السودان للجفاف والتصحر في ثمانينيات القرن العشرين، وأسهمت الحروب الأهلية الدائرة في هذا القطر منذ الثمانينات أيضاً في التشرّد واللجوء، أضف إلى ذلك إن الأوضاع الطبيعية والسياسية والاقتصادية في بعض دول الجوار قد دفعت بعض سكانها للجوء إلى السودان وامتهان التسول!

● هدفت الدراسة للتعرف على الأسباب الاقتصادية والطبيعية والسياسية والاجتماعية - الثقافية التي أدت إلى انتشار ظاهرة التسول في السودان من خلال مدينة كريمة كنموذج للمدينة في السودان.

● انطلقت الدراسة من تساؤل رئيس هو :-

هل ترجع ظاهرة التسول في مدينة كريمة للفقر؟ ويتم التحقق من ذلك بالتساؤلات الفرعية التالية :-

أ/ هل ترجع ظاهرة التسول لأسباب اقتصادية ؟

ب/ هل ترجع ظاهرة التسول لأسباب طبيعية ؟

ج/ هل ترجع ظاهرة التسول لأسباب سياسية ؟

د/ هل ترجع ظاهرة التسول لأسباب اجتماعية - ثقافية ؟

**المفاهيم :-**

**مفهوم التسول (Concept of begging, mendicancy) :-**

(أ) التسول لغة :-

تصدر كلمة تسول من الفعل سأل، والسؤال هو ما يطلبه الإنسان، وسأله عن الشيء سؤالاً (ومسألة) (الرازي 1975م، ص 135). يقال سألت الله العافية أي طلبتها والسؤال ما يُسأل والمسؤول المطلوب (المقري 2001م، ص 330). والفعل تسول في المعجم الوجيز يعني : سأل واستعطى (المعجم الوجيز 2000- 2001م، ص 330). ونجده أيضاً في المعجم المحيط يعني استعطى أو استجدى. وأشار المعجم إلى أن التسول يكثر في البلدان الفقيرة (أديب العجمي وآخرون 1994م، ص 307).

(ب) التعريف النظري والإجرائي للتسول :-

- هناك عدة تعريفات نظرية للتسول، منها على سبيل المثال إنه يعني : (طلب العون المادي والصدقة من الناس بحجة الإعاقة البدنية أو السن المتقدمة أو بأي حجة أخرى) (فردريك معتوق 1993م، ص 62).

- ويعرف كذلك بأنه : (طلب الصدقة من الأفراد في الطرقات والأماكن العامة) (أحمد زكي بدوي 1982م، ص 37).

- ويعرف أيضاً بأنه : (ظاهرة اجتماعية، يمارسه الفرد هرباً من مسؤوليات الحياة، خاصة بالنسبة لمن ليس له الرغبة في مزاولته عمل شريف يدر عليه دخلاً يقيم أوده، ويحفظ له ماء الوجه من الاستجداء أو استدرار العطف) (ماهر أبو المعاطي علي 2005م، ص 303).

- يعرف أيضاً بأنه صورة من صور التشرد. ويُعد في ذاته وسيلة غير مشروعة لكسب العيش، فضلاً عن أنه جريمة يعاقب عليها القانون (محمد علي الجمال 1989م، ص 5).

- التسول سلوك منحرف مُجرّم قانونياً، أي أنه يصنف كجريمة يعاقب عليها القانون إذا كان المتسول يتجاوز الثامنة عشرة، وبذلك يصنف ضمن حالات التشرد التي يعدها قانون العقوبات جريمة (ماهر أبو المعاطي علي 2005م، ص 303).

- ويعرفه روبرت باركر (Robert Barker) بأنه : (صورة من صور التشرد ومعناه طلب المال بصورة غير مشروعة وبطريقة يعاقب عليها القانون) (Barker 1987, p. 15).

- وعرفه أيضاً بأنه : (طلب الصدقة. وأن المتسول هو شخص يبحث عن النقود أو السلع) (Barker 1999, p. 298).

### (ج) التعريف الإجرائي :-

يُقصد بالتسول في هذه الدراسة :-

مد اليد وطلب النقود أو القوت وما إلى ذلك صراحةً في أي من السياقات التالية:-

(1) يُعبّر عن الطلب في كثير من الأحيان بعبارات لفظية كالنداء بالخير للآخرين أو بصيغة لاستدراار العطف، أو بكلمات ذات مضامين دينية كالرحمة، الصدقة، الصحة، الحج، الآخرة، الرزق... الخ.

(2) تلاوة آي من الذكر الحكيم أو إلقاء أبيات من شعر المديح النبوي... الخ بغية نيل الصدقة.

(3) يصاحب هذا الطلب في الغالب الأعم مظاهر شخصية كالقدارة والثياب الرثة والعجز والعاهاات والإصابات... الخ.

(4) يتوسل المتسول للصدقة أحياناً ببيع بعض السلع زهيدة الثمن كالمناديل، الكبريت، إبر الخياطة... الخ.

(5) يلجأ بعض المتسولين أحياناً لممارسة أعمال هامشية بصفة مؤقتة كمسح زجاج السيارات أو تلميع الأحذية... الخ.

(6) قصد المساجد وبعض الأماكن العامة للاستجداء، وعرض بعض المستندات - طبية كانت أم غيرها- لتأكيد العوز والحاجة.

و تُعرّف المتسول إجرائياً بأنه :-

(1) كل شخص ذكر أو أنثى يطلب مساعدة مادية، منتهجاً أياً من الطرق السابقة.

(2) كل شخص وجد في حالة أو أكثر من الحالات الست السابق ذكرها.

التسول كظاهرة اجتماعية :-

تناول عالم الاجتماع إميل دوركايم الظاهرة الاجتماعية باعتبارها : طرق للسلوك والتفكير والشعور خارجة عن الفرد ولها من قوة التأثير ما تستطيع به أن تفرض نفسها على الفرد. وتُعرّف الظاهرة أيضاً بأنها : التصرفات الإنسانية التي توجد على درجة معينة من الانتشار في مجتمع معين وفي وقت معين وتشكل ضغطاً على أفراد المجتمع. ومن أبرز سمات الظاهرة أنها تنشأ عن المجتمع كله، بمعنى أنها نتاج المجتمع بجميع عناصره. والظاهرة متطورة ولا تظل على حالة واحدة بل تتغير وتتخذ أشكالاً مختلفة (مصطفى الخشاب 1965م، ص ص 6- 7). وباستصحاب تلك المعاني وتنزيلها على التسول يتضح أنه ظاهرة اجتماعية لا تخطئها العين في كثير من البلدان ومنها السودان. وتؤكد جميع النقاط السابقة أن التسول محصلة لبعض الحاجات التي يمكن دراستها علمياً، وهذا ما جرى في هذه الدراسة.

**الحاجات الإنسانية :-**

يتفاوت المنظور للحاجات البشرية بين حقل وآخر في منظومة العلوم الاجتماعية والسلوكية، ففي علم الاجتماع يُنظر للحاجة على أنها : حالة من التوتر أو عدم الاشباع يشعر بها فرد معين وتدفعه إلى التصرف متجهاً نحو الهدف الذي يعتقد أنه سيحقق له الاشباع (عاطف غيث 1975م، ص 223). أما في الخدمة الاجتماعية فتعرف الحاجة بأنها : المتطلبات البدنية (الحيوية) والنفسية والاقتصادية والاجتماعية اللازمة للبقاء والرفاهية وتحقيق الذات (أحمد شفيق السكري 2000م، ص 325). يشير قاموس العلوم الاجتماعية إلى أن الحاجة لفظ يستخدم للإعراب بصفة عامة عن ما يفتقر إليه الكائن الحي للحفاظ على حياته، كالحاجة إلى الطعام والشراب أو الحماية والحاجة لاتقاء الآلام وتجنب المخاطر. والحاجة لا تعني مجرد الافتقار، إذ لا بد من توفر



الإحساس اللازم بضرورة هذه الحاجة (إبراهيم مذكور 1975م، ص 323). وتُعرَّف الحاجة في علم النفس بأنها شيء ضروري إما لاستقرار الحياة نفسها كالحاجات الفسيولوجية، أو للعيش بأسلوب أفضل كالحاجات النفسية. والحاجات توجه سلوك الكائن الحي فيسعى لإشباعها (حامد عبد السلام زهران 1984م، ص 103). وتشمل الحاجات أيضاً جوانب الأمان المادي والمعنوي والتقدير وتحقيق الذات والمعرفة والجمال وغير ذلك (عدنان يوسف العتوم 2009، ص ص 129 - 130). وتتميز الحاجات بأنها لا نهائية ومتجددة ومتراطة وقابلة للإشباع بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، ومن سماتها أنها نسبية بين الأفراد ويمكن إشباعها بأكثر من وسيلة (ماهر أبو المعاطي على 2004م، ص 14). وطالما أن للإنسان حاجات عديدة فإن عدم إشباعها جزئياً أو كلياً يؤدي إلى حدوث مشكلات اجتماعية، خاصة أن عدم إشباع الحاجات المادية عند بعض الشرائح الاجتماعية يدفع بأفرادها لامتهان التسول، وهذا هو جوهر موضوع دراستنا.

### المشكلات الاجتماعية :-

لما كانت المشكلات الاجتماعية تحدث لعدم إشباع الحاجات الإنسانية أو لإشباعها بطريقة غير صحيحة، لذلك عُرِّفت المشكلات الاجتماعية على أنها : معوق أو شيء ضار وظيفياً وبنائياً يقف حائلاً أمام إشباع الاحتياجات الإنسانية. وهناك عوامل عديدة تسهم في خلق المشكلة الاجتماعية بعضها يعود للفرد نفسه والبعض الآخر يعود للجماعة (ماهر أبو المعاطي على 2004م، ص 16).

### التسول وجه للتشرد :-

التشرد (homelessness) يعني عدم وجود مكان إقامة معروف لأي شخص لا تتوفر لديه وسائل شريفة يكسب بها عيشه. ويشمل معنى التشرد من لا عمل له ويعتمد على الإعانة ويتنقل للإقامة مع أقاربه أو أصدقائه أو ينام أسفل المباني. وعادة ما يبقى المتشردون بدون سكن لفترات طويلة، أو يفتقرون للسكن الدائم (Johanson 1995, p. 1378). والتشرد حالة تتعلق بالشخص الذي لا يمتلك وسيلة

مشروعة لكسب العيش ولا يمتهن حرفة معينة، وبذلك يكون التشرد حالة واقعية. وهنا يعتبر التسول صورة من التشرد الذي يشكل الواقع العيني الملموس، حيث يقوم المتسول بطلب إحسان أو معونة بطريقة مباشرة أو غير مباشرة للحصول على الرزق (السيد على شتا 2004م، ص 27).

لما كان التسول ضرباً من ضروب التشرد، بسبب ممارسة الاستجداء وطلب الإحسان في كل، فهو مشكلة اجتماعية على جانب كبير من الأهمية، لذا يرتبط التسول ارتباطاً وثيقاً بمشكلة التشرد (محمد على الجمال 2008م، ص 28). ويشكل التشرد أيضاً مشكلة اجتماعية كبيرة حتى أنه قد يصبح مصدر قلق للحكومات. وهو مرض أصيبت به كثير من المجتمعات والدول حتى أصبح محل اهتمام ودراسة علماء الاجتماع، مثله مثل الإجرام (محمد على الجمال 2008م، ص 12).

#### العوامل والظروف الدافعة للتسول :-

(أ) عوامل شخصية : هي مجموعة العوامل والأسباب التي ترتبط بشخصية المتسول وتجعله يميل إلى التسول بدلاً من القيام بعمل شريف يعود عليه بالدخل ويعفّه. وتتضمن هذه العوامل :-

#### (1) العوامل الحيوية والصحية :-

مثل التشوهات الخلقية التي ترجع لعامل الوراثة أو لاضطرابات الغدد وتأخر النمو، والأمراض المزمنة سواء كانت عضوية أو نفسية أو عقلية، أو العاهات التي تؤدي إلى العجز الكلي أو الجزئي (ماهر أبو المعاطي على 2005م، ص 308-310).

#### (2) العوامل النفسية والعقلية :-

مثل الحرمان والعوز وعدم إشباع الاحتياجات الأولية، خاصة الحاجة للصحة النفسية والحرمان العاطفي والحرمان من رعاية الأبناء في حال بعض المتسولين كبار السن، والحرمان من الرعاية الوالدية في حالة الأحداث، والإحباط الذي يؤدي إلى

ال فشل وخيبة الأمل والشعور بالظلم في الحياة، بالإضافة إلى الإعاقة العقلية حيث لا يجد المعاق عقلياً من يرعاه فيتحول إلى متسول (ماهر أبو المعاطي على 2005م، ص 308 - 310).

(ب) عوامل اجتماعية : تتضمن العوامل المرتبطة بالتفاعلات والأدوار والعلاقات التي تنشأ بين المتسول والمحيط الذي يعيش فيه، وكذلك العوامل التي ترجع إلى الظروف البيئية أو الاجتماعية المحيطة بالمتسول مثل : تفكك الأسرة بسبب الطلاق وغيره ، وسوء أساليب التنشئة الاجتماعية كالإهمال والقسوة وغياب القدوة الحسنة وضعف الروابط الأسرية والجهل ورفقاء السوء (زكية عبد القادر خليل 2005م، ص 77 - 78)؛ ومن العوامل الاجتماعية أيضاً احترام الأسرة التسول، حيث يوجد الكثير من الأسر التي تحترف التسول، فيتعلم الأبناء من أهلهم هذه الممارسة، وبذلك تصبح متوارثة عبر الأجيال (سيد صديق عبد الفتاح 2001م، ص 302 - 303).

(ج) عوامل اقتصادية : وهي العوامل المرتبطة بالنواحي المادية للمتسول، كالدخل والإنفاق . . . الخ. وتشمل ترك العمل بسبب الغياب أو الإهمال أو عدم الاستقرار وسوء التوافق المهني والهجرة من الريف إلى الحضر لعدم توفر فرص العمل في الريف والافتقار إلى السكن المناسب (زكية عبد القادر خليل 2005م، ص 77 - 78).

(د) عوامل مجتمعية - ثقافية : تتعلق هذه العوامل بثقافة المجتمع وقيمه وعاداته التي تعمل في كثير من الأحيان على تدعيم ومساندة هذه الظاهرة، بالإضافة إلى توريث مهنة التسول من الآباء إلى الأبناء (زكية عبد القادر خليل 2005م، ص 78).

#### تصنيف التسول :-

1 / للتسول أشكال وصور عديدة تكاد توجد في كثير من دول العالم، منها:-

(أ) التسول الصريح بصورته التقليدية المتمثلة في طلب الإجابة مباشرة.

(ب) التسول المُقنع ويتمثل في عرض أو بيع سلع زهيدة الثمن مثل : المناديل والكبريت . . الخ.

(ج) التسول الاحترافي، ويعد أحد مقدمات احتراف الجريمة، لأن كثيراً من الناس يتخذون من التسول مهنة للكسب السريع دون مجهود، ويتوارثه أفراد الأسرة (عبد الباسط عبد المعطي وآخرون 2002م، ص 36).

## 2/ يصنف التسول في ثلاثة أصناف هي :-

(أ) التسول العارض: هو تسول عابر يحدث لعوز طارئ كما في حالة ابن السبيل أو شخص ضل الطريق، أو سُرقت نقوده فاضطر لطلب المساعدة.

(ب) التسول الموسمي: هو الذي يمارس في المواسم والمناسبات كالأعياد.

(ج) التسول الدائم: هو تسول مستمر لمحتري التسول من العاجزين (ماهر أبو المعاطي علي 2005م، ص 3006).

## 3/ أنواع التسول حسب طبيعة شخصية المتسول :-

(أ) تسول مرضي : يصبح هذا النوع من التسول جزء من سلوك المتسول ولديه الرغبة في التسول رغم أنه لا يعاني الفاقة.

(ب) تسول القادر الذي يستطيع الكسب عن طريق العمل لكنه يفضل التسول.

(ج) تسول غير القادر: وهو تسول العاجز أو المريض جسماً أو عقلياً (محمد عزمي البكري 1987م، ص ص 70 - 85).

## هناك أنماط أخرى من التسول تدرج تحت :-

(أ) التسول الإجباري: وهو اضطراري، ويحدث في حالة فقدان الفرد نقوده فجأة، أو عند اجبار بعض الأسر أطفالها على ممارسة التسول.

(ب) التسول الاختياري حيث الاحتراف والسعي وراء الكسب من التسول وامتهانه كحرفة دون العمل الشريف (ماهر أبو المعاطي علي 2005م، ص 307).

## منظور الإسلام للتسول:-

(أ) يرفض الدين الإسلامي التواكل، كما يرفض طلب الإحسان من الناس دون وجود أعداء ومبررات يقبلها الشارع، ويكره الإلحاح في السؤال كما في قوله تعالى :  
للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضرباً في الأرض يحسبهم الجاهل

أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافاً، وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم) (سورة البقرة: آية 273).

أما في السنة النبوية المطهرة فقد ورد في صحيح البخاري، في باب الاستعفاف عن المسألة : عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن أناساً من الأنصار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاهم ثم سألوه فأعطاهم حتى نفذ ما عنده فقال : ما يكون عندي من خير فلم أدره عنكم ومن يستعفف يعفه الله ومن يستغنى يُغنه الله ومن يتصبر يصبره الله، وما أُعطي أحد خيراً من الصبر (البخاري 1996م، ص 53).

(ب) يحث الإسلام على العمل ويدعو له ويرغب فيه كما في قوله تعالى : (وقل اعلموا فسيرا الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبؤكم بما كنتم تعملون) (سورة التوبة : آية 105). وقد ورد في السنة في صحيح البخاري في باب الاستعفاف عن المسألة : عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (لأن يأخذ أحدكم حبله فيأتي بحزمة حطب على ظهره فيبيعه فيكف الله بها وجهه - أي يمنع وجهه أن يذل بسؤال - خير له من أن يسأل الناس : أعطوه أو منعوه) (البخاري 1996م، ص 54).

### المشكلات المترتبة على التسول :-

ينتج عن التسول العديد من المشكلات منها :-

(أ) المشكلات الاقتصادية : تعاني كثير من الدول النامية والدول المتقدمة - على حد سواء - من مشكلة التسول والمتسولين، لما لها من آثار سلبية على المجتمع، فالتسول طاقة معطلة عن العمل ومعيق للإنتاج ويسيء بمظهره للكرامة الإنسانية (مدحت أحمد أبو النصر وآخرون 2005م، ص 108).

(ب) المشكلات الأمنية : قد تبدو أحياناً طريقة الحياة التي يحيها المتسول كمؤشر يدل على خطورة هذا الشخص بحيث ينبغي الحذر منه، فهو إن لم يكن قد ارتكب جريمة أو أتى بفعل يلحق الضرر بالآخرين عبر تلك الممارسة، فالتسول في حد ذاته سلوك يؤدي شعور المجتمع، فضلاً عن ذلك فإن الوضع النفسي للمتسول غالباً ما يدفعه

لارتكاب الجريمة في أي وقت سنحت له فيه الفرصة (زكية عبد القادر الجمال 1988م، ص 166).

(ج) المشكلات الحضارية : أصبح من المؤلف في كثير من المدن وقوع العين على من يمد يده للناس في الشوارع ووسائل المواصلات والحدائق العامة والأسواق، بصورة تشكل مظهراً غير حضاري، فمثل هذه السلوك غير الحضارية يسبب للمجتمع ويشوه صورته وسط المجتمعات الأخرى (ماهر أبو المعاطي على 2005م، ص ص 101 - 102).

(د) المشكلات الصحية : يشكل وجود المتسولين في الشوارع، تحت ظروف غير صحية، بملابس قذرة، عاملاً يؤدي إلى انتشار الأمراض والأوبئة بين هذه الفئة، كما أن نقص الوعي الصحي يؤدي إلى الإصابة بأمراض خطيرة، تتفاقم مع تعاطي الكحول والمخدرات (زكية عبد القادر خليل 2005م، ص 80). وقد تزيد ممارسة التسول - في ظل تلك الظروف - من الأمراض المعدية بفعل الجراثيم والفطريات، نتيجة لتناول المتسولين بقايا الطعام الملوثة من القمامة . . . الخ.

#### الدراسة الميدانية :-

##### أولاً : الإجراءات المنهجية:-

- أ/ نوع الدراسة : دراسة وصفية تحليلية .
- ب/ نوع المنهج : منهج المسح الاجتماعي عن طريق العينة .
- ج/ نوع العينة : عينة عشوائية بسيطة .
- د/ أداة جمع البيانات : استمارة استبار .
- هـ/ المجال المكاني : سوق مدينة كريمة - بمحلية مروى - الولاية الشمالية.
- و/ المجال البشري : 30 متسول ومتسولة مثلوا حجم عينة الدراسة .
- ز/ المجال الزمني : نهار الخميس الموافق 2013/5/23م .

ثانياً : تحليل الدراسة الميدانية :-  
مصدر الجداول الدراسة الميدانية.

الجدول (1) يوضح نوع المبحوثين ن=30

| م       | النوع | التكرار | النسبة % |
|---------|-------|---------|----------|
| أ       | ذكر   | 17      | 56.7%    |
| ب       | أنثى  | 13      | 43.3%    |
| المجموع |       | 30      | 100%     |

يتضح من الجدول أعلاه أن نسبة 56.7% من العينة ذكور، وبلغت نسبة الإناث 43.3%.

الجدول (2) يوضح العمر

| م       | العمر         | التكرار | النسبة % |
|---------|---------------|---------|----------|
| أ       | أقل من 18 سنة | 6       | 20%      |
| ب       | 18 - 29       | 5       | 16.7%    |
| ج       | 30 - 41       | 7       | 23.3%    |
| د       | 42 - 53       | 7       | 23.3%    |
| هـ      | 54 فأكثر      | 5       | 16.7%    |
| المجموع |               | 30      | 100%     |

يتضح من الجدول أن أعلى نسبة وهي 23.3% تركزت في الفئة العمرية من (30 - 41) و (42 - 53) هاتان الفئتين العمريتين تمثلان قمة العطاء والقدرة على الإنتاج، لكن أصحابها في هذه العينة متسولون.

## الجدول (3) يوضح الموطن الأصلي

| م       | الموطن الأصلي | التكرار | النسبة % |
|---------|---------------|---------|----------|
| أ       | مروي          | 15      | 50%      |
| ب       | البركل        | 2       | 6.7%     |
| ج       | كريمة         | 5       | 16.7%    |
| د       | منصوركتي      | 4       | 13.3%    |
| هـ      | غرب السودان   | 4       | 13.3%    |
| المجموع |               | 30      | 100%     |

يتضح من الجدول أن نسبة 50% من العينة كان موطنها الأصلي مدينة مروي، ونسبة 13.3% موطنها الأصلي غرب السودان، وتوزعت باقي النسب على المناطق المجاورة لمروي.

## الجدول (4) يوضح السكن الحالي

| م       | السكن الحالي | التكرار | النسبة % |
|---------|--------------|---------|----------|
| أ       | مروي شرق     | 2       | 6.7%     |
| ب       | مروي غرب     | 10      | 33.3%    |
| ج       | كريمة        | 5       | 16.7%    |
| د       | السقاي       | 2       | 6.7%     |
| هـ      | منصوركتي     | 4       | 13.3%    |
| و       | البركل       | 2       | 6.7%     |
| ز       | كمبو مروي    | 4       | 13.3%    |
| ح       | العقدة       | 1       | 3.3%     |
| المجموع |              | 30      | 100%     |



يتضح من الجدول أن أعلى نسبة وهي 33.3% تسكن مروى غرب، تليها نسبة 16.7% وتسكن كريمة، وتساوت نسبة 13.3% بالنسبة للذين يسكنون منصوركتي وكمبو مروى، أيضاً تساوت نسبة 6.7% بالنسبة للذين يسكنون مروى شرق والسقاي والبركل، بينما نسبة 3.3% يسكنون العقدة .

#### الجدول (5) يوضح المستوى التعليمي

| م | المستوى التعليمي | التكرار | النسبة % |
|---|------------------|---------|----------|
| أ | أمي              | 12      | 40%      |
| ب | خلوة             | 6       | 20%      |
| ج | أساس             | 12      | 40%      |
| د | المجموع          | 30      | 100%     |

يتضح من الجدول أن نسبة 40% بالنسبة للمستوى التعليمي اشترك فيها الأميون وتعليم الأساس، و20% كان تعليمهم في الخلوة فقط.

#### الجدول (6) يوضح الحالة الاجتماعية

| م  | الحالة الاجتماعية | التكرار | النسبة % |
|----|-------------------|---------|----------|
| أ  | متزوج             | 15      | 50%      |
| ب  | غير متزوج         | 10      | 33%      |
| ج  | مطلقة             | 3       | 10%      |
| د  | أرملة             | 2       | 6.7%     |
| هـ | المجموع           | 30      | 100%     |

يتضح من الجدول أن نسبة 50% من المبحوثين متزوجين، وهي أعلى نسبة، ونسبة 33.3% غير متزوجين، ونسبة 10% مطلقين، بينما نسبة الأرامل بلغت 6.7% .

الجدول (7) يوضح عدد أفراد الأسرة

| م | عدد أفراد الأسرة | التكرار | النسبة% |
|---|------------------|---------|---------|
| أ | أقل من 5 أفراد   | 10      | 33.3%   |
| ب | 5 - 9 أفراد      | 16      | 53.3%   |
| ج | 10 فأكثر         | 4       | 13.3%   |
|   | المجموع          | 30      | 100%    |

يتضح من الجدول أن نسبة 53.3% وهي أعلى نسبة بلغ عدد أفرادها من (5) - (9) أفراد، و نسبة 33.3% بلغ عدد أفرادها أقل من 5 أفراد ، بينما نسبة 13.3% بلغ عدد أفرادها 10 فأكثر.

الجدول (8) يوضح ما اذا كان للمبحوثين عمل قبل امتحان التسول

| م | أهل لديك عمل | التكرار | النسبة% |
|---|--------------|---------|---------|
| أ | نعم          | 11      | 36.7%   |
| ب | لا           | 19      | 63.3%   |
|   | المجموع      | 30      | 100%    |

يتضح من الجدول أن نسبة 63.3% وهي أعلى نسبة ليس لديها عمل قبل امتحان التسول، بينما بلغت نسبة الذين كان لديهم عمل قبل التسول 36.7%.

الجدول (9) يوضح نوع العمل

| م | نوع العمل قبل التسول | التكرار | النسبة% |
|---|----------------------|---------|---------|
| أ | زراعة                | 5       | 45.45%  |
| ب | رعي                  | 4       | 36.36%  |
| ج | عمل حر               | 2       | 18.18%  |
| د | المجموع              | 30      | 100%    |

يتضح من الجدول أن نسبة 45.45٪، من المبحوثين كانوا يعملون بالزراعة وهي أعلى نسبة، ونسبة 36.36٪ كانوا يعملون بالرعي، بينما بلغت نسبة الذين يعملون بالأعمال الحرة 18.18٪..

الجدول (10) يوضح سبب ترك العمل بالزراعة

| م | السبب   | التكرار | النسبة٪ |
|---|---|---------|---------|
| أ | تكلفة الزراعة عالية مع قلة الإنتاج                  | 3       | 60٪     |
| ب | تشديد كبري الصداقة (مروي - كريمة) على أرضي الزراعية | 1       | 20٪     |
| ج | لأنني مريض  | 1       | 20٪     |
|   | المجموع   | 5       | 100٪    |

يتضح من الجدول أن نسبة 60٪ من الذين تركوا العمل بالزراعة كان ذلك بسبب تكلفتها العالية وقلة الإنتاج وهي أعلى نسبة، مع العلم بأن مهنة الزراعة تمثل المهنة الرئيسية لسكان منطقة الدراسة. ونسبة 20٪ من الذين تركوا العمل بالزراعة كان ذلك بسبب تشديد كبري الصداقة (مروي - كريمة) على أراضيهم الزراعية ولم يستفيدوا من مال التعويض في إقامة مشروعات إنتاجية أو تجارية تشكل لهم مصادراً للدخل، بينما بلغت نسبة الذين تركوا العمل بالزراعة بسبب المرض 20٪.

الجدول (11) يوضح سبب ترك العمل بالرعي

| م | السبب                             | التكرار | النسبة٪ |
|---|-----------------------------------|---------|---------|
| أ | نفوق المواشي بسبب الجفاف والتصحر  | 2       | 50٪     |
| ب | بسبب الحرب الأهلية في غرب السودان | 2       | 50٪     |
|   | المجموع                           | 4       | 100٪    |

يتضح من الجدول أن نسبة 50% من الذين تركوا العمل بالرعي بسبب نفوق مواشيهم جراء الجفاف والتصحر، ونسبة 50% أيضاً تركوا العمل بالرعي بسبب الحرب الأهلية في غرب السودان.

#### الجدول (12) يوضح سبب ترك العمل الحر

| م | السبب               | التكرار | النسبة% |
|---|---------------------|---------|---------|
|   | لعدم توفر رأس المال | 2       | 100%    |
|   | المجموع             | 2       | 100%    |

يتضح من الجدول أن نسبة 100% تركوا العمل الحر بسبب عدم توفر رأس المال.

#### الجدول (13) يوضح مصادر الدخل

| م | مصادر الدخل الآن | التكرار | النسبة% |
|---|------------------|---------|---------|
|   | من التسول        | 30      | 100%    |
|   | المجموع          | 30      | 100%    |

يتضح من الجدول أن نسبة 100% مصدر دخلها الآن من التسول.

#### الجدول (14) يوضح المسكن

| م | المسكن  | التكرار | النسبة% |
|---|---------|---------|---------|
| أ | ملك     | 6       | 20%     |
| ب | إيجار   | 14      | 46.7%   |
| ج | ورثة    | 10      | 33.3%   |
|   | المجموع | 30      | 100%    |

يتضح من الجدول أن نسبة 20% يسكنون في بيوت يمتلكونها ، ونسبة 46.7% يسكنون بيوتاً مستأجرة، بينما نسبة 33.3% يسكنون في بيوت وريثة.

الجدول (15) يوضح نوع المسكن

| م | نوع المسكن         | التكرار | النسبة % |
|---|--------------------|---------|----------|
|   | من الطين (الجالوص) | 30      | 100%     |
|   | المجموع            | 30      | 100%     |

يتضح من الجدول أن نسبة 100% من المبحوثين يسكنون في بيوت مبنية من الطين (الجالوص).

الجدول (16) يوضح اذا كان بالأسرة فرد متسول

| م | البيان                            | المتغيرات | التكرار | النسبة % |
|---|-----------------------------------|-----------|---------|----------|
|   | هل يمارس أحد أفراد الأسرة التسول؟ | (أ) نعم   | 10      | 33.3%    |
|   |                                   | (ب) لا    | 20      | 66.7%    |
|   | المجموع                           |           | 30      | 100%     |

يتضح من الجدول أن النسبة 66.7% وهي أعلى نسبة تفيد بعدم وجود أحد من أفراد الأسرة بخلاف المبحوث يمارس التسول، و 33.3% يمارس بعض أفراد أسرهم التسول إلى جانب المبحوث.

الجدول (17) يوضح الأفراد الذين يمارسون التسول داخل الأسرة

| م | البيان                       | المتغيرات  | التكرار | النسبة % |
|---|------------------------------|------------|---------|----------|
|   | إذا كانت الإجابة بنعم من هم؟ | (أ) أولادي | 5       | 50%      |
|   |                              | (ب) إخوتي  | 5       | 50%      |
|   | المجموع                      |            | 10      | 100%     |

يتضح من الجدول تساوي النسبة وهي 50% بين الأولاد والإخوة الذين يمارسون التسول داخل الأسرة.

الجدول (18) يوضح نوع العلاقة بالأسرة

| م | البيان             | المتغيرات | التكرار | النسبة% |
|---|--------------------|-----------|---------|---------|
| - | وضح علاقتك بأسرتك! | (أ) قوية  | 30      | 100%    |
|   |                    | (ب) ضعيفة | -       | -       |
|   | المجموع            |           | 30      | 100%    |

يتضح من الجدول أن نسبة 100% تؤكد على أن العلاقة بالأسرة قوية وذلك لأن مجتمع البحث متجانس في خصائصه ومتربط لحد كبير.

الجدول (19) يوضح الذين يقومون برعاية كبار السن

| م | البيان                                    | المتغيرات        | التكرار | النسبة% |
|---|---|------------------|---------|---------|
|   | من الذي يقوم برعاية كبار السن في الأسرة ؟ | (أ) الأم         | 7       | 23.3%   |
|   |   | (ب) الأب         | 5       | 16.7%   |
|   |   | (ج) الأقارب      | 3       | 10.00%  |
|   |   | (د) المبحوث نفسه | 15      | 50.00%  |
|   | المجموع                                   |                  | 30      | 100%    |

يتضح من الجدول أن نسبة 23.3% تؤكد على أن الأم هي التي تقوم برعاية كبار السن في الأسرة، ونسبة 16.3% تؤكد على أنه الأب، بينما نسبة 10% تؤكد على الأقارب، أما نسبة 50% فتؤكد على أن المبحوث نفسه هو الذي يقوم برعاية كبار السن. مما يؤكد على أن مجتمع البحث متربط ومحافظ رغم ما يعانيه من تدني في مستواه الاقتصادي.

## الجدول (20) يوضح علاقة المتسول بالآخرين

| م | البيان                              | المتغيرات | التكرار | النسبة% |
|---|-------------------------------------|-----------|---------|---------|
|   | هل لديك علاقة بأشخاص متسولين آخرين؟ | (أ) نعم   | 12      | 40%     |
|   |                                     | (ب) لا    | 18      | 60%     |
|   | المجموع                             |           | 30      | 100%    |

يتضح من الجدول أن نسبة 40% من العينة تؤكد على وجود علاقة مع أشخاص آخرين متسولين، بينما نسبة 60% تنفي ذلك .

## الجدول (21) يوضح الأشياء التي تعلمها المتسول من الآخرين

| م | البيان  | المتغيرات | التكرار | النسبة% |
|---|---|-----------|---------|---------|
|   | إذا كانت الإجابة بنعم ما هي الأشياء التي تعلمتها؟ | التعاون   | 12      | 100%    |
|   | المجموع   |           | 12      | 100%    |

يتضح من الجدول أن نسبة 100% تؤكد على أن العلاقة مع الآخرين تقوم على التعاون.

## الجدول (22) يوضح مكان ووقت التسول

| م | البيان                        | المتغيرات | التكرار | النسبة% |
|---|-------------------------------|-----------|---------|---------|
|   | ماهي الأماكن التي تتسول فيها؟ | الأسواق   | 30      | 100%    |
|   | في أي وقت تبشر التسول؟        | في الصباح | 30      | 100%    |
|   | المجموع                       |           | 30      | 100%    |

يتضح من الجدول أن نسبة 100% من العينة تؤكد على أنهم يتسولون في الأسواق في الفترة الصباحية.

الجدول (23) يوضح الإخوة/الأطفال في المدارس

| م | البيان                          | المتغيرات | التكرار | النسبة% |
|---|---------------------------------|-----------|---------|---------|
|   | هل لديك إخوة / أطفال في المدارس | (أ)نعم    | 8       | 26.6%   |
|   |                                 | (ب)لا     | 22      | 73.3%   |
|   | المجموع                         |           | 30      | 100%    |

يتضح من الجدول أن أعلى نسبة وهي 73.3% ليس لديها أطفال/إخوة في المدارس، وربما يرجع ذلك للفقر، بينما تؤكد نسبة 26.6% على وجود إخوة/أطفال في المدارس.

الجدول (24) يوضح كيفية توفير المصروفات الدراسية

| م | البيان   | المتغيرات           | التكرار | النسبة% |
|---|--|---------------------|---------|---------|
|   | إذا كانت الإجابة بنعم كيف توفر المصروفات الدراسية؟ | (أ)من الخيرين       | 4       | 50%     |
|   |  | (ب)من التسول        | 3       | 37.5%   |
|   |  | (ج)من إدارة المدرسة | 1       | 12.5%   |
|   | المجموع  |                     | 8       | 100     |

يتضح من الجدول أن نسبة 50% - وهي أعلى نسبة - تؤكد على أنها توفر المصروفات الدراسية من الخيرين، ونسبة 37.5% تصرف على التعليم من التسول، بينما نسبة 12.5% تعفيهم إدارة المدرسة من الرسوم.



الجدول (25) يوضح إن كان المتسول يتعالج عند الطبيب

| م | البيان                        | المتغيرات | التكرار | النسبة% |
|---|-------------------------------|-----------|---------|---------|
|   | في حالة المرض هل تذهب للطبيب؟ | (أ) نعم   | 25      | 83.3%   |
|   |                               | (ب) لا    | 5       | 16.7%   |
|   | المجموع                       |           | 30      | 100%    |

يتضح من الجدول أن نسبة 83.3% وهي أعلى نسبة تقوم بزيادة الطبيب عند المرض، بينما نسبة 16.7% لا تتعالج عند الطبيب.

الجدول (26) يوضح كيفية توفير تكاليف العلاج

| م | البيان                                 | المتغيرات      | التكرار | النسبة% |
|---|--|----------------|---------|---------|
|   | في حالة الإجابة بنعم، كيف توفر العلاج؟ | (أ) من الخيرين | 15      | 60%     |
|   |  | (ب) من الأهل   | 5       | 20%     |
|   |  | (ج) من التسول  | 5       | 20%     |
|   | المجموع                                |                | 25      | 100%    |

يتضح من الجدول أن نسبة 60% من العينة توفر تكاليف العلاج من الخيرين، ودلت نسبة 20% على أنهم يعتمدون على الأهل، وذات النسبة توفر تكاليف العلاج من التسول.

الجدول (27) يوضح نوع العلاج في حالة عدم زيارة الطبيب

| م | البيان                            | المتغيرات           | التكرار | النسبة% |
|---|-----------------------------------|---------------------|---------|---------|
|   | إذا كانت الإجابة بلا، كيف تتعالج؟ | (أ) يتعالج بالأعشاب | 5       | 100%    |
|   | المجموع                           |                     | 5       | 100%    |

يتضح من الجدول أن نسبة 100% من الذين لا يقومون بزيارة الطبيب يتعالجون بالأعشاب.

### الجدول (28) يوضح الرغبة في ترك التسول

| م | البيان                        | المتغيرات | التكرار | النسبة% |
|---|-------------------------------|-----------|---------|---------|
|   | هل لديك الرغبة في ترك التسول؟ | (أ) نعم   | 25      | 83.3%   |
|   |                               | (ب) لا    | 5       | 16.7%   |
|   | المجموع                       |           | 30      | 100%    |

يتضح من الجدول أن نسبة 83.3% من المتسولين لديهم الرغبة في ترك التسول، بينما نسبة 16.7% منهم لا يرغبوا في ترك التسول.

### الجدول (29) يوضح الخيارات الممكنة لترك التسول

| م | البيان                | المتغيرات                        | التكرار | النسبة% |
|---|-----------------------|----------------------------------|---------|---------|
|   | إذا كانت الإجابة بنعم | (أ) إذا توفرت لك فرصة عمل مناسبة | 20      | 80%     |
|   |                       | (ب) إذا توفر لك مبلغ من المال    | 5       | 20%     |
|   | المجموع               |                                  | 25      | 100%    |

يتضح من الجدول أن نسبة 80% من الذين لديهم رغبة في ترك التسول سيتركونه إذا توفرت لديهم فرصة عمل مناسب، أما نسبة 20% ستترك التسول إذا توفر لديهم مبلغ من المال.

الجدول (30) يوضح أسباب عدم ترك التسول

| م | البيان                              | المتغيرات                                    | التكرار | النسبة % |
|---|-------------------------------------|--|---------|----------|
|   | إذا كانت بلا، لماذا لا تترك التسول؟ | (أ) لعدم القدرة على العمل                    | 2       | 40%      |
|   |                                     | (ب) لأن هذا العمل ورثناه من ذوينا منذ نشأتنا | 3       | 60%      |
|   | المجموع                             |  | 5       | 100%     |

يتضح من الجدول أن نسبة 40% تؤكد على عدم رغبتهم في ترك التسول لعدم القدرة على العمل، بينما نسبة 60% تؤكد على أنهم لن يتركوا التسول لأنه مهنة توارثوها عبر الأجيال ومرتبطة بأبعاد ثقافية خاصة ببعض الأسر.

#### نتائج الدراسة:-

توصلت الدراسة للنتائج التالية :-

- 1/ نتيجة عامة وهي أن ظاهرة التسول في مدينة كريمة تُعزى للفقير.
- 2/ أكدت نسبة 63.3% من المبحوثين أن ليس لديهم عمل. وهذه النسبة تؤكد صحة تساؤل الدراسة : هل يرجع انتشار ظاهر التسول لأسباب اقتصادية ؟
- 3/ أكدت نسبة 60% من المبحوثين أنهم تركوا العمل بالزراعة لتكلفة إنتاجها العالية.
- 4/ أكدت نسبة 50% من المبحوثين أنهم تركوا العمل بالرعي بسبب نفوق مواشيهم جراء الجفاف والتصحر. وتؤكد هذه النسبة صحة تساؤل الدراسة : هل يرجع انتشار ظاهرة التسول لأسباب طبيعية ؟
- 5/ أكدت نسبة 50% من المبحوثين أنهم تركوا العمل بالرعي بسبب الحرب الأهلية في غرب السودان. وهذه النسبة تؤكد صحة تساؤل الدراسة : هل يرجع انتشار ظاهرة التسول لأسباب سياسية ؟

6/ أكدت نسبة 100% أنهم تركوا العمل الحر لفقدهم رأس المال.  
 7/ أكدت نسبة 60% من المبحوثين أنهم لن يتركوا التسول لأنه مهنة متوارثة في الأسرة عبر الأجيال. تؤكد هذه النسبة صحة تساؤل الدراسة : هل يرجع انتشار ظاهرة التسول لأسباب اجتماعية- ثقافية؟ مما يشير إلى أن التسول يرتبط بأبعاد ثقافية خاصة لدى بعض الأسر، في ظل وجود عادات وتقاليد تعمل في كثير من الأحيان على تدعيم ومساندة هذه الظاهرة.

### التوصيات :-

خرجت الدراسة بالتوصيات التالية :-

1- بما أن الزراعة هي المهنة الرئيسية في الولاية الشمالية حيث توجد مدينة كريمة، عليه يمكن توفير قروض مالية لهذه الشريحة من البنك الزراعي بمحلية مروي، مع توفير مدخلات الإنتاج الزراعي ليتمكن أفرادها من مزاولة الزراعة والخروج من دائرة الفقر.

2- الاستفادة من فرص قروض التمويل الأصغر لإقامة المشاريع الإنتاجية والتجارية.

3- الاستفادة من برامج ومشاريع زيادة الدخل المقدمة من ديوان الزكاة بمحلية مروي.

4- توفير فرص عمل شريف لهذه الشريحة وتأهيلها لتطلع بأعمال مدرة للدخل، والاستفادة من برامج الحد من الفقر التي تقدمها إدارات الرعاية الاجتماعية على المستويين المحلي والولائي.

### قائمة المصادر والمراجع :-

أولاً : القرآن الكريم.

ثانياً : المصادر والمراجع باللغة العربية :-

- إبراهيم مدكور 1975م، معجم العلوم الاجتماعية، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة.
- أحمد زكي بدوي 1982م، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت.
- أحمد شفيق السكري 2000م، قاموس الخدمة الاجتماعية والخدمات الاجتماعية، دار المعرفة الجامعية، القاهرة.

- أديب العجمي وآخرون 1994م، المحيط، المجلد الأول أ - ح، ط2، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت.
- البخاري 1996م، صحيح البخاري، ج3، ط3، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة أحياء كتب السنة، القاهرة.
- حامد عبد السلام زهران 1984م، علم النفس الاجتماعي، عالم الكتب، القاهرة.
- الرازي، محمد بن أبي بكر عبد القادر 1995م، مختار الصحاح، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت.
- زكية عبد القادر خليل 2005م، الخدمة الاجتماعية في مجال رعاية المتسولين المسجونين والمفرج عنهم، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.
- سيد صديق عبد الفتاح 2001م، موسوعة غرائب الشحانة وعجائب الشحاتين، ط1، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة.
- السيد على شتا 2004م، المتسولون وبرامج رعايتهم بالدول النامية، المكتبة المصرية للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة.
- عاطف غيث 1975م، قاموس علم الاجتماع، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
- عبد الباسط عبد المعطي وآخرون 2002م، تقييم فعاليات مواجهة التشريعية والأمنية لظاهرة التسول في المجتمع المصري، المركز القومي للبحوث الاجتماعية الجنائية، قسم بحوث الجريمة، القاهرة.
- عدنان يوسف العتوم 2009م، علم النفس الاجتماعي، ط1، إثراء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
- ماهر أبو المعاطي على 2004م، الخدمة الاجتماعية في مجال الفئات الخاصة، ط1 مكتبة زهراء الشرق، القاهرة.
- ..... 2005م، الخدمة الاجتماعية في مجال الدفاع الاجتماعي، مركز نشر وتوزيع الكتاب الجامعي بجامعة حلوان، القاهرة.

- مجمع اللغة العربية 2000 - 2001م، المعجم الوجيز، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة.
- مدحت محمد أبو النصر وآخرون 2005م، الممارسة العامة للخدمة الاجتماعية في مجال الدفاع الاجتماعي، مركز نشر وتوزيع الكتاب الجامعي بجامعة حلوان، القاهرة.
- مصطفى الخشاب 1965م، علم الاجتماع ومدارسه، المدخل إلى علم الاجتماع، الكتاب الثاني، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة.
- محمد عزمي البكري 1978م، جرائم التشرد والاشتباه في القانون المصري، بدون ناشر، القاهرة.
- محمد على الجمال 1989م، التسول في القانون المصري والقانون المقارن، ج2، نيو أوفست للطباعة، القاهرة.
- ..... 2008م، القوانين الجنائية المكملة لقانون العقوبات، أكاديمية الشرطة، كلية الدراسات العليا، القاهرة.
- المقري، أحمد بن محمد بن علي الفيومي، 2001م: المصباح المنير، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت.
- فردريك معتوق 1993م، معجم العلوم الاجتماعية، ط1، أكاديمية إنترناشونال، بيروت.
- ..... 2005م، الخدمة الاجتماعية في مجال الدفاع الاجتماعي، مركز نشر وتوزيع الكتاب الجامعي، جامعة حلوان، القاهرة.
- ثالثاً : المراجع باللغة الإنجليزية:-
- Barker, Robert 1987, The Social Work Dictionary, New York: N. A. S. W., Press.
- ..... 1999, The Social work Dictionary, 4<sup>th</sup> Ed Washington: N.A.S.W, Press.
- Johnson, A. K. 1995, "Homelessness", in: Richard I. Edwards, (ed.) in Chief, Encyclopedia of Social Work, 19th (Ed) .part (2), Washington Dc: N. A. S. W.

## علاقة الدين بالدولة في مملكة كوش الثانية

د. نعمات عمر عبد الجبار

قسم التاريخ - كلية التربية - جامعة الخرطوم

د. محمد مهدي إدريس

قسم التاريخ - كلية الآداب - جامعة دنقلا

### المقدمة :-

يتناول هذا المقال العلاقة بين الدين والدولة في مملكة كوش الثانية عندما حكم ملوكها السودان (بلاد كوش) ومصر - مكوّنين الأسرة الخامسة والعشرين في تاريخ مصر القديم - وعندما اقتصر حكمهم على بلادهم فقط في الطورين النباتي والمروي، في الفترة الممتدة بين (750 ق.م - 350م)؛ ويأتي ذلك عبر المحاور التالية : عقيدة الملوك الكوشيين وارتباطهم بالآلهة والانتساب إليها، طريقة اختيار الملوك، وكيفية توليهم العرش، بالإضافة إلى التتويج والطقوس الدينية التي صاحبته، والزينة الملكية التي اتسمت بالطابع الديني، والألقاب الملكية التي ارتبطت بالتتويج، إلى جانب الاهتمام بدور العابدة الإلهية ووظيفة الكاهن الأكبر، كما نقف على تشبث الملوك الكوشيين بالمفاهيم الدينية حتى فيما يتعلق بموتهم وبعثهم وحياتهم الأخرى، حيث دفنوا في غرف تحت الأهرام، وفي ذلك أيضاً رمزية دينية.

### الطبيعة الدينية للنظام الملكي في مصر وبلاد كوش :-

كانت الملكية في مصر القديمة وفي بلاد كوش تستند على دعائم نظام الملكية المقدسة، حيث كان الملوك يستمدون سلطتهم وقوتهم من الإله آمون رع مباشرة. وقد مكّنت دراسة العقائد المصرية القديمة العلماء من الخروج برأيين لتفسير طبيعة الملكية في ذلكم البلد، يقول الرأي الأول بقدرسية الملوك، بينما يناهز ثانيهما بالوهيتهم (ارمان د.ت، ص 46). ويعتبر الرأي الأخير هو الأكثر أهمية في نظر الكثير من ذوي الاختصاص، لأن فيه إشارة واضحة إلى أن الملكية في مصر خاصة قد صورت في أدق صورها

الدينية (سليم حسن 1956م، ص 95)، حيث كان الملك مطلق السلطة، وكانت ملكيته مستقرة على صفته الإلهية. ويمثل الملك الصورة الحية للإله في الأرض، لكنه يعيش بين البشر على الأرض. ورغم أن سلطته كانت تطال نظرياً كل شيء إلا أن الواجبات المفروضة عليه كانت تحد من ممارسة الكثير من تلك السلطات. وكان من أوجب واجبات الملك أن يعمل على التقرب إلى المعبودات العديدة ببناء المعابد وإقامة الطقوس وتقديم القرابين لها والاحتفال بأعيادها (نجيب ميخائيل 1959م، ص 58). وتأثر الكوشيون أيما تأثر بتلك الأفكار حتى بعد أن إنعتقت بلادهم من سيطرت الدولة المصرية الحديثة (1580 - 1085 ق.م) بوقت طويل حينما نشأت دولة كوش الثانية قبيل منتصف القرن الثامن قبل الميلاد (Welsby 2002 , pp. 72-80).

#### الانتساب للآلهة :-

لم يكن الملك في مصر القديمة كسائر البشر، وإنما ابناً للآلهة، وبهذا فهو أيضاً إله (إرمان د. ت، ص 46)، لذلك كان من الطبيعي أن يسبغ الملك كوشتو (760 - 747 ق.م) - أول ملك كوشي يحكم أنحاء من مصر - على نفسه الألقاب الفرعونية كما ادعى البنوة لرع، بعد أن استقر به المقام في مصر العليا (لوحة رقم 1) (Kitchen1976,pp.144-358). وقرأ في ذات السياق إعلان بيبي (بعانخي) بن كوشتو (747 - 716 ق.م) في لوحته التي خُلد فيها أحداث فتحه مصر أنه من أصل إلهي مقدس، وأن والديه كانا يعلمان قبل مولده أنه سوف يصبح ملكاً لمصر، ومحبوباً لآلهتها وابناً لرع (لوحة رقم 2) (عبد القادر محمود عبد الله 1424هـ، ص 49- 53؛ Budge1912,p.5;Fitzenreiter2011,pp.261-268). وادعى أنه ابن آمون الذي ولدته موت (Budge1908,p.73)، كما ادعى - في أحد أعمدة المعبد الذي بناه في جبل البركل - أنه ابن باستت، وهي الإلهة الكبرى لمدينة بوسطة في الدلتا (Budge 1907,pp.2-3).



نحنا خلفاء بيبي منحاه في مجارة التقاليد المصرية، جاعلين من أنفسهم أبناءً للآلهة وينعمون بحمايتها، لذا قام خليفته شباكو (716 - 702 ق.م) بإجراء بعض الإصلاحات في البوابة الرابعة بالكرنك، وورد في النقش الذي خلفه الآتي: (إن الملك شباكو قام بذلك العمل إثر إثره لوالده آمون رع رب طيبة، المشرف على الكرنك) (Budge 1908, p.75). وفي ذات السياق نجد أن الملك تهارقو (690 - 664 ق.م) ترك أثراً حول كورنيش المحراب في المعبد (T) في جم با أتن (كوة) ينسب فيه نفسه للإله آمون وزوجته موت، حيث يقول: (إن آمون صاحب جم با أتن أنجبني، والتي ولدتني موت سيدة السماء، وأن والدي آمون رع سيد عروش الأرضين قد اختارني من بين ملايين الرجال) (Macadam 1949; 1955؛ سليم حسن 1956م، ص 166). ومع أن الانتساب لرع كان من خاصية الملوك وتفرّدوا به كما هو الحال في مصر، إلا أن أم الملك أسبلتا (593 - 568 ق.م) قد وُصفت بذلك في لوح الانتخاب الذي خلفه ابنها الملك، حيث ذُكرت بأنها "سيدة كوش، ابنة رع ... ناسلسا"، وهذه هي المرة الأولى التي تُنسب فيها أم الملك إلى آمون رع، وهذا الفعل كان نادر الحدوث بدرجة كبيرة أيضاً عند الفراعنة، ولا نعرف له أكثر من مثال واحد هو الملكة حتشبسوت (1490 - 1468 ق.م). وربما كان ذلك بداية لتبلور أهمية المرأة ودورها المتزايد في تصريف شؤون الحكم في كوش حتى غدت في العصور المتأخرة صاحبة السلطة الفعلية في الدولة، عندما حكمت الملكات (الكنـداكات) مـروـي (Reisner 1922, pp.173-196؛ عبد الماجد يوسف أبو سيبب 1971م، ص 48).

هكذا فقد حذا ملوك كوش اللاحقين حذو بيبي في الانتساب إلى الآلهة وإدعاء البنوة لها، فالملك كان يعتبر نفسه ابناً بالتبني لمختلف الآلهة المصرية، مع محافظتهم على بعض تقاليدهم وعاداتهم التي ميزتهم عن المصريين. وقد استفاد هؤلاء الملوك من

مفهوم الملكية المقدسة الناجم عن الاعتقاد بأن الأسرة المالكة منحدره من صلب الآلهة، وسعوا لتأكيد حقهم في الحكم عن طريق الانتساب إلى الآلهة انطلاقاً من أن اختيارهم ملوكاً تم باختيارها. وتحقق بسبب تمسكهم بهذه الأفكار الاستقرار الذي نعمت به تلك البلاد لعدة قرون.

### ارتباط الملوك الكوشيين بالدين:

لا يتوفر لدينا الآن مصدر مكتوب عن ملوك مملكة كوش الأولى (كرمة)، وكيف كانوا يحكمون دولتهم. ويعتبر أارا (785 - 760 ق. م) أول زعيم = wr chief) معروف من الأسرة الكوشية التي حكمت من نبتة - ورغم أنه لم يترك نقشاً مكتوباً سوى لوحة صغيرة عثر عليها في كوة، محفوظة في ( Ny Carlsberg Glyptotek) بكوبنهاجن، احتوت على اسمه متبوعاً بعبارة " محبوب آمون " (Kendall 1997, p. 163) - إلا أن ذكره ورد في نقوش بعض ملوك كوش مثل تهارقو وأماني نتي يركي (431 - 405 ق. م) ونستاسن (335 - 315 ق. م)، ونقش الملكة تاييري ابنة أارا وزوجة الملك بيبي. وقد وصفه تهارقو بأنه كان من المعتقدين بعبادة الإله آمون، وأنه وهب أخواته - وهن جدات تهارقو - لخدمة الإله آمون، ودعا لهن الإله أن يبارك ذريتهن، ويجعل الملك في تلك الذرية (Eide T., Hagg T., Pierce R. H. & Torok L. 1994, pp. 41-42-141)

الواقع أن النظرة في الوضع السياسي والاقتصادي والحضاري بدولة نبتة أثناء فترة التأسيس لا يمكن أن تكتمل إلا في إطار النظر للتمازج الثقافي والحضاري الذي كانت تمثله بلاد كوش بحكم موقعها الجغرافي، أكثر من كونه نقلاً عن الحضارة المصرية؛ فما كانت تمثله مصر من تفوق حضاري واجتماعي في ذلك الوقت كان مثلاً أسروجدان الحكام الكوشيين ذوي الطموح النامي؛ حتى أننا نلاحظ في الفترة النبتية عدم وجود تصور مستقل للحكم عند الكوشيين عن نظام الحكم عند المصريين، إلا أن هناك بعض المظاهر التي تسترعي الانتباه بما تمثله من اختلافات أساسية داخل الإطار العام الذي قبلوه من الحضارة المصرية في مسألة الحكم، مثل بعض الاختلافات

المتعلقة باختيار الملوك، وبعض طقوس التتويج كدعوة الأم الملكية لمشاهدة ابنها متوجاً على العرش، وزيارة الملوك للمعابد المختلفة في محور نبته وتقديم القرابين للآلهة (عبد الماجد يوسف أبو سبيب 1971م، ص ص46- 47).

توحي قرائن الأحوال منذ وقت مبكر بأن الكوشيين كانوا على علم وإدراك وفهم بالأفكار والمعتقدات الدينية المصرية، ويعود ذلك للصلات الوثيقة بين شطري الوادي، التي توجهتها المملكة المصرية الحديثة ببسط وجود مكثف لها في كل المجالات عندما سعى ملوكها لتمصير بلاد كوش، واعتبروها جزءاً من مصر. واستمر التأثير المصري في كوش إلى ما بعد انقطاع الصلة السياسية بين البلدين - أي خلال فترة الاضمحلال الثالثة في مصر. وعندما نشأت مملكة نبته في منتصف القرن الثامن قبل الميلاد، نشأت كدولة دينية يدين ملوكها بعقيدة الإله آمون؛ علاوة على ذلك فقد اكتسبت نبته أهمية دينية من وجود جبل البركل بها، وهذا الجبل كثيراً ما أشارت له النقوش المصرية باسم (جو وعب) أي الجبل الطاهر (Griffith 1922, p.78). من ناحية أخرى فإن كهنة آمون في معبده بجبل البركل ازدادت قوتهم في الوقت الذي كانت فيه مصر تعاني من الضعف السياسي في الفترة التي تلت عهد رعمسيس التاسع (حوالي 1120 ق.م)، فبدأوا في الثورة ضد الفراعنة (دريوتون وفاندييه د. ت، ص 400).

عندما تحرك ملوك نبته شمالاً لفتح مصر كانوا على فهم - كما ذكرنا - بالمعتقدات الدينية المصرية وما يتصل بها، وعند ما تسنى لهم الأمر بدءوا في تطبيق الطقوس والمفاهيم الدينية المصرية بيقين تام، وسعوا لتأكيد حقهم في الملك عن طريق الانتساب للآلهة والإدعاء بأن اختيارهم ملوكاً كان بفضلها، فاتخذوا الألقاب الفرعونية المختلفة حتى يكسبوا دولتهم - في كوش ومصر على حد سواء - القدسية المطلوبة. عُرف ملوك نبته عندما فتحوا مصر وحكموها بالأسرة الخامسة والعشرين، وتبنوا الأفكار والنظم

والعقائد الدينية المصرية، لكنهم لم يكونوا في ذلك مجرد مقلدين، إنما كانوا - حسب اعتقادهم - ورثة حقيقيين لذلك الفكر الديني الذي تمت جذوره بصورة أو بأخرى لبلادهم وآلهتهم (شحاته آدم وفركوتير 1985م، ص34).

يؤكد ما سبق ذكره حماس ملوك تلك الأسرة للآلهة التي عبدها المصريون، خاصة الإله آمون (ولا نود هنا الخوض في مسألة الأصل المحلي للإله آمون والذي ربما كان السبب الرئيس في الحماس لعبادته في كوش). وقد بات في حكم المؤكد أن الزعيم ألارا - السلف الذي يفخر ملوك كوش بالانتماء إليه - هو من مهد الطريق لعودة الحيوية إلى عبادة آمون في بلاد كوش عقب نهاية الدولة الحديثة (Kendall 1997, p. 163). وتشير القرائن إلى أن الملك كوشتو - خليفة ألارا - لم يذهب إلى مصر غازياً، وإنما ذهب إليها من أجل الإله آمون وحماية عقيدته، لذلك كان من الطبيعي أن يجد الإكرام والاحتفاء من كهنة آمون في طيبة، بمثل ما وجد ذلك من كهنته في نبتة (Adams 1977, pp. 260-261).

وربما يُعزى تبوؤ كوشتو العرش لمساعدة كهنة آمون في نبتة. فقد اهتم هؤلاء الكهنة بتحقيق سلطة الإله آمون الذي يعتبر الملك ممثله الحقيقي في الأرض، وساعد في ترسيخ تلك المفاهيم ذلك الدور الذي كان يقوم به الإله آمون في اختيار الملك عن طريق توسط الكهنة لدى الإله آمون (Budge 1912, pp. 89-97). ومما تجدر الإشارة إليه أن رئيس كهنة آمون أصبح حاكماً على كوش منذ أواخر الأسرة العشرين وأثناء عصر الأسرة الحادية والعشرين (نبيلة محمد عبد الحليم د. ت، ص ص 133 - 134).

تؤكد الرؤية الواضحة والعبارات الضافية التي وردت في اللوحة التي سجل فيها بيئي وقائع حملته على مصر أن تلك الحملة لم تكن مجرد فعل لغازٍ، بقدر ما كانت حملة المنقذ للعقيدة الأمونية، الذي خرج بأمر الإله آمون

لتخليص مصر من الأيدي الآثمة، والمدافع عن العقيدة المصرية ضد الليبيين الأجانب الذين لم يحترموها أو يولوها الرعاية التي تليق بها. هكذا حاول الملوك الكوشيون إضفاء شرعية على احتلالهم مصر بزعمهم أنهم ينفذون رغبة أو أوامر الإله آمون بعد استشارته (Kees 1961, p.337)، فقد كان الملك يستشير الإله آمون في اتخاذ أي قرار؛ وهذا تقليد درج عليه المصريون على اختلاف طبقاتهم، فعندما كانوا يريدون القيام بأي عمل كانوا يستشيرون الآلهة، حيث كان الإله يصور في شكل تمثال، يُتلى أمامه ما يُراد الحصول عليه (Maspero 1909, p.144). ولم يكن بمقدور الملوك فعل شيء بدون معرفة الإله آمون ونيل مباركته، ويؤكد ذلك قول الملك بيبي: "وليس هنالك قوة أو قدرة بدونه، فهو الذي يجعل الضعيف قوياً" (لوحه رقم 2) (Pye Stela:line:13).

كان بيبي يعتبر نفسه الممثل الحقيقي للعقيدة المصرية الصحيحة، بينما اعتبر المصريين أنجاساً مرتدين (Budge 1912, p.72). وتكشف المخلفات الأثرية لذلك الملك عن مدى تمسكه بالعقيدة الآمونية، وحرصه على تطبيقها، الأمر الذي تجاوز التزامه بها إلى حث جنوده على ذلك، ليس في حياتهم اليومية فحسب، بل في أشد المواقف حرجاً في ساحة المعركة (Budge 1912, pp.261-263). وعندما رجع بيبي إلى نبتة منتصراً بعد أن فتح مصر، خص كهنة آمون في جبل البركل وإلههم بنسبة كبيرة من الغنائم، راداً الجميل (Budge 1907, p.9).

كان حماس الكوشيين للإله آمون طاغياً، وقد سجلوا ولاءهم له فيما سطروه من نقوش وما بنوه من معابد وما أقاموه من نصب، وفي ربط مصير ملكيتهم بإرادته (عمر حاج الزاكي 1983م (أ)، 9). وقد أظهر الملك بيبي في نقوشه من التقوى والصلاح والإيمان ما جعله يعتمد في كل أعماله وأفعاله على معبوده، ففي طريقه من نبتة حتى أطراف الدلتا، زار المعابد التي

صادفته، وأعطى كل إله عناية خاصة، وقدم له القرابين. ومن اللافت للنظر أن بيبي عندما حط رحاله في منف وزار معبد الإله بتاح، قام بشعائر تتويج نفسه هنالك، على الرغم من أن ميول هذا الملك كانت موجهة للإله آمون (سليم حسن 1956م، ص 79). مؤكداً بذلك مدى تقديره للآلهة المصرية، وفي نفس الوقت يبدو أنه كان حريصاً على أن لا يكرر خطأ الليبيين فيشير غضب الشعب المصري.

رغم أن أساتذة كباراً في حقل الدراسات السودانية القديمة/النوبية مثل آدمز وأسامة عبد الرحمن النور يرون أنه من الخطل التعويل فقط على نزعة كوشتو وبيبي الدينية واختزال دوافعهما لفتح مصر في رغبتهما لإرضاء آمون فقط، منوهين بالدافع الاقتصادي ورغبة الكوشيين في استعادة دور بلادهم الطبيعي في الاقتصاد العالمي الذي فقدته مع نهاية المملكة المصرية الحديثة، كدافع أصيل للفتح (آدمز 2005م: ص ص 250 - 252؛ أسامة عبد الرحمن النور 2006م، ص ص 337 - 350؛ Peake 2010, pp. 465-476)؛ وبالرغم من وجهة هذا الرأي إلا أن مقاربتنا لهذا الموضوع تعتمد لحد كبير على لوحة النصر لبيبي وغيرها من وثائق ملوك كوش ذات الصبغة الدينية، باعتبارها أهم دليل مادي، يفيد الغوص في ثناياها وتحليل طابعها الديني في التعرف على أكثر العناصر فاعلية في تشكيل أيديولوجيا تلك السلطة التي استمرت لحوالي ألف سنة، متخذة ذات الوسائل والمسوغات لتماسك الدولة.

سار خلفاء الملك بيبي في طريقه بقدر ما سمحت لهم به الأحوال الدولية المحيطة بهم، والدليل على ذلك ما تركه الملك شباكو من آثار عظيمة تدل على ميله لإحياء ما كان لمصر من مجد عريق في مجال الدين والفلسفة، وخير شاهد على ذلك ما قام به عندما أمر بإعادة كتابة مخطوطة الإله بتاح، أو ما عرف باسم وثيقة لاهوت ممفيس (the Memphis Theology)، وهي قد

أخذت من بردية قديمة أكلتها الأرضة (النمل الأبيض) (Termites). وقد حُطَّ أصل تلك الوثيقة في عصر الإتحاد الثاني لمصر (سليم حسن 1956م، ص 98-99). تعامل شباكو مع ذلك النص تعامل الوارث الحقيقي، وليس تعامل الأجنبي. وهكذا جاءت عبارة جلالته لتؤكد هذه المعاني: "إن جلالته نقل هذا المخطوط من جديد في بيت والده بتاح كعمل خلفه (الأجداد)، حتى أصبح أكثر جمالاً مما كان عليه من قبل" (برستد 1992م، ص 48-49). ولعل كلمة (الأجداد) تلك تشير إلى أن الملك شباكو لم يعتبر نفسه أجنبياً، فهو يريد أن يؤكد أنه والمصريين من جنس واحد، وربما تشير في نفس الوقت إلى أن الدولة التي هو على رأسها معنية أيضاً بكل ما له صلة بالآلهة ومعابدها ومتعلقاتها.

تؤكد نشاطات تهارقو العمرانية أنه كان أيضاً يتفانى في إرضاء الآلهة، حيث شيد لها العديد من المعابد في كل من الكرنك وقصر ابريم وتبو وسمنة غرب وبوهين وكوة وصنم أبو دوم، فضلاً عن قيامه بصيانة وترميم العديد من المعابد وتوسعة حرم آمون العظيم في نبتة (B.500). وجعل من المعبد الذي شيده لآمون في كوة (T) أحد أهم المعابد الآمونية في بلاد كوش قاطبة، حيث أودع فيه ألواح (Macadam 1949; 1955). مما سبق يمكن القول بأن الملوك الكوشيين أفلحوا في إقامة الدولة الدينية التي لم يتمكن كهنة آمون من إقامتها في طيبة إلا لأمد قصير (ارمان د. ت، ص 393). ومارس كهنة آمون في نبتة نفوذاً عظيماً على الأقل حتى زمن الملك المروي أركماني الأول (275-250 ق.م).

تؤكد العديد من النقوش النباتية على نفوذ الكهنة الكبير في طور المملكة النبتية، حتى أن الملوك أنفسهم كانوا ينفذون أمر الكهنة لهم بالانتحار، إذا ما رأوا أن ملكاً قد حاد عن الالتزام بالقانون العرفي الذي يسهر

الكهنة على رعايته. وظل هذا القتل الطقسي متبعاً حتى عهد أركماني الأول الذي انقلب على الكهنة عندما أمروه بالانتحار، فقام بقتلهم وكسر شوكتهم وحداً من تسلطهم المطلق. ولم تقتصر ردة فعله على ذلك فقام بتحويل العاصمة إلى مروي، ورافق ذلك تحويل مكان دفن الملوك من جبانة نوري إلى جبانة البجراوية الجنوبية (Kendall 1997, p. 209ff). إن الصراع بين ملوك كوش وكهنة آمون ظهر من قبل في بعض العهود أثناء الطور النبتي، لكنه لم يتواتر بحيث يرق لمرتبة الظاهرة؛ فقد حوت السجلات الأثرية ممثلة في نقش أسبلتا المعروف بـ"نقش عقاب الكهنة" أو "لوح الإقصاء" ما يؤكد وقوع صراع دموي بين ذلك الملك وكهنة معبد آمون في جبل البركل، جرأً تأمرهم لقتله، فما أن اكتشف تلك المؤامرة إلا وأمر بقتل المتآمرين جميعاً حتى يعتبر الآخرون، وبذلك أبقى الكهنة تحت رقابته وسيطرته الكاملة (سامية بشير دفع الله 2005م، ص ص 99 - 100؛ أسامة عبد الرحمن النور 2006م، ص 382).

رغم الخلافات التي حدثت بين أسبلتا، وأركماني الأول - فيما بعد - من جهة والكهنة من جهة أخرى، ظل ملوك كوش حتى الفترة المتأخرة من عمر دولتهم يظهر على الأقل التبجيل والاحترام لآمون وكهنته، فكرمهم بشتى الطرق من خلال الهبات وبناء المعابد لآمون (Hakem 1971, p. 318). وإذا وضعنا في الحسبان ما طرأ على الثقافة الكوشية من نزوع نحو المحلية أدى إلى كتابة اللغة المروية - وهي لم تفك طلاسماً بعد - يمكن القول بعدم حدوث تغيير جوهري على الفكر الديني والممارسات المرتبطة به في الحقبة المروية، لذلك لم تخفت مظاهر تدين ملوك مروي الذين استلهموا تجربة أسلافهم النبتيين، فظلوا عاكفين على عبادة الآلهة وبناء معابدها وتزيينها بذات المواضيع والمفاهيم المجسدة، مع تغيير الشخوص الملكية وظهور أبيدماك إلهاً رئيساً. كل ذلك إرضاءً للآلهة كي



تسبغ الأمن والطمأنينة والاستقرار على البلاد. وظل آمون في هذه الحقبة يشكل أحد أضلاع منظومة الآلهة (pantheon)، فبُنيت له المعابد في مواقع عديدة على ضفة النيل اليمنى من الضانقيل شمالاً مروراً بمروي والحماداب والحصى وديم القراري ومويس وودبانقا جنوباً، بالإضافة إلى المعابد التي شيّدت لعبادته في مراكز البطانة، لذا لم تتأثر عبادته كثيراً رغم المكانة الرفيعة التي تبوأها الإله المحلي أبيدماك الذي غدا حامي مُلك الكوشيين (بحسبانه إله الخلق والحرب عندهم)، ومصدر إلهامهم في الحفاظ على الدولة وتطوير الفنون - خاصة في زخرفة معابده. احتفى الكوشيون و قدسوا أيضاً في هذه الفترة آلهة أخرى بعضها مصري مثل ايزيس وحورس، والآخر محلي مثل سيويمكر وأرنسنوفس وأميسمي. وأنشئوا لأبيدماك ولتلك المعبودات الأخرى معابد ومراكز (مدن) دينية في إقليم البطانة، لم تكن معروفة في الطور النبتي، مثل النقعة والمصورات الصفراء وأم أسودة، ما يؤكد أن وتيرة تدين الملوك المرويين كانت أيضاً عالية، ولم يختلفوا عن أسلافهم النبتيين في ما يتصل بالتكريس لقدسيتها ذاتهم وملكهم (Zabker 1975, pp. 13-300; Priese 1997, pp. 265-300). ويظهر ذلك بوضوح في تصاوير معابد النقعة التي شيدها نتكمانى (1 - 20م) وأمانى خاركرىما (190 - 200م) وقبلهما شنكدختو (170 - 150 ق.م) (Wildung and Kroeper 2006, pp. 9-16).

#### دور المفاهيم الدينية في اختيار وتتويج الملوك الكوشيين :-

يعتبر حفل التتويج أمراً في غاية الأهمية بالنسبة للملوك، فالشخص عند المصريين لا يصبح ملكاً إلا بعد تنصيبه في ذلك الحفل. أما عن التتويج في بلاد كوش، فإن معرفتنا به تدعو للأسف جراء عدم وجود سجل يتحدث عن مراسم تتويج الملك كوشتو وجل خلفائه، لكن ذلك لا يعني في رأينا عدم القيام بتتويج الملك كوشتو، وما يتبعه من شعائر وطقوس. هذا وقد عثر

الآثار يون على جزء صغير من لوح للملك كوستو في الفنتين (موجود في المتحف المصري في القاهرة، بالرقم J.E.41013)، نقشت في هذا الجزء ألقاب الملك كوستو التي كان من بينها اللقب ني سوت بيت (Reisner 1919, p.248)، أي ملك الجنوب والشمال، ولكن نسبة لعدم وجود مصدر آخر يتحدث عن تتويج هذا الملك يصبح من الصعوبة تحديد كيفية ومكان تتويجه.

لا يُعرف شيء أيضاً عن فترة حكم الملك بيبي الأولى بما فيها كيفية تتويجه، فلوحته الشهيرة - وهي أوفى نص له - كتبت في العام الحادي والعشرين من حكمه (Breasted 1962, Vol. IV, pp. 796-883)، لم يرد فيها شيء عن تتويجه ملكاً. لكن لا بد أن نذكر أن لوحته التي وجدت في معبد آمون بجبل البركل، والتي يرى بعض المختصين أنها ربما كتبت في السنة الثامنة من عهده، ورد فيها لقب "الهوري" ضمن ألقابه وبعض صفاته مثل: (الثور القوي الذي توج في نبتة) (Reisner 1931, pp. 89-10)، وفي وثائق أخرى يلاحظ أن إسم حورس تغير إلى (الثور القوي الذي توج في طيبة)؛ فبيبي إذاً توج في نبتة أو في طيبة، حسب ما ورد في هذه الوثائق، ولكن نرجح أن يكون قد توج في نبتة حيث الجبل الطاهر - مكان تتويج معظم الملوك اللاحقين من سلالته. وبرغم ما قيل تبقى كيفية التتويج غير معروفة لنا. ويتأكد أمر تتويجه ملكاً، فيما ذكره جلالته من أنه عندما حط الرحال في ممفيس زار معبد الإله بتاح، وهناك عومل كالمملوك تماماً (Breasted 1962, para., 886)؛ عليه فإن الكيفية والمكان الذي توج فيه ملكاً يصبحان قيد الافتراض، في ظل غياب الدليل القاطع على ذلك.

لم تمدنا النقوش كذلك بمعلومات عن تتويج الملك شباكو، لكننا نجد ذكراً لتتويج خليفته الملك شبتكو (702-690 ق.م) الذي تم في بيت الإله آمون في الكرنك. فقد ورد في نقش على مقياس النيل بالكرنك أن شبتكو توج

ملكاً في بيت الإله آمون، وعندما تولى الملك في ذلك المعبد منحه الإله البهاء في ظهوره باعتباره محبوب الإلهتين مثل (حورس) على عرش (رع) ومنحه الفيضان والده العظيم (حع بي) إله النيل (Breasted 1962, para.,887).

بدأت مراسم التتويج تظهر بصورة واضحة وأوليت اهتماماً بالغاً في عهد الملك تهارقو، الذي يُعتبر أول ملك كوشي تحدث عن تتويجه صراحة. ويبدو أن تهارقو كان عازماً منذ البداية على أن يجعل تتويجه حسب التقاليد المصرية، فأعد لهذا الأمر عدته، وبتوليهِ العرش بدأ في الحال التصرف مثل ملوك مصر العظماء (Budge1902, pp.144-145).

يؤكد أهمية هذا الحدث - أي التتويج - أنه سُجل في اللوح رقم ستة، وهو اللوح الذي تحدث فيه تهارقو عن الأسباب التي أدت إلى اعتلائه العرش بعد أخيه شبتكو، كما تحدث عن العرش وعن وراثته، وحكا كيف أن الجد أارا أراد أن يستمر الملك في نسل أخواته، فطلب من الإله آمون أن يستمع إلى ندائه وأن يلبي دعواته، فاستجاب له الإله، وتولى تهارقو العرش (Macadam1949,pp.32-36). تم تتويج تهارقو - وفقاً لما ورد في لوح تانيس - في مصر السفلى وليس في كوش (Breasted1962,para.892). ربما كان هذا من أقوى الأسباب التي حملت تهارقو على أن يجعل تتويجه وفق التقاليد المصرية، لاسيماً أنه قضى في مصر فترة قبل أن يتوفى شبتكو ويؤول إليه العرش.

أشار تهارقو إلى ذلك الحدث في اللوح رقم خمسة أيضاً حين قال إنه تسلم التاج في ممفيس بعد أن طار الصقر إلى السماء، أي بعد موت أخيه شبتكو. وأن أيبه الإله آمون أمره أن يضع كل البلاد الأجنبية تحت قدميه (Macadam1949,p.28). وقد شبه الملك تهارقو نفسه في لوح تانيس بالإله حورس، وذكر أنه اعتلى عرش حورس، وأنه أرسل إلى والدته "آبار" في نبتة طالباً منها المجيء إلى مصر لتراه متوجاً على عرش حورس

(Reisner1919,p.52)، و ذكر مجيء أمه وسعادتها عندما رآته متوجاً. وقد وضع على رأسه تاج رع المزدوج والصلين. وصور فرحتها بفرحة الإلهة إيزيس عندما رأت ابنها حورس متوجاً على عرش أبيه أوزيريس (Macadam1949,pp.22-23). أعلن تهارقو بعد هذا الاحتفال نفسه ابناً للإلهة إيزيس (Budge1902,p.144). ومما سبق نخلص إلى حقيقة مفادها أن الارتباط بين الملك والآلهة لا مجال للخلاف حوله.

تعتبر لوحه الملك تانوت أماني (664 - 653 ق.م) - وهو خليفة تهارقو - المصدر الرئيس الذي يحدثنا عن تتويجه، فقد ذكر فيها أنه رأى في المنام شعبانين أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره، فاستعان بالكهنة لتفسير رؤياه، فكان تفسيرهم للرؤيا بأنه سوف يصبح ملكاً على مصر، لأن الشعبانين يشيران إلى السيادة على الشمال والجنوب، وهما رمزين للإلهة نخت والإلهة واجت، اللتان تمثلان الشمال والجنوب (Budge1912,pp.84-85) وقد ذكر تانوت أماني أنه بعد تتويجه ملكاً على عرش حورس غادر المكان الذي كان فيه كما غادر حورس خميس (Khemmis)، وعندما وصل إلى نبتة دخل معبد الإله آمون في الجبل المقدس حيث اعترف به الإله آمون ملكاً، فأقام هناك حفلاً كبيراً على شرف الإله الذي أخرج الكهنة تمثالاً من المحراب وحملوه في موكب مهيب (Breasted1962:Vol.1V.para.924).

غادر تانوت أماني بعد ذلك نبتة وتوجه شمالاً حيث توقف في أسوان وعبر النهر حيث زار معبد الإله خنوم رع في جزيرة الفنتين، وهناك أقام احتفالاً لآلهة الشلال، ومنها توجه إلى طيبة ودخل معبد الإله آمون رع وقدم له الهدايا، وأقام احتفالاً ضخماً له، ثم ترك طيبة واتجه شمالاً إلى ممفيس فزار معبد الإله بتاح، وأيضاً أقام الاحتفالات لآلهة ممفيس متمثلة في بتاح سكر والإلهة سخمت (Budge1912, p. 86).

استمر الملوك الكوشيون في الاهتمام باحتفالات التتويج حتى بعد هزيمتهم على يد الآشوريين وطردهم من مصر، كما استمرت بعض الطقوس المصاحبة له مثل دعوة الأم الملكية لحضور الاحتفال بتتويج ابنها ملكاً، فقد ذكر أنلماني (623 - 593 ق.م) في اللوحة رقم ثمانية، أنه أرسل في طلب والدته (ناسلسا)، وعندما جاءت إلى كوة وجدته متوجاً مثل حورس، فكانت سعادتها بذلك مثل سعادة إيزيس عندما رأت ابنها متوجاً على عرش أبيه (Macadam1949,Insc.8,p.4) ، كما روى أماني نتي يركي في نقشه على جدران معبد (T) بكوة سعادة أمه برؤيته متوجاً في جم با اتن ملكاً على عرش حورس مثل رع (Macadam1949,Insc.9,pp.50-67,Pls.17-26). ونتفق مع الزاكي في أن الحرص على تصوير السيدات الكوشيات في مشاهد اللوحات الملكية قصد به تأكيد شرعية الاختيار المستمدة من مباركة حفيدات أخوات الجد ألارا (عمر حاج الزاكي 1983م ، ص118).

مع قلة ما سجله الملوك الكوشيون من طقوس التتويج إلا أن الصبغة الدينية التي أحاطوا بها مراسم التتويج والإهتمام البالغ الذي أولوه له يجعل التتويج الملكي الكوشي مشابهاً للتتويج الملكي المصري، فالفراعنة اعتنوا بالتتويج وجعلوا له صفة دينية مما يزيد وقعاً وإحتراماً في النفوس، كما جعلوه مناسبة يؤرخون بها الأحداث المهمة.

كان تتويج الملوك النبتيين المتأخرين يتم في نبتة حيث الجبل المقدس، ويبدو ذلك واضحاً من لوحات الملوك مثل أسبلتا وحرسبيوتف (404 - 369 ق.م) ونستاسن، الذين ذكروا أنهم تسلموا التيجان في حجرة المحراب داخل معبد جبل البركل الكبير (B.500) (Reisner1919,p.60)، مما يؤكد أن منطقة نبتة ظلت محتفظة بقدسياتها الدينية رغم انتقال الثقل السياسي إلى مروى، حتى وإن تم اختيار الملك في مروى فلا بد من إكمال بقية الإجراءات في نبتة. ونتفق مع الأستاذ الزاكي في أن تقاليد المرويين قد اقتضت الاحتفاظ

بتيجان الأسلاف في ذلك المعبد، وأن مراسم التتويج كانت لا تكتمل إلا بعد وضع هذه التيجان على رؤوسهم (عمر حاج الزاكي 1983م (أ)، 27)، والدليل على ذلك أن الملك أسبلتا أشار إلى تيجان وصولجانا الملوك السابقين له (Budge 1912, p.107)، وأن الملك نستاسن ذكر أنه تسلم تاج سلفه الملك حرسيوثف بعد أن انتقل إلى نبتة بعد اختياره ملكاً (Budge 1912, p.125).

كانت معابد أخرى مثل معبدي جم با أتن وبنوبس تقام فيها احتفالات تتويج مشابهة للإحتفالات التي كانت تقام في معبد جبل البركل (Reisner 1919, p.60). إن الطواف على المعابد الرئيسية الذي كان يقوم به الملوك الكوشيون، لم توجد أدلة في النقوش المصرية على إقامة شعائر مماثلة له في مصر، وإن وجد شيء من ذلك في مضمون بردية سنوسرت الثالث (1879 - 1841 ق.م)، وفي بعض المشاهد في معبد حتشبسوت في الدير البحري ما يدل على أن كلاً منهما قام بطواف قبل توليه العرش (عمر حاج الزاكي 1983م، ص 113)، لكن طواف كليهما كان يختلف كثيراً عن الطواف الذي كان يقوم به الملوك الكوشيون (Leclant 1965, p. 27).

ارتبط طقس آخر بزيارة الملوك لمعابد آمون الرئيسية بالمحور الشمالي من الدولة لأداء مراسم التتويج، تجلى ذلك في حرص بعضهم مثل أماني نتي يركي ونستاسن على الاختلاء لعدة أيام بتمثال آمون ممارسين التضرع والتبتل والدعاء، وقد فعل الأول ذلك في كوة، بينما أدى نستاسن الطقس في معبد البركل (Macadam 1949, Inscr. IX, 70; Nast., pp.30-31).

تتبعه الملوك الكوشيون الأوائل إلى أن توطيد حكمهم ونظامهم السياسي وترسيخ مكانتهم في أذهان عامة الناس يقتضي منهم الظهور على أنهم آلهة أو أبناء آلهة، بل أنهم أيضاً رأوا ضرورة إعلان أن اختيارهم كان بواسطة الآلهة، وعلى ذلك فملكيتهم مقدسة، وأنهم يستمدون سلطاتهم من

الإله آمون مباشرة. وتشير إلى ذلك مراسم التتويج التي كانت تتم في معبد الإله آمون الكبير في جبل البركل (B.500). وتعزيزاً لذلك كان الملك يقوم بزيارة عدد من المعابد الأمونية الأخرى كمعبدي آمون في جم با أتن وبنوبس (وهي دكي قيل وليست أرقو أو تبو، وفقاً لبونيه<sup>1</sup>) وغيرهما من المعابد (Reisner 1922,p.60)، كما أشرنا سابقاً.

ابتدع الملوك الكوشيون المتأخرون نظاماً للتتويج خاصاً بهم، حتى يكملوا القداسة لملكهم بجعل طابعه دينياً، انطلاقاً من طبيعة الحكم الإلهي، فسلطة الملك تتقل بإرادة الإله، لذا صارت طريقة اختيار الملك الجديد من الملامح التي تميز بها النظام السياسي المروي. وقد عبر الكتاب اليونانيون والرومان منذ أيام هيروودوت في القرن الخامس قبل الميلاد وديودور الصقلي في القرن الأول قبل الميلاد عن تعجبهم من هذه الطريقة التي كانت تختلف عما هو متبع في الممالك القديمة المعروفة لديهم (أحمد محمد على الحاكم 1985م، ص304). وصف ديودور الصقلي - الذي زار مصر في سنة 59 ق.م - كيف أن مجموعة من المرشحين للملك في كوش تُختار بواسطة الكهنة، ثم تعرض على الإله ليختار أحدهم ملكاً، وكيف كان الملك يُعتبر الإله نفسه لدى الشعب بحكم أنه ابن الإله ومفوضه ويحكم وفقاً للقانون العرفي الذي لا يُسمح له بالحياد عنه. ورد ذلك في قوله: إن الكوشيين " كانت لهم عادات كثيرة مختلفة عن عادات بقية الشعوب، خاصة عاداتهم المتعلقة بانتخاب الملك. تبدأ العملية أولاً بانتخاب الكهنة لأحق المرشحين من بين الأمراء لمنصب الملك، وهو الذي يمسّه تمثال الإله الذي يحمله الكهنة ويمرون به بين صفي الأمراء المرشحين للمنصب، وبذا يصبح المصطفى ملكاً عليهم،

\* إقال بذلك عالم الآثار الكبير شارلس بونيه الذي يقود فريق التنقيب في دكي قيل، عندما وجه إليه محمد مهدي إدريس سؤالاً عن موقع بنوبس، وورد ذلك على هامش الزيارة التي قام بها قسم التاريخ بمعينة الطلاب الدارسين بالقسم لذلك الموقع أثناء موسم الحفريات في نوفمبر 2011م.

ويخضعون له خضوعاً تاماً مادامت السلطة قد منحت له من قبل الإله " (Diodorus 1949 vol. 111, p.55). ولا شك أن هذه المنحة كانت ذات طابع رمزي، قصد منه إيهام العامة بأن الإله آمون قد اختار الحاكم الجديد (أحمد محمد على الحاكم 1985م، ص304).

كان من الطبيعي أن تؤثر كيفية الإختيار السابقة على ولاء وخضوع العامة للملك، لذلك فإن ردة فعلهم تجاه الملك الجديد لا محالة هي الخضوع والطاعة بلا حدود، لأن سلطته عليهم كانت من جهة الإله آمون، وهي منحة إلهية ينبغي تقديرها وعدم مناهضتها. ولا ريب أن الطقوس الدينية التي كانت تصاحب عملية الإختيار والتتويج وما يحفهما من قداسة كان لها فضل عظيم في استقرار الأحوال السياسية للمملكة الكوشية.

أضفى الملوك الكوشيون على مراسم التتويج شيئاً من القدسية منذ بداية دولتهم، فمثلاً الملك بيئي عزا أصل الملكية المطلقة للإله آمون، وقد ورد ذلك في قوله: "الآلهة قد ينصبون ملكاً... والناس قد ينصبون ملكاً، ولكن آمون نصبني ملكاً" (Budge 1912, pp.22-23). وظل صدى ما حدده الملك بيئي عن حقيقة العلاقة بين الإله آمون والملكية عند الكوشيين يتردد في ألواح خلفائه التي تم التعرف عليها، ومن أمثلة ذلك قول الإله آمون وهو يخاطب الملك بيئي: "أنا الذي يعطي الملك لمن أشاء" (Budge 1912, pp.22-23).

رمز الكوشيون لتلك المنحة الإلهية للحكم في آثارهم حين صوروا الملك وهو يقف قبالة الإله آمون في المشاهد التي نقشت على جدران المعابد، ويتلقى الصولجان - رمز الملك - من يد آمون الممدودة نحوه. عمد الفنان في لوحة تتويج الملك بيئي للرمزية الواضحة، فبدلاً عن تصوير الإله حاملاً الصولجان، صوّره وهو يقدم بإحدى يديه تاج مصر ويقدم بالأخرى تاج ملوك كوش الوطني (عمر حاج الزاكي 1983م، ص 30).



لم يكتف تهارقو بإسناد الفضل للإله آمون في تنصيبه ملكاً فحسب، بل أوضح أن الإله آمون وعد بحصر الملكية في بيت خاص من بيوت الكوشيين، وذلك عندما تعهد للجد ألارا بحفظ العرش في نسل أخواته، وهن جدات تهارقو (Macadam1949, Insc. 1V, pp. 15-16). وقد استغل تهارقو هذه المسألة في تأكيد شرعية ولايته للعرش (Macadam1949, pp. 16-18). وعندما خلا العرش بعد وفاة الملك أنلماني (623 - 593 ق. م) لم يكن هنالك وريث للعرش متفق عليه، خاطبت الجموع المختارة للإله آمون رعي ليختار لها ملكاً (Budge1912, pp. 89-97).

استمر هذا المفهوم سائداً بين الملوك الكوشيين، فقد ذكر الملك نستاسن في لوحته أن الإله آمون منحه السيادة على بلاد تاسيتي بقوله: "لم ينصني الناس ملكاً في ذلك اليوم الرابع والعشرين عندما أعطيتني السيادة على تاسيتي" (Budge1912, pp. 140-149, pl. XI). أما الملك أماني نتي يركي فقد ورد في نقشه أنه عندما أحاطت قبائل الأعداء من أهل الصحراء بالمقاطعة (ربما العاصمة) فإنه خاطب الإله آمون مستجداً به قائلاً: (تعال لنجدتي يا أبي آمون، إنك أعطيتني المملكة بحق، فأعطني قوتك ومنعتك) (Macadam1949 Insc. 1X, p. 55). وكان الملك حرسيوثف - الذي خاض حروباً عديدة وناجحة ضد قبائل الصحراء - يدين أيضاً بالفضل للإله آمون في وصوله للعرش (Budge1912 Hars. Stela, pp. 117-139). كان التحدي الذي واجهته المملكة بعد الانسحاب من مصر عظيماً مما حتم على الملوك أن يحتفظوا بقدر كبير من القدرة العسكرية، وقد ساعد نظام اختيار الملك في وصول عدد من أقوى الملوك وأكفأهم للعرش، كما أن المجموعة المدربة على إدارة الحكم من الكهنة حول الملك أوقفت إلى حد بعيد التدهور الذي كان محتملاً بعد تخلي الكوشيين عن مصر (عبد الماجد

يوسف أبو سبيب 1971م، ص 48). وقد كانت قوة الدولة وأجهزتها تعتمد على قدرة الملك، وليؤكد ملوك كوش قدرتهم ادعوا لأنفسهم قدرات هي من صميم قدرات الآلهة، مثل إعطاء النفس والحياة وتقدير الأرزاق (عمر حاج الزاكي 1983م، ص 96).

ارتبطت مراسم التتويج ببعض الطقوس التي تكرر ذكرها في لوحات الكوشيين المختصة باختياهم للعرش؛ وترجع أولها للملك بيبي وآخرها للملك نستاسن، وهي اللوحات التي كتبت بالمصرية القديمة على الخط الهيروغليفي. أما اللوحات التي كتبت لاحقاً فقد كتبت باللغة المروية - وهي عصية على الفهم حتى الآن - لذا أضحي من العسير فهم تاريخ المملكة المروية في مراحلها الأخيرة. وقد كان أهم هذه الطقوس القيام برحلة صوب الشمال لزيارة معابد آمون الرثيسة، وهو تقليد حرص عليه كل ملك عند اعتلائه العرش. وقد ورد ذلك في لوحة الملك تانوت أماني ولوحة الملك أنلماني الذي أضاف في ذات النقش أنه أرسل لإحضار أمه لتشهد هذه الإحتفالات، مثلما فعل الملك تهارقو من قبل عندما أرسل طالباً مجيء والدته لتراه متوجاً على العرش (أحمد محمد على الحاكم 1985م، ص 303). أضاف الملك أسبلتا تفاصيل أخرى حين ذكر أن اختياره قد تم من بين إخوته الأمراء، عن طريق مجموعة مكونة من أربعة وعشرين من علية رجالات المملكة وكبار قادة الجيش، ولكي يثبت حقه في خلافة العرش استشهد بإرادة الإله آمون، وبنسبه العريق الذي يؤكد حقه الوراثي في الخلافة وولاية العرش (أحمد محمد على الحاكم 1985م، ص 303)، فقد ذكر نسل أمهاته لسبعة أجيال متعاقبة لتأكيد شرعية صعوده للعرش (Budge 1912, pp. 99-100).

وردت ضمن الطقوس المصاحبة لعملية التتويج زيارة المعابد في محور نبته، وذلك يؤكد أهميتها في العصر المروي، إذ كان الملوك يذهبون إليها لتلقي شارات الحكم والسلطان حسب ما تمليه تقاليد راسخة جاء التمسك بها

في اللوحات الملكية التي تعود للفترة المروية، حيث تكشف هذه النقوش تمسك هؤلاء الملوك بتقاليد وعادات أسلافهم (أحمد محمد على الحاكم 1985م، ص 302).

تواصل بصورة واضحة في الفترة المروية حرص الملوك الكوشيين على أن يكون طابع تتويجهم دينياً، حتى بعد أن أصبحت لهم آلهة محلية عبدها إلى جانب الآلهة المصرية التي ورثوا عبادتها من أسلافهم ملوك نبتة. فبظهور الإله أبيدماك طراً تغير واضح فيما يتصل بأمر مرجعية الملك عند الكوشيين. وتدل آثار الإله أبيدماك في إقليم مروى على أنه أصبح شريكاً للإله آمون في منح الملك لمن يشاء من المرويين (Zabker 1975, pp.5-9؛ عمر حاج الزاكي 1983م، ص 30) بعد أن كان الإله آمون خلال الفترة الأولى (الحقبة النبتية) ينفرد وحده بأمور السلطة والعرش، ورغماً عن ذلك ظل الارتباط بين الدولة والدين قائماً بذات الوثيرة.

أكدت كثير من الصور المنقوشة لأبيدماك تطابق الرمزية فيها مع ما كان من آثار للإله آمون في الفترة النبتية، ومن المشاهد الدالة على تلك المشاركة لوحدة الملك تانييد أماني (133- 116 ق.م) (Hintze 1960, pp.125-162)، التي نقشت فيها صور أبيدماك ممسكاً بيده الممدودة صولجاناً يتربع على قمته أسد صغير، وعلامة الحياة باليد الأخرى، وفي الجانب الآخر صور الملك تانييد أماني واقفاً يتلقى الصولجان وعلامة الحياة من الإله. يمثل هذا المشهد محاكاة لمشاهد لوحات تتويج ملوك كوش الأوائل (عمر حاج الزاكي 1983م، ص 30). وهناك نظائر لهذا المشهد في المصورات الصفراء على جدران المعبد (C-II)، الذي شيده الملك أرخماني (235 - 218 ق.م) لأبيدماك، صُوِّرَ ذلك الملك واقفاً في مواجهة صف من الآلهة يتقدمهم أبيدماك الذي كان يقوم بما كان يقوم به الإله آمون في المشاهد المصورة بالمعابد الآمونية (عمر حاج الزاكي 1983م، ص ص 30-31).

## الألقاب الملكية الكوشية :-

ليس الانتساب للآلهة الذي ذكرناه سابقاً هو التقليد الوحيد الذي قلد فيه الكوشيون الملوك المصريين، فقد تبنى الملوك الكوشيين الألقاب الفرعونية الملكية المختلفة، فعلى عادة أهل مصر وكوش آنذاك كان الملوك يتبعون نمطاً معيناً في كتابة أسمائهم، خاصة في الوثائق الرسمية، يقتضي هذا النمط أن يتخذ الملك خمسة أسماء: آخرها هو اسمه الحقيقي (nomen)، ورابعها هو اسمه الملكي أو إسم العرش (throne name)، وهذا يتسمى به لحظة اعتلائه العرش. أما الأسماء الثلاثة الأولى فهي: اسم حورس (Hours Name)، ثم اسم السيدتين (Two Ladies)، واسم حورس الذهبي (Golden Hours). يتخذ الملوك، بالإضافة لهذه الأسماء، عدة صفات تأخذ موقعها في الوثيقة بين هذه الأسماء الخمسة (Dunham 1949, pp. 139-149 and سامية بشير دفع الله 2005م، ص47). ولا يخفى على أحد الارتباط بين هذه الألقاب والآلهة (السيدتان هما سيدتا مصر الإلهتين ودجت ونخبت، وحورس وحورس الذهبي وابن رع). يأتي حمل هذه الألقاب الرسمية بعد حفل التتويج مباشرة (ايمارد. ت ، ص 47)، ولما كان معلوماً لدينا أن ملوك كوش - بدءاً بكوشتو - قد تقلدوا الألقاب الفرعونية كما ذكرنا سابقاً، يتضح لنا حقيقة مفادها أن الكوشيين حاولوا ربط ملكيتهم بملكية الفراعنة القديمة، ومن أجل ذلك أسبغوا على أنفسهم ألقاب الفراعنة المختلفة إمعاناً في تقليدهم (Budge 1912, p. 52) حتى يكسبوا لدولتهم - سواءً في أرض كوش أو في مصر - القدسية المطلوبة. هكذا سعى الملوك الكوشيون منذ البداية لتكوين دولة مستقرة، ومن أجل تحقيق ذلك الهدف انتسبوا للآلهة المصرية، ومضوا أبعد من ذلك عندما تمسكوا بمفهوم البنوة لرع وتبنوا غير ذلك من الصفات والألقاب الفرعونية (Haycock 1965 , pp. 465-468).

### التيجان الملكية الكوشية وارتباطها بالدين :-

لبس الملوك الكوشيون معظم التيجان الملكية التي لبسها ملوك مصر، خاصة تلك التي كان لها ارتباط بالدين (Leclant 1961, p.27). وقد كان قرص الشمس أحد أشكال تلك التيجان، وهو مثل التاج المكون من الريشات الأربع، كان في كل فترات التاريخ المصري ذا دلالة دينية (Russmann 1974, p.34)، وكان الملك شباكو أول ملك كوشي لبس هذا التاج (الصورة رقم 1)، فقد ظهر في رؤوس التماثيل التي تخصه، مثل رأس تمثاله في متحف ميونخ بالرقم (4859)، ورأس تمثاله في متحف اللوفر بالرقم (A. F.6639).

يلاحظ أن الملك الكوشي كان يضع على جبهته في أغلب الأحيان مجسم لصلين مثبت على غطاء الرأس. بدأت هذه الظاهرة مبكراً منذ عهد الملك شباكو، وتعد تماثله أول التماثيل الملكية الكوشية ذات الصلين (الصورة رقم 2) (Leclant 1963, pp.75-76). وقد عرف تصوير الصلين عند المصريين قبل الكوشيين، فخلال عصر المملكة المصرية الحديثة كثيراً ما كانت ترسم الصلال وتتوج بتاجي مصر العليا والسفلى، كما أن الخراطيش الملكية كانت تتوج بصلين (Russmann 1974, p.37)، وكثيراً ما ارتبط الصل بقرص الشمس منذ المملكة المصرية القديمة (Russmann 1974, p.37).

كانت تماثيل شباكو أول التماثيل الملكية ذات الصلين كما ذكرنا سابقاً، لكنه لم يوضح السبب في وضع الصلين على رأسه، وكان مثله أيضاً الملك شبتكو؛ إلا إن ذكر الصلين كان واضحاً عند الملك تهارقو، فقد ذكر أن الصلين إتحداً على رأسه (الصورة رقم 3) (Macadam 1949, p.28)، كما أن تانوت أمانى ذكرهما في لوحة الحلم (Budge 1912, p.85).

ارتبط الصلان بصورة ثابتة تقريباً بألهة بعينها مثل الإله منتو، وفي كل الحالات التي تم العثور عليها والتي تعود إلى فترات الأسر الحادية عشرة والثانية عشرة والثالثة عشرة، كان الصلان يرتفعاً فوق جبهة هذا الإله ويُكوّن ذيلهما قرصاً أمام الريشتين (Leclant 1961, p.41). إحتوت آثار الملوك الكوشيين في الكرنك على تصوير للإله منتو وعلى جبهته صلين وهو يعانق الملك تانوت أماني الذي كان الصلان يزينها بجبهته (Leclant 1965, PL.LXX). ويلاحظ أن الصلّين في هياكل أوزيريس - مثل صلال الكوشيين - توجت في أغلب الأحيان بالتاجين الأحمر والأبيض (Mariette 1880, p.41). ويمكن القول بأن رسم الصلّين مع التاجين في هياكل أوزيريس يشير إلى الغرض الديني المطابق تقريباً للممارسة الكوشية، كما يلاحظ أن الصلّين ارتبطا أو اقتصرا تقريباً على هذين الإلهين فقط، وفي تقديرنا أن استعمال الملوك الكوشيين للصلّين أمراً استدعت الضرورة، فهو إلى جانب أنه يحمل في طياته الرغبة في توحيد مصر، فإنه يساعد الملوك الكوشيين في احتواء أكبر عدد من الآلهة المصرية، مما يزيد من هيبة السلطة الحاكمة عند العامة.

لبس الملوك النبتيون أيضاً تاج الطاقة الذي يبدو أنه ارتبط بالتتويج كما هو واضح من لوحة النصر للملك بيبي، حيث يظهر ضمن التيجان التي يقدمها الإله آمون للملك (Reisner 1931, fig.7). يتكون هذا التاج من طاقة تغطي الرأس مرتبط بها جزء أشبه بالقرنين، يلتفان حول الأذنين (Russmann 1974, fig.7; Pompei 2010, pp.459-502). ولا بد أن نلفت النظر إلى أن هذه الطاقة هي الأخرى لا تخلو من الارتباط بالدين، إذ أن طرفيها يمثلان قرني الإله آمون، وهما كثيراً ما كانا يمثلان جزءاً من الزينة الملكية أيضاً، وقد ظهرا بوضوح في تصاوير الملك أرخماني في معبد أبيدماك (II-C) بالمصورات الصفراء. وظهرا أيضاً في تصوير الملك

شركاير على لوحته الصخرية في جبل قبلي بسهل البطانة، كما كانا جزءاً من تاج ملوك بلانة وقسطل. احتفظ القرنان بأهميتهما الرمزية أيضاً في التيجان الملكية خلال الفترة المسيحية، وظلا يشكلان حضوراً حتى عصر مملكة الفونج الإسلامية حيث عُرف التاج بالطاقيّة أم قرينات (محمد مهدي إدريس 1994م، ص ص 88 - 89؛ نعمات عمر عبد الجبار ومجتبى على إبراهيم، مقال لم ينشر بعد).

### وظيفة العابدة الإلهية والكاهن الأكبر:

يتكشف من حرص ملوك كوش على الاستحواذ على هاتين الوظيفتين مدى الارتباط الوثيق بين الدين والدولة في مملكة كوش الثانية، علاوة على الدور المؤثر للوظيفتين. فوجود العابدة الإلهية بصلاحياتها السياسية والدينية والاقتصادية ساهم إلى حد كبير في تعضيد حكم الكوشيين لمصر، ويعتبر فقدان الكوشيين لهذا المنصب مؤشراً لنهاية حكمهم مصر، الذي دام قرابة القرن من الزمان.

كان لقب الزوجة الإلهية (العابدة الإلهية) من الألقاب التي ربطت بعض البشر بالآلهة، فهي تمثل حلقة اتصال وثيق بين الدين والدولة. وقد اقترن بها في الغالب لقبان، هما يد الإله (جرت نتر) وعبادة الإله (دوات نتر)، فضلاً عن التسمية التي تتحد مع الإله (حنت نتر). كان الغرض الرئيس من هذه الوظيفة أن يصبح الملوك من أبنائها حكاماً شرعيين من ورثة آمون إله طيبة وصاحب مصر وسلطان الإمبراطورية جمعاء.

ظهر منصب الزوجة الإلهية في السنوات الأولى من عمر المملكة المصرية الحديثة - في فترة الأسرة الثامنة عشر. وفاقته أهمية هذا المنصب منصب الكاهن الأكبر لآمون منذ عصر الأسرة الثانية والعشرين حتى عصر الأسرة السادسة والعشرين. وانتقل هذا المنصب إلى ابنة الملك التي أصبحت الزوجة المكرمة للإله آمون، وكانت تمارس سلطات ضخمة، إذ كانت مسؤولة عن أملاك آمون وتشرف على الموظفين الملحقين

لخدمة الإله، كما كانت تتخذ الألقاب الملكية، ويكتب اسمها داخل خرطوش، وكان لها أيضاً الحق في تقديم القرابين للآلهة. دفعت كل تلك المسؤوليات والصلاحيات المهمة ملوك الأسرة الخامسة والعشرين إلى فكرة تنصيب كريماتهم وأخواتهم في هذا المنصب المهم (دولت يوسف أحمد 1996م، ص21). ولأن زوجة الإله كانت هي الناطق باسمه والمنفذ لرغباته، كان الملوك يتسابقون من أجل الحصول على هذا المنصب وتقليده لكريماتهم أو أخواتهم (عبد العزيز عبد الغني 1970م، ص108)، لإيمانهم بأهميته في تعزيز ملكهم وتثبيت أركانهم.

كانت أمندريس الأولى أول عابدة إلهة كوشية، فقد صحبت أبيها كوشتو إلى طيبة، وهناك فرضها عابدة إلهة في معبد آمون بطيبة خلفاً للعبادة الإلهية شبنوبت ابنة أوسركون الثالث (Budge 1902, p. 122). وقد اعتبر الزاكي أن ذلك كان أقوى الإرهاصات بقيام المملكة، وأول الشواهد الدالة على تسامي وتعظيم قوتها، لأن منصب العابدة الإلهية منصب روحي عظيم يعادل منصب الكاهن الأكبر للإله آمون في طيبة، والذي إختفى مؤقتاً منذ أن تولت شبنوبت هذا المنصب في عهد والدها (عمر حاج الزاكي 1983م، ص116). تركت أمندريس تمثالاً لها في معبد الكرنك يحمل اسمها وإسم والدها، وهي تعتبر أول من جسّد دور المرأة الكوشية السياسي الذي تسربل بثوب الدين (صلاح عمر الصادق 2002م، ص4)، (الصورة رقم 4).

إهتم أيضاً خلفاء كوشتو بهذا الدور (ارمان د.ت، ص356)، فقد تبنت أمندريس الأولى شبنوبت الثانية ابنة الملك بيبي، والتي ربما كانت تمارس سلطاناً كبيراً تساوت فيه مع أبيها الملك، وقد كان لها سلطة تخول لها حق تقديم القرابين للآلهة، وهو حق ظل في كل الأماكن حكراً للفرعون وحده (Gardiner 1961, p. 393).

استمرت شبنوبت الثانية في هذه الوظيفة إلى أن تبنت أمندريس الثانية ابنة تهارقو. وقد ظلت الأخيرة في منصبها تسعة أعوام



(Blackman 1921, p.18). وعلى الرغم من هزيمة الكوشيين أمام الجيوش الآشورية ونهاية الحكم الكوشي لمصر، إلا أن وظيفة العابدة الإلهية قد استمرت؛ وظلت طيبة مستقلة، وبقيت تحت إدارة منتومحات والأميرات الكوشيات شبنوبت الثانية وأمنرديس الثانية، إلا أن بسماتيك الأول (663 - 609 ق.م) الذي كان يحكم في مصر تحت الوصاية الآشورية أظهر نواياه للاستقلال من التبعية الآشورية مستغلاً الظروف الداخلية والانقسامات داخل الأسرة المالكة في نينوى، فقام بخطوة جريئة واستولى على طيبة، وأرسل ابنته الأميرة نيتوكريس في موكب رسمي في سنة 656 ق.م (سمير أديب 1997م، ص246)، وأجبر العابدة الإلهية أمنرديس الثانية على تبنيها كوريثة لها، ولم يعد لأمنرديس الثانية بعد ذلك أي ذكر في صحائف التاريخ، ولربما عادت إلى موطنها نبتة (Arkell 1961, p.135). ومنذ ذلك التاريخ اعترف الصعيد بحكم بسماتيك الأول وطويت آخر صفحة من صفحات الحكم الكوشي لمصر (سامية بشير دفع الله 2005م، ص89).

إن دور العابدة الإلهية أكسبها نفوذاً سياسياً معتبراً، فقد كانت مساوية للفرعون من الناحية النظرية، وكان اسمها يكتب داخل خرطوش. أما من الناحية الاقتصادية فكانت تشرف على ثروة الإله آمون الضخمة، إلى جانب نفوذها الديني (سمير أديب 1997م، ص246). وربما ظلت سيدات الأسرة الملكية الكوشية يتولين مناصب بارزة ذات نفوذ قوي بين كهنة الإله آمون بنبتة وغيرها من المدن ذات المعابد الآمونية حتى بعد فقدانهم مصر، وفقدان منصب العابدة الإلهية (Hakem 1971, p.302). وخير دليل على ذلك أن الملك أنلماني نذر أخواته الأربع ليصبحن عازفات لمعابد آمون الرئيسة في كل من نبتة وكوة وصنم أبودوم وبنوبس (Arkell 1961, p.143)، مقلداً بذلك أسلافه عندما أهدوا بناتهم أو أخواتهم لمعبد آمون في طيبة

(Macadam1949,p.47). وقد كان لدور الأمهات والأميرات من موقعهن هذا، مكانة روحية عظيمة حددت مسار الدولة في كثير من الأمور (عمر حاج الزاكي 1985م، ص 116؛ Gozzoli 2010,pp. 483-494).

لم تقتصر مساعي ملوك كوش للسيطرة على مفاصل السلطة الدينية وثروة معبد آمون في طيبة بالهيمنة على وظيفة العابدة الإلهية فقط، فقد عين بيي ابنه حور مخوتي رئيساً لكهنة آمون في ذلك المعبد كي يضمن لأسرته ممتلكات المعبد (Reisner1919,pp.47-48). وظل أولياء العهد يتقلدون تلك الوظيفة بصورة دائمة (محمد على سعد الله 1988م، ص94)، وتمكن الملوك بذلك من إحكام السيطرة على كهنة آمون وثروته الطائلة (محمد إبراهيم بكر 1968م، ص78)، عليه فإن هذا المنصب لا تقتصر أهميته على الجانبين الديني والاقتصادي فقط، فهو أيضاً ذو أهمية سياسية. ولا بد أن مصيره كان مثل مصير وظيفة العابدة الإلهية الذي فقدته مملكة نبتة مع تأسيس الأسرة السادسة والعشرين. وظل اهتمام أفراد الأسرة الكوشية الملكية بالمؤسسة الدينية وتبوء وظيفة رفيعة فيها، أمراً معهوداً حتى الحقبة المروية، فالأمير أركا بن أرينخماني على سبيل المثال، كان كاهناً لايزيس في المصورات الصفراء (Hakem1988,pp.320-321).

### الدفن تحت الأهرامات :

إن مفهوم الملكية المقدسة والربط بين الملك والآلهة لازم جميع الملوك الكوشيين طوال حياتهم، وبدا واضحاً للعيان في كل مناحيها، ولم ينقطع بانقطاع الحياة أو حتى بعد الموت. أعد هؤلاء الملوك مدافنهم بحيث يعلوها بناء على شكل هرم، وهي تحمل الرمز الديني، فالهرم له مدلول ديني معروف ورد في متون الأهرام - التي تعتبر أقدم نصوص دينية - بالقول إن إله الشمس عندما ظهر في الفضاء (نون)، وقف على حجر هرمي الشكل أطلق عليه المصريون كلمة (بنبن)، وقد أصبح هذا الشكل منذ ذلك العصر رمزاً مقدساً

عند المصريين لإله الشمس، وبدأ ملوك الأسرة الثالثة بناء قبورهم على هيئة الهرم ليُدفنوا داخله (محمد شفيق غريال وآخرون د. ت ، ص210).

ظل الملوك الكوشيون يُدفنون في غرف تحت الأهرامات، وهذا النمط من الدفن يمثل التعبير الأعلى للسلطة البشرية المقدسة. استمر هذا التقليد حتى نهاية المملكة المروية في حوالي منتصف القرن الرابع الميلادي. وليس أدل على ما ذهبنا إليه من أن أغلب ما عرف عن الملوك الكوشيين جاء من خلال صروحهم الجنائزية ، إذ لا يوجد في أغلب الأحوال مدون آخر عن حياة أكثر أولئك الملوك الذين كانوا مثل غيرهم من ملوك كوش، ملوكاً سماويين وليسوا دنيويين. أما عن معظم معارفنا عن ملوك السودان في العصور الوسطى فتستنت من مصادر وثائقية بحثة ، إذ يصعب الحصول على بينة أثرية لهم. ويدل عدم وجود الصروح الملكية الجنائزية في فترة تنصر بلاد النوبة، لطبيعة المسيحية كدين سماوي (آدمز 2005م، ص393)، حيث حدث تحول أيديولوجي في تلك البلاد ، جعلها تستغني عن التقاليد الفرعونية، فاندثرت المدافن والمعابد الملكية وإعلانات تمجيد الفرد المغالى فيها، كما انتهى بقدر كبير الاعتقاد في قدسية الملوك، وحلت محل ذلك تعاليم جديدة في العقيدة والفن والأدب (آدمز 2005م، ص448).

### الخاتمة :-

يتضح من العرض السابق أن الملوك الكوشيين - سواءً الذين حكموا من مصر أو من نبتة أو من مروى - قد تأثروا بطبيعة الحكم ذي الطابع الديني أو المقدس في مصر، فاعتبروا ملكهم ذي طبيعة مقدسة، وأضافوا على أنفسهم كل ما يحقق ذلك، بربط ذواتهم وحكمهم بالدين برباط وثيق، لذلك انتسبوا للآلهة. وكان اختيارهم للملك يأتي وفق المشيئة الإلهية وعبرها، ولا يتم تتويجهم إلا في معابد الآلهة الرئيسة، لذا لم تخلُ تيجانهم الملكية من الرمز للآلهة، بل حتى أن زينتهم الملكية ظهرت فيها تلك

الرموز، وسعوا بشتى السبل لربط أنفسهم بأكبر عدد من الآلهة. كل ذلك من أجل إضفاء الصبغة الدينية على دولتهم التي أرادوا أن تكون مقدسة؛ فالخط الأيديولوجي الحاكم لمسيرة تلك الدولة راعى تناغم المصالح بين أطراف النخبة السياسية/التنفيذية والدينية فيها، لذا كان للميثولوجيا والطقوس والسياسات التي كرست لنفوذ الملكية المطلقة في الحكم، والمفاهيم المتعلقة ببعث الملوك وخلودهم - رغم خلفيتها المصرية الصريحة - دور كبير في الاستقرار الذي حظيت به تلك الدولة لقرون عديدة، ما يؤكد تناسبها وبُنية العقل الجمعي لدى الكوشيين طوال تلك المدة.

الاختصارات :-

**CSSH:** Comparative Studies in Society and History, Hague.

**JEA:** Journal of Egyptian Archaeology, London.

**LAAA:** Liverpool Annals of Archaeology and Anthropology, Liverpool.

**SNR:** Sudan Notes and Records, Khartoum.

**ZAS:** Zeitschrift für Agyptische Sprache und Altertumskunde, Berlin, Leipzig.

المراجع العربية :-

- آدمز، و. ي. 2005م، النوبة رواق إفريقيا، (ترجمة) محجوب التيجاني محجوب، ط1، مطابع الفاطمية إخوان، القاهرة.

- أحمد محمد على الحاكم (بمساعدة أ. هريك وج. فركوتير) 1985م، "حضارتا نباتا ومروي"، تاريخ إفريقيا العام، ج2، (المشرف على المجلد) جمال مختار، اليونيسكو، باريس.

- ارمان، أدولف (د. ت)، ديانة مصر القديمة، نشأتها وتطورها في أربعة آلاف سنة، (ترجمة) عبد المنعم أبو بكر ومحمد أنور شكري، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة.

- برستد، جيمس هنري 1992م، تاريخ مصر من أقدم العصور إلى الفتح الفارسي ، (ترجمة) كمال حسن ، مكتبة مديولي، القاهرة.
- دريوتون، إتين وفاندييه، جان (د.ت)، مصر، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.
- دولت يوسف أحمد 1996م، المرأة في كوش (750 - ق.م - 250 م)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الخرطوم، الخرطوم.
- سامية بشير دفع الله 2005م، تاريخ مملكة كوش (نبته ومروي)، ط1، دار الأصدقاء للطباعة والتشتر، الخرطوم بحري.
- سليم حسن 1956م، مصر القديمة، ج11، القاهرة.
- سمير أديب 1997م، تاريخ وحضارة مصر، القاهرة.
- شحاته آدم وفركوثير، ج. 1985م، " أهمية النوبة حلقة اتصال بين إفريقيا الوسطى والبحر الأبيض المتوسط"، تاريخ إفريقيا العام، ج2، (المشرف على المجلد) جمال مختار، اليونسكو، باريس.
- صلاح عمر الصادق 2002م، نساء حكمن السودان قديماً (نساء وملكات مملكة مروي 850 ق.م 350 م)، سلسلة كتاب الآثار السودانية، الخرطوم.
- عبد العزيز عبد الغني 1970م، تاريخ الحضارات السودانية القديمة، الخرطوم.
- عبد القادر محمود عبد الله 1424هـ، بيبي (بعانخي) أول ملكاً للسودان وصعيد مصر، الرياض.
- عبد الماجد يوسف أبو سبب 1971م، "الكاهن الإله وكيف كان يحكم شعب كوش"، مجلة الخرطوم، العدد الثاني، دار الصحافة، الخرطوم، ص 44 - 48.
- عمر حاج الزاكي 1983م (أ)، "المغزى الديني والسياسي لرحلات التتويج في مملكة مروي"، مجلة كلية الآداب، جامعة الخرطوم، العدد الخامس، الخرطوم، ص 26 - 29.

- ..... 1983م، الإله آمون في مملكة مروى (750 ق.م - 350م) ، ط1 ، مطبوعات كلية الدراسات العليا ، جامعة الخرطوم ، الخرطوم.
- محمد إبراهيم بكر 1968م، المدخل إلى تاريخ السودان القديم، المطبعة الفنية الحديثة، القاهرة.
- محمد شفيق غربال وآخرون (د.ت)، تاريخ الحضارة المصرية .. العصر الفرعوني، ج1 ، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.
- محمد على سعد الله 1988م، الدور السياسي للملكات في مصر القديمة، مؤسسة شباب العالمية، الإسكندرية.
- محمد مهدي إدريس 1994م، ملامح تاريخية للزخارف النوبية في العهد المسيحي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم، الخرطوم.
- نبيلة محمد عبد الحليم (د.ت)، معالم التاريخ الحضاري والسياسي في مصر الفرعونية، منشأة دار المعارف، الإسكندرية.
- نجيب ميخائيل 1966م، مصر والشرق الأدنى القديم، ج4، دار المعارف، القاهرة.
- نعمات عمر عبد الجبار ومجتبى على إبراهيم (قيد النشر)، "التيجان الملكية المقرنة والطاقية أم قرينات"، مقال محكم ومجاز للنشر في المجلة العلمية لجامعة الزعيم الأزهرى، الخرطوم بحري.

#### المراجع الأجنبية :-

- Adams, W. Y. 1977, Nubia Corridor to Africa, Allen Lane, London.
- Arkell, A. J. 1961, A History of the Sudan from the Earliest Times to 1820, University of London, the Athlone Press.
- Baikie, J. 1908, The Story of the Pharaohs, Adam and Charles Black, London.
- Blackman, A. M. 1921, "On the Position of Woman in the Ancient Egyptian Hierarchy", JEA, vol.7, pp.8-30.

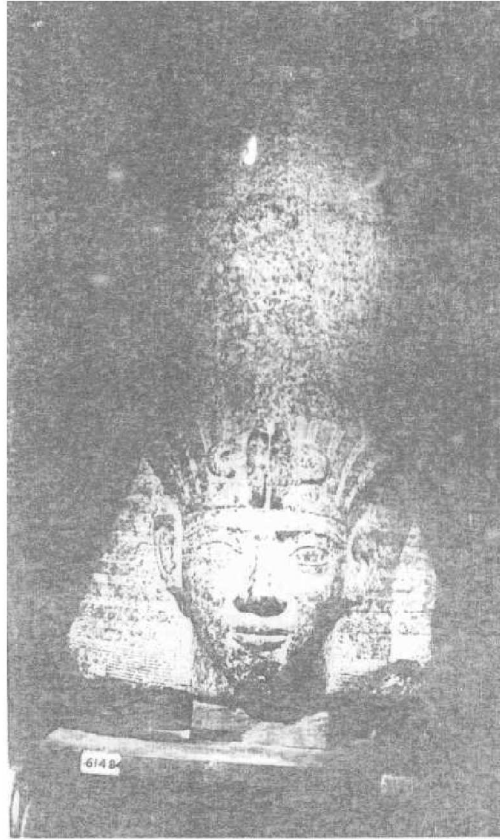
- Breasted, J. H. 1962, Ancient Records of Egypt, 5 Vols., Russell and Russell INC., New York.
- Budge, E. A. Wallis 1902, A History of Egypt, vol., 4, Paternoster House, London.
- ..... 1907, The Egyptian Sudan its History and Monuments, Vols., 1-2, Dryden House, London.
- ..... 1908, The Book of the Kings of Egypt, Vol.1-11, Dryden House, London.
- ..... 1912, Egyptian Literature II : Annals of Nubian Kings, Broadway House, London.
- Diodorus Siculus 1949, Geografika, Book 1-3, (Trans. Oldfather C. H. Classical Library, London.
- Dunham, D. and Macadam, M. F. L. 1949, "Names and Relationships of the Royal Family of Napata", JEA, 35, pp. 139-149.
- Eide, T., & Hagg, T. Pierce R. H. & Torok, L. 1994, Fontes Historiae Nubiorum, (3 Vols), Bergen.
- Fitzenreiter, M. 2011, "Piye Son of Ra, Loving Hourses, Detesting Fish", in Rondot, V., Alpi, F. & Vileneuve, F. (dir.), La Pioche et La Plume, Hommages Archeologiques A Patrice Lenoble, Paris, pp. 261-268.
- Gardiner, A. H. 1961, Egypt of the Pharaohs, The Clarendon Press, Oxford.
- Gozzoli, R. 2010, "Royal Sisters and Royal Legitimization in the Nubian Period (C. 760-300 B. C): Tahaqo's Kawa Stelae as a Paradigms", in Bielinski, P. et. al. (ed.) Between the Cataracts II, Proceedings of the 11<sup>th</sup> Conference of Nubian Studies, Warsaw University, 27 August – September 2006, Warsaw, pp. 483-494.

- Griffith. F.L. I. 1922, "Oxford Excavations in Nubia", LAAA, Vol.9, PP. 67-124.
- Hakem. A. M. A. 1971, The Nature and Development of the Meroitic Architecture, (Ph. D. Thesis, University of Cambridge.
- ..... 1988, Meroitic Architecture . . A Background of An African Civilization, University of Khartoum Printing Press, Khartoum, 1988.
- Haycock, B. G. 1965, "The Kingship of Kush in the Sudan", CSSH, Vol.7, no.4, pp. 461-480.
- Hintze, F. 1960, "Die Meroitische Stele des Konigs Tanyidamani aus Napata", Kush, Journal of the Sudan Antiquities Service, Vol.8, Khartoum, pp.125-162.
- Kees, H. 1921, Ancient Egypt, Faber and Faber, London.
- Kendall, T. 1997, "Kings of the Sacred Mountain: Napata and the Kushite Twenty-Fifth Dynasty of Egypt", in Wildung, D., (ed.), (trans.) Der Manuelian, P., Sudan Ancient Kingdoms of the Nile, Institut Du Monde Arabe, Flammarion, Paris - New York, pp. 161-203.
- Kitchen, K. A. 1976, The Third Intermediate Period in Egypt, Oxford.
- Leclant, J., 1961, Melanges Maspero, Orient, 4, Cairo.
- ..... 1963, "Kashta, Pharaoh en Egypte", ZAS, Vol. 90, pp. 74-81.
- ..... 1965, Recherches Sur Les Mouuments Thebains de La xxv Dynastie dite Ethiopienne (Textes-Planches) Imprimeri de l institute Francais d' Archeologie Orientale, Cairo.
- Macadam, M. F. L. 1949, The Temples of Kawa, vol.1, Oxford University Press, London.



- ..... 1955, The Temples of Kawa, vol. II, Oxford University Press, London.
- Mariette, A. 1880, Catalogue general des monuments d Abydos, Paris.
- Maspero, G. 1909, New Light on Ancient Egypt, T., Fisher Unwin, London.
- Peake, L. 2010, "The Invisible Superpower . . Review of the Geopolitical Status of Kushite (Twenty-Fifth Dynasty) Egypt at the Height of its Power and a Historiographic Analysis of the Regime's Legacy", in Bielinski, P. et. al. (ed) : Between the Cataracts, II, Warsaw, pp. 465-476.
- Pompei, A. 2010, "Names of Royal Kushite Crowns: Some Notes ". in Bielinski, P. et. al. (ed) : Between the Cataracts, II, Warsaw, pp. 495-502.
- Priese, Karl – Heinz 1997, "The Meroitic Pantheon", in Weldung, D. (ed.), (trans.) Der Manuelian, P., Sudan Ancient Kingdoms of the Nile, Institut Du Nonde Arabe, Flammarion, Paris - New York, pp. 265 - 300.
- Reisner, G. A. 1919, "Outline of the Ancient History of Sudan", part 1V; Id., "The First Kingdom of Ethiopia its Conquest of Egypt and its Development into a Kingdom of the Sudan (1100-250 B.C)", SNR, VoL.11., pp. 35-67.
- ..... 1922, "The Pyramids of Meroe and the Candaces of Ethiopia", SNR, Vol. V, pp. 173-196.
- ..... 1931, "Inscribed Monuments from Gebel Barkal", ZAS, 66, pp. 76- 101.
- Russmann, E. R. 1974, The Representation of the King in the XXVth Dynasty, Monographies Reine Elezabeth 3, Brussels and Brooklyn.

- Welsby, D. A. 2002, The Kingdom of Kush . . The Napatan and Meroitic Empires, The British Museum Press, London.
- Wildong, D. and Kroeper, K. 2006, NAGA . . Royal City of Ancient Sudan, Staatliche Museen zu Berlin.
- Zabker, L. V. 1975, Apedemak Lion God of Meroe, Warminster, London.



صورة رقم (1)

رأس تمثال للملك شباكو



صورة رقم (2)  
تمثال برونزي للملك شباكو



صورة رقم (3)  
رأس تمثال للملك تهارقو



صورة رقم (4)

تمثال من المرمر للعبادة الإلهية أمنرديس

## موقف عبد الله بن الزبير من الخوارج وبني هاشم وأثر ذلك على خلافته

د. محمد الفاضل العوض

أ. مساعد - كلية التربية -

جامعة الزعيم الأزهرى

### نشأته :

هو عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب، وينتمي إلى عشيرة بني أسد إحدى أهم بطون قريش ، والتي لعبت دوراً كبيراً و مؤثراً في تاريخ مكة قبل ظهور الإسلام ، وكان من أهم زعمائها خويلد بن أسد وعثمان بن الحويرث (محمد بن حبيب 1980م ، ص 332) الذي فكر في أن يحكم مكة إنابة عن قيصر الروم بعد أن أقنعه بأن تصبح مكة تابعة لدولته، ولكن المكيين أنفوا أن يدينوا له ؛ لأن مكة حي لقاح لا تدين لملك، ومات بالثام مسموماً على يد عمرو بن جفنة الغساني (ابن هشام 1931م ، ص 3).

كان والده الزبير بن العوام من أبنكار المسلمين فقد أسلم رابعاً أو خامساً وهاجر الهجرة الأولى إلى الحبشة وشهد المشاهد كلها مع الرسول (صلى الله عليه وسلم) و كان يلقب بحواري رسول الله وكان ضمن العشرة المبشرين بالجنة، ثم صار أحد رجال الشورى الستة الذين حددهم الخليفة الثاني عمر بن الخطاب لتولي الخلافة من بعده، وساهم الزبير بن العوام مساهمة فاعلة في فتح مصر (ابن عبد الحكم 1965م، ص 171). والزبير بن العوام أمه صفية بنت عبد المطلب بن هاشم فهو ابن عمه النبي (صلى الله عليه وسلم)، وتزوج من أسماء بنت أبي بكر الصديق، فولدت له عبد الله في السنة الثانية للهجرة ، وفرح به المسلمون فرحاً عظيماً، لأن اليهود في المدينة كانوا قد زعموا أنهم سحرُوا نساء المسلمين حتى لا ينجبن (ابن عبد الحكم 1965م، ص 171). بناءً على ما سبق نلاحظ أن عبد الله بن الزبير بن العوام نشأ في وسط اجتماعي متميز فأبوه الزبير بن العوام ، وأمه أسماء ذات النطاقين ، وجده أبو بكر الصديق،

وخالته أم المؤمنين عائشة التي كانت تكنى به. وترعرع عبد الله بن الزبير في دولة المدينة ثم شارك في حركة الفتوح الإسلامية في شمال إفريقيا أيام ولاية عبد الله سعد بن أبي السرح على مصر، ويُروى أنه قتل قائد البربر جيرجير في إحدى المعارك (ابن خلدون د.ت، ج6، ص108).

#### مواقفه السياسية في عهد الراشدين:

بدأ ابن الزبير يظهر على مسرح الحياة السياسية أيام الفتن الأولى و حصار الخليفة عثمان بن عفان (35هـ/655م) في داره حيث أمره على داره أيام الحصار (ابن الأثير 1965م، ج3، ص202). وبعد مقتل الخليفة عثمان وبيعة على بن أبي طالب خرج عبد الله بن الزبير من المدينة ولحق بالسيدة عائشة في مكة واشترك بفاعلية في موقعه الجمل حيث كان من المؤمنين بضرورة القصاص من قتلة الخليفة عثمان بن عفان (المسعودي 1986م، ج3، ص401).

بدأت شخصيته القيادية تظهر بوضوح حتى أن السيدة عائشة أمرته أن يصلي بالناس يوم الجمل في وجود أبيه وطلحة بن عبيد الله (ابن الأثير 1965م، ج3، ص202). وهذا الحدث له دلالاته المهمة ويبدو أن ابن الزبير بدأ يهيئ نفسه للخلافة ويرى أحقيته بها بعد ظهور الخلاف بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان و عدم اجتماع الناس على خليفة واحد ، وتختفي أخباره بعد موقعة الجمل، ويروى أنه بايع معاوية بن أبي سفيان بعد تنازل الحسن بن أبي طالب في عام الجماعة وشارك في حصار القسطنطينية الأولى (50هـ/670م) (ابن الأثير 1965م، ج3، ص202 - 205).

#### خلافة عبد الله بن الزبير:

بدأ عبد الله بن الزبير في الظهور على مسرح الأحداث مرة أخرى بعد أن ولى معاوية بن أبي سفيان ابنه يزيد العهد. ويروى أن معاوية قال لابنه يزيد قبل موته: (إني لا أتخوف أن ينازحك هذا الأمر الذي استتب لك - يعني الخلافة - إلا أربعة نفر من قريش: الحسين بن علي، وعبد الله بن عمر ، وعبد الرحمن بن أبي بكر ، وعبد الله بن الزبير ، فأما الحسين بن علي فإن أهل العراق لن يدعوه حتى يخرجوه، فإن خرج

عليك وظفرت به فاصفح عنه فإن له رحماً ماسة وحقاً عظيماً، وأما عبدالله بن عمر فرجل قد وقذته العبادة فإذا لم يبق أحد غيره بايعك ، وأما عبدالرحمن بن أبي بكر فرجل إن رأى أصحابه فعلوا شيئاً صنع مثلهم ، أما الذي يجثم لك جثوم الأسد ويروغك مراوغة الثعلب الماكر فذاك عبدالله بن الزبير ، فإن أمكنته وثب، فإن هو فعلها بك وظفرت به فقطعه إرباً إرباً) (الطبري د.ت، ج5، ص342) . ولهذه الرواية دلالات مهمة ، أهمها حسن قراءة معاوية بن أبي سفيان للأحداث ، ومقدرته العميقة على تحليل الشخصيات بالغوص في أعماقها وتحديد مقدراتها و وضع كل في مكانه الصحيح و توقعه الجيد لما ستسفر عنه الأحداث، وتنبئه ابنه يزيد إلى قدرات عبد الله بن الزبير السياسية العالية وقوة شخصيته وطموحه دون غيره من أبناء الصحابة.

كان عبدالله بن الزبير أحد أبرز الرافضين لتولية معاوية بن أبي سفيان العهد لابنه يزيد وجهر برأيه هذا لمعاوية في حياته (الطبري د.ت، ج5، ص340)، فما أن تولى يزيد بن معاوية الخلافة حتى أرسل إلى واليه على المدينة يطلب منه أخذ البيعة من عبدالله بن الزبير، فأرسل الوليد بن عتبة بن أبي سفيان - والي المدينة - رسله إلى ابن الزبير يستعجلونه الحضور للبيعة لكنه استطاع الخروج من المدينة إلى مكة دون أن يبائع (ابن الأثير 1965م، ج4 ص 14) . وبقي عبد الله بن الزبير في مكة معتكفاً في المسجد الحرام، و أعلن أنه عائد بالبيت والحسين بن علي أثقل الناس عليه لعلمه أن أهل الحجاز لا يبايعونه مادام الحسين موجوداً؛ لأنه كان أعظم في نفوسهم (البلاذري 1996م، ج4، ص4).

سارت الأمور في مكة في مصالحة عبدالله بن الزبير بخروج الحسين بن علي للكوفة ويروى أنه حرّض الحسين بن علي للخروج لتخلو له الساحة في الحجاز(المسعودي 1986م، ج2، ص 65) وعندما قُتل الحسين بن علي في كربلاء قام ابن الزبير في مكة وعظّم مقتله وعاب على أهل الكوفة خذلانه (الطبري د.ت، ج5، ص574). وهكذا نصّب عبدالله بن الزبير نفسه مطالباً بدم الحسين كما فعل معاوية بن أبي سفيان بعد مقتل الخليفة عثمان بن عفان وأخذ يعرض بيزيد بن معاوية ويمدح

الحسين بن علي، وطلب منه أصحابه أن يظهر بيعته؛ لأنه لم يبق أحد ينازعه الأمر، فصار يبايع الناس سراً و يظهر أنه عائد بالبيت (الطبري د.ت، ج5، ص574)، ويبدو واضحاً أنه كان يتعامل مع الأمر بكثير من الأناة والتريث.

حاول يزيد بن معاوية إقناعه بمقابلته في دمشق دون جدوى وعلا اسمه في الحجاز وكتب إليه أهل المدينة يطالبونه بإعلان حقه في الخلافة (الطبري د.ت، ج5، ص575) فلجأ الخليفة يزيد بن معاوية إلى حرب ابن الزبير وأرسل إليه جيشاً ولكن ابن الزبير استطاع أن يهزم الجيش الأموي (الكوفي 1975م، ص ص 15 - 16). وبعد هذا الانتصار صار لابن الزبير أنصار في الحجاز عرفوا بالزبيريين وأعلنوا معارضتهم للدولة الأموية؛ لأنهم كانوا يرون أن إرثية الخلافة لا تتفق وسنة السلف، فكانت بيعة ابن الزبير استناداً لهذه الفكرة وكان ابن الزبير نفسه يتشبهه بابن الخطاب (البلاذري 1996م، ج5، ص 28) ولأنه عندهم أحق بالخلافة من يزيد فهو شيخ قد بلغ الستين من عمره صوام قوام لا يقارن بيزيد (ابن الأثير 1965م، ج4، ص 162).

أرسل يزيد بن معاوية جيشاً آخر لإخضاع عبدالله بن الزبير بقياده الحصين بن نمير الذي اجتاحت المدينة وأرغم أهلها المواليين لابن الزبير بالبيعة ليزيد بعد موقعة الحرة وما أن علم عبد الله بن الزبير بقدم الجيش الأموي إلى مكة في محرم (64/684م) حتى تحصن بالكعبة بعد أن بايعه أهلها على القتال ولحق به بعض أهل المدينة (ابن الأثير 1965م، ج4، ص 162) و ضرب الجيش الأموي الحصار على مكة و نصبوا على جبل أبي قبيس المواجه لمكة المناجيق، وأثناء هذا الحصار جاء إلى مكة خبر وفاة الخليفة الأموي يزيد بن معاوية، فطلبوا من ابن الزبير الموافقة فسمح لهم بدخول مكة (اليقوي 1977م، ج4، ص 3).

دعا الحصين بن النمير عبدالله بن الزبير للذهاب إلى الشام ليأخذ له البيعة من أهلها، فرفض عبدالله بن الزبير أن يترك مكة ويبايع بالشام (الدينوري د.ت، ص274) ويبدو أن الحصين بن النمير أراد مراوغة عبد الله بن الزبير بإصراره على بيعته بالشام واستدراجه إليها لتسهيل مهمة القضاء عليه ولو كان الحصين بن النمير



صادقاً في دعواه هذه لبايع ابن الزبير في مكة، إضافة إلى أنه ليس ممن بيت في أمر الخلافة الأموية دون مشورة زعماء البيت الأموي.

كان ابن الزبير محقاً في رفضه هذا؛ لأنه لا تربطه بالشام العلائق وليس له بها أنصار، فهي إقليم خاضع لبني أمية وبه قياداتهم وحلفاؤهم الذين لن يرضوا بالتنازل عن خلافتهم طوعاً لابن الزبير. وهكذا فشل الخليفة الأموي يزيد بن معاوية (60-64هـ/680-684م) في إخضاع عبدالله بن الزبير والقضاء على خلافته التي لم تتجاوز حتى هذا التاريخ حدود الحجاز. ثم تولى الأمر بعد يزيد ابنه معاوية الذي لم تستمر خلافته سوى عدة أشهر وتوفي دون أن يعهد بالأمر لأحد من بعده، فاضطربت الأمور في الدولة الإسلامية و عظم أمر ابن الزبير (الطبري دت، ج5، ص511) وعمل عرب الشام القسيسين وعلى رأسهم الضحاك بن قيس الفهري و زفر بن الحارث - كبار قادة بني أمية وقادتهم - على مبايعة عبدالله بن الزبير متخذين بذلك موقفاً معارضاً للقبائل اليمانية في الشام بزعامة حسان بن مالك، والذين اعتمد عليهم خلفاء بني أمية وولوهم المناصب وميزوهم في العطاء على حساب القبائل القيسية (ابن الأثير 1965م، ج5، ص27) ويبدو هنا تأثير المطامع القبلية في الأحداث السياسية في الدولة الإسلامية.

استفاد ابن الزبير من الاضطرابات داخل البيت الأموي الذي أصبح بلا قيادة ففرض سيطرته على معظم البلاد الإسلامية فبايعه أهل المدينة بعد أن طردوا عامل بني أمية منها وعيّن عليهم ابن الزبير والياً من قبله وطلب منهم إخراج بني أمية فأخرجوهم (الطبري دت، ج5، ص585) كذلك ثار أهل البصرة على عاملهم الأموي عبيدالله بن زياد فاضطر إلى اللحاق بالشام، فانتهز ابن الزبير هذه الفرصة ودعا أهل البصرة إلى بيعته فبايعوه و أرسل إليهم أنس بن مالك ليصلي بالناس وعهد بالإمارة لعمر بن عبدالله (الطبري دت، ج5، ص585).

لقيت دعوة عبد الله بن الزبير قبولاً عند أهل مصر وتوجه وفد منهم إلى مكة وبايعوه فعين عليهم عبد الرحمن بن حنبل الفهري (المسعودي 1986م، ج3، ص77)،

كما دخل أهل فلسطين في طاعة عبد الله بن الزبير وولى عليهم ناتل بن قيس الجزامي (اليعقوبي 1977م، ج5، ص255). وفي حمص كان النعمان بن بشير الأنصاري قد دعا له وفي الكوفة دعا له عبد الله بن مطيع العدوي، وفي خراسان عقدت له البيعة بقياده عبد الله بن حازم السلمي، وحتى في دمشق كان الضحاک بن قيس الفهري زعيم العرب القيسية يدعو له، ولم يبق لبني أمية إلا الأردن وعليها غسان بن بردل الذي ظل والياً عليها منذ خلافة معاوية بن أبي سفيان (اليعقوبي 1977م، ج2، ص255).

لما استفحل أمر عبد الله بن الزبير ودانت له الأمصار الإسلامية، وظل الصراع مستمراً داخل البيت الأموي مال إليه بعض قادة بني أمية أمثال عثمان بن عتبة بن أبي سفيان وعمرو بن يزيد الحكمي وكاد مروان بن الحكم شيخ بني أمية أن يبايعه بعد أن رأى الناس مختلفين حتى في دمشق على من تؤول له الخلافة، حتى جاء عبيد الله بن زياد فاراً من البصرة بعد أن طرده أهلها و بايعوا عبد الله بن الزبير فأشار على مروان أن يتولى الخلافة واجتمع بنو أمية وحلفاؤهم العرب اليمانية في الجابية قرب دمشق، وعملوا على توحيد صفوفهم وخرجوا وبايعوا مروان بن الحكم بالخلافة (الطبري دت، ج4، ص240) وبعد اجتماع كلمة بني أمية في الجابية دخلوا في صراع مع عبد الله بن الزبير من أجل السيطرة على الخلافة إنتهت بهزيمة عبد الله بن الزبير في خاتمة المطاف. ولعل من أبرز العوامل التي ساعدت على هزيمة ابن الزبير موقفه من أطراف الصراع الأخرى المتمثلة في قيادات البيت الهاشمي والخوارج.

#### موقف عبد الله بن الزبير من الخوارج:

الخوارج أول فرقة دينية سياسية في الإسلام، وهم أعداء علي بن أبي طالب ونهضوا دوماً في معارضة مسلحة ضد حق قریش في الخلافة في محاولة منهم للحفاظ على مبادئ المساواة في الاسلام والخلافة في فكر الخوارج حق لكل مسلم يجتمع فيه العدل والعلم، فأصلح الناس بها أحق الناس بها قرشياً كان أم غير قرشي، عربياً كان أم غير عربي (أحمد محمد أحمد 1988م، ص73). وهم أول من رفع لواء المعارضة في خلافة معاوية بن أبي سفيان فهم أعداء بني أمية الألدّة منذ أن كانوا جزءاً من جيش علي بن أبي طالب،

ومعاوية بن أبي سفيان عندهم لم ينل الخلافة بإجماع المسلمين ثم حولها إلى مُلك عضود ، وابتدع في الخلافة كثيراً من البدع التي لم تعرف من قبل، فعملوا جاهدين للقضاء على دولة بني أمية (المسعودي 1986م، ج2، ص 458).

بدأت علاقة عبدالله بن الزبير بالخوارج في حصار مكة الأول عندما حاصرتها جيوش بني أمية حيث جاءت جماعات من الخوارج منكرين غزو البيت ومستعدين للذب عنه بقيادة نجدة بن عامر (البلاذري 1996م، ج5، ص366)، وعندما جاء نعي الخليفة يزيد بن معاوية و فُك الحصار عن مكة أذن ابن الزبير للحصين بن نمير وأصحابه من أهل الشام بالطواف بالبيت فأراد الخوارج منعهم ، ثم قالوا ندعهم يطوفون ويذهبون إلى لعنة الله فلن يزيدهم الله بطوافهم هذا إلا شراً (البلاذري 1996م، ج5، ص360).

لما استقر الأمر في مكة لعبد الله بن الزبير قالت قيادات الخوارج منهم نافع بن الأزرق وعبد الله بن أباض، وجماعة من رؤوسهم إنكم أخطأتم لأنكم قاتلتم مع هذا الرجل - يعنون عبد الله بن الزبير - ولم تعلموا رأيه في عثمان بن عفان - وكانت الخوارج تنتقص عثمان بن عفان- فوصف لهم ما كان متصفاً به من التصديق والإيمان والعدل في السيرة الحسنة والرجوع إلى الحق إذا تبين له ، فتفرقوا عنه وفارقوه إلى بلاد العراق و خراسان ، و تفرقوا فيها بأبدانهم وأديانهم و مذاهبهم المختلفة و المتشدة. (ابن كثير 1428هـ/2007م، ج8، ص288).

كان بعض أهل مكة قد استنكر على ابن الزبير الاستعانة بالخوارج فقال لهم : ( لو أعانتي الشياطين على قتال أهل الشام لقاتلتهم به) (البلاذري 1996م، ج5، ص 360)، وهو موقف نفعي يؤكد حرص ابن الزبير للتحالف مع الخوارج أعداء بني أمية ولكنه تحالف لم يستمر بعد الحوار الذي دار بينه وبين الخوارج حول أمير المؤمنين عثمان بن عفان. بعد خروج عبيد الله بن زياد والى بني أمية من البصرة كتب أهل البصرة إلى عبد الله بن الزبير يعلمونه بأنه لا إمام لهم. ويسألونه أن يوجه إليهم رجلاً من قبله ليتولى الأمر فوجه إليهم الحارث بن عبدالله بن أبي ربيعة المخزومي (الدينوري دت، ج3،

ص 201)، الذي دعا وجوه أهل البصرة واستشارهم في رجل يوليه حرب الخوارج - الذين أعلنوا الحرب على خلافة ابن الزبير - فرشحوا له المهلب بن أبي صفرة، وقدم المهلب إلى البصرة وجند الأجناد لحرب الخوارج وهاجمهم وهم بنهر تستر وانتصر عليهم وأجلاهم عن مواقعهم حتى بلغوا الأهواز (الدينوري دت، ج3، ص 403)، ثم هاجمهم في الأهواز وانتصر عليهم وقتل زعيمهم نافع بن الأزرق في عام (665/685م) (البغدادى 1948م، ص 85). وبعد مقتل نافع بن الأزرق خلفه على زعامة الخوارج عبدالله بن الماحوز فبلغ ذلك المهلب فوافاهم بمدينة سابور في فارس وانتصر عليهم وظل يطاردهم من بلد إلى بلد (الدينوري دت، ص 407)، ونهض المهلب لقتال الخوارج في أعداد كبيرة من الأزدي وأهل البصرة ومضى ناحية المشرق يتتبعهم حتى انتصر عليهم انتصاراً حاسماً شرق نهر دجلة عام (666/686م). وقتل زعيم عبدالله بن الماحوز وكثيراً من أتباعه (الطبري دت، ج4 ص 481؛ ابن الأثير 1965م، ج4، ص ص 77 - 78).

عندما تولى مصعب بن الزبير العراق لأخيه عبد الله رأى أن يولي المهلب بن أبي صفرة الموصل والجزيرة وأرمينية وعهد إلى عمر بن عبد الله بن معمر مقاتله الخوارج سنة (668/688م) فسار إليهم وأجبرهم على الانسحاب إلى أصفهان حيث أخذوا ينظمون قواتهم واجتاحوا المدائن وأثاروا فيها الرعب (الطبري دت، ج2، ص 586)، وظلوا مصدر قلق لحواضر العراق، وقصدوا مدينة الري فانحاز إليهم أهلها، ثم حاصروا أصفهان فتصدى لهم عتاب بن رقاء - عامل ابن الزبير - وانتصر عليهم (فلهوزن 1985م، ص 95). وكانت الخوارج قد بايعت قطري بن الفجاءة أميراً عليهم ولقبوه بإمرة المؤمنين عقب مقتل عبد الله بن الماحوز وواصلوا زحفهم نحو البصرة التي كتب أهلها إلى مصعب بن الزبير يطلبون منه إرجاع المهلب إلى قتال الخوارج فأجابهم إلى ذلك (الطبري دت، ج2، ص 586).

دارت مفاوضات بين المهلب بن أبي صفرة والخوارج استمرت ثمانية أشهر وفي أثناء ذلك وقعت موقعة مسكن بين مصعب بن الزبير والخليفة الأموي عبد الملك بن

مروان، والتي انتهت بهزيمة جيش مصعب ومقتله وققدان الزبيريين للعراق عام (692هـ/72م) (فلهوزن 1985م، ص 96).

لا شك أن انشغال عبدالله بن الزبير بحرب الخوارج وطول خطوط إمداده قد سهل مهمة بنى أمية في الشام، وساعدهم على جمع كلمتهم وترتيب أوضاعهم وإعداد العدة للقضاء على خلافة ابن الزبير، ومما زاد من خطورة الخوارج على خلافة ابن الزبير أنهم لم يجتمعوا على قيادة واحدة بل أخذت جموعهم المتفرقة تقلق خلافة الزبيريين بما يعرف بحرب العصابات، فاستغرق ابن الزبير زمناً طويلاً و جهداً كثيفاً في تتبعهم فانصرف بذلك عن محاربة بنى أمية خصومه الأساسيين.

#### الصراع بين عبدالله بن الزبير والهاشميين:

الصراع بين عبدالله بن الزبير وبين بنى هاشم صراع قديم عبرت عنه الموافق السياسية منذ مقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان وقضية القصاص من قتلته وشارك عبدالله بن الزبير في موقعة الجمل بجانب أبيه وقيل إنه استتكر على أبيه الخروج من المعركة بعد أن أقتعه الخليفة على بن أبي طالب بعدم القتال (المسعودي 1986م، ج3، ص401)، ويروى أن على بن أبي طالب قال للزبير بن العوام: (كنا نعدك من بنى عبدالمطلب حتى كبر ابنك ابن السوء هذا ففرق بيننا) (ابن الأثير 1965م، ج3، ص202)، وكان ابن الزبير يُحرض الحسين على الخروج من مكة إلى الكوفة لتخلوا له الساحة في الحجاز (المسعودي 1986م، ج2، ص65).

تجدد الصراع بين عبدالله بن الزبير وبين بنى هاشم عقب استشهاد الحسين بن علي حينما دعا ابن الزبير وجوه أهل الحجاز وتهمته لبيعته فبايعوه وأبى عليه محمد بن علي بن أبي طالب، وعبدالله بن العباس بن عبدالمطلب وهما وقتذاك رؤوس بنى هاشم وعندها حاول ابن الزبير إلزامهما بالبيعة وهددهما بالقتل وحبسهم مع بعض الهاشميين ونفر من وجوه أهل الكوفة، فبعث محمد بن علي بن أبي طالب المعروف بابن الحنفية إلى المختار بن أبي عبيد الثقفي كتاباً يشرح فيه ما حدث ويطلب النجدة، فأرسل المختار جنداً إلى مكة لإنقاذ ابن الحنفية وأهله، فأخلوا سبيله وبلغ عدد الذين وفدوا إلى مكة أربعة آلاف رجل قسم ابن الحنفية بينهم المال وعادوا أدراجهم.

بدأ التباين واضحاً بين عبدالله بن العباس وبين الزبير في موقف ابن عباس من إعادة بناء الكعبة بعد رميها بالمنجيق من قبل بني أمية، فأراد ابن الزبير هدم الكعبة وإعادة بنائها، فوافقته على ذلك جابر بن عبدالله الأنصاري وعبد الله بن عمر بن الخطاب، ورفض ذلك ابن عباس خوفاً من أن يأتي رجل آخر فيهدمها، فهدمها ابن الزبير وأعاد بناءها فقال ابن العباس: (مازلنا نعلم أن الحجر من البيت فبنيت وأدخل الحجر فيها) (البلاذري 1996 م، ج5، ص370)، وأستمرت الخلافات الفكرية والسياسية بين ابن عباس وابن الزبير حيث يروى أن ابن الزبير قال لابن عباس: (قاتلت أم المؤمنين وحواري رسول الله (صلى الله عليه وسلم) - يعني الزبير بن العوام - وأفتيت بزواج المتعة) فقال ابن عباس: (أما أم المؤمنين فأنت أخرجتها وأبوك، وبنا سميت أم المؤمنين، وكنا لها خير بنين فتجاوز الله عنها، وقاتلت أنت وأبوك علياً فإن كان مؤمناً فقد ضللتم بقتال المؤمنين، وإن كان كافراً فقد بؤتم بسخط من الله لفراركم يوم الزحف وأما المتعة فقد بلغني أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) رخص فيها، وإن أول مجمر سطع في المتعة لمجمر في آل الزبير) فبلغ ذلك أسماء بنت أبي بكر فقالت لعبدالله ألم انهك عن ابن عباس وبني هاشم (البلاذري 1996م، ص56). ويروى أن ابن عباس دخل على ابن الزبير وقال له: (ماينقضي عجبني من تزنيك على بني عبدالمطلب تخرجهم من حرم الله وهم والله أولى به وأعظم نصيباً منك) فقال ابن الزبير (ما منك أعجب ولكن من نفسي حين أدعك تتطق عندي ملء فيك) فقال ابن عباس: (والله ما نطقت عند أحد من الولاة أحسن منك، فقد والله نطقت غلاماً عند رسول الله (ص) وأبى بكر، ونطقت رجلاً عند عمر وعثمان وعلي يروني أحق من نطق فيسمع رأيي وتقبل مشورتى، وكل هؤلاء خير منك ومن أبيك) (البلاذري 1996 م، ج3، ص482)، وبلغ محمد بن الحنفية أن ابن الزبير وقف خطيباً فقال من على بن أبي طالب فقال (شاهت الوجوه: يا معشر قريش أيقال هذا بين أظهركم وانتم تسمعون، ويذكر علي ولا تغضبون)، فبلغ ذلك ابن الزبير فقال هذه عذرة الفواطم فما بال ابن أمة بنى حنيفة - يُعرض به.

تاكيداً لموقف بنى هاشم المناوئ لابن الزبير رُفعت في مكة عام

(64هـ/684م) اربع رايات: راية لمحمد بن الحنيفة في أصحابه، وابن الزبير في

أصحابه، ونجدة بن عامر الحروري الخارجيّ ، ولواء بني أمية (اليقوبي 1977م، ج2، ص182).

أخذ الصراع يتسع بين ابن الزبيرو وبين والهاشميين بشكل عام ومحمد بن علي بن أبي طالب بشكل خاص عند ظهور المختار بن أبي عبيد الثقفي وهو رجل واسع الطموح لم يلزم جانباً واحداً في الصراع على السلطة فاتصل بابن الزبير في مكة مدافعاً عن الكعبة على إثر حصار بني أمية لها ولكن ابن الزبير ارتاب في أمره فتوجه نحو الكوفة (البلاذري 1996م، ج5، ص215)، وكان أهل العراق قد طردوا واليهم الأموي - كما ذكرنا سابقاً وعندما وصل المختار إلى الكوفة رأى أن خير وسيلة " لاستمالة أهلها هي الدعوه لآل البيت ، فادّعى أنه موفد من قبل محمد بن علي بن أبي طالب ، وأنه جاء باسمه من أجل الأخذ بثأر الحسين بن علي والذين قُتلوا في كربلاء ، ويروى أن ابن الحنيفة لم يتجاوب معه في واقع الأمر وقال له : (إني لأحب أن ينصرنا ربنا ويهلك من سفك دماءنا ولست آمراً بحرب ولا إراقة دماء ، فإنه كفى بالله لنا ناصراً ولحقناً اخذاً ويدمائناً طالباً) (البلاذري 1996 م ، ج5، ص218)، ويروى أن محمد بن الحنفية قال لو فد من أهل الكوفة جاءوا يسألونه عن رأيه في المختار بعد أن ادعى إنه موفد من قبله (ما أحب إلينا من طلب ثأرنا وأخذ بحقنا وقتل عدونا)، ويبدو أن ابن الحنفية كان راضياً عمّا قام به المختار ؛ لأنه كان بإمكانه إعلان البراءة منه صراحة ، كما فعل علي بن الحسين ، ويؤيد رضاء محمد بن الحنيفة عن المختار بن أبي عبيدة الثقفي أنه استتصر به عندما ضيق عليه ابن الزبير الخناق (اليقوبي 1977م، ج2، ص202) ، ولم يخرج المختار على طاعة ابن الزبير رغم انتصاره على بني أمية في العراق وقتل قتلة الحسين بقيادة الحصين بن النمير وعبيد الله بن زياد وعمر بن سعد أبي وقاص وكثيراً من أشراف أهل الشام بل ظل يخادعه حتى لا يجمع بين عداوته وعداوة بني أمية ، لكن المختار أخذ يدعو لإمامة محمد بن الحنيفة وبعث إليه كتاباً يعرض فيه استعداده لإرسال جنده إلى المدينة لمحاربة ابن الزبير إذا أعلن تأييده صراحة (فلهوزن 1985م، ص216). على إثر هذه الحادثة تأكد لابن الزبير موقف المختار من بيعته وتأييده لآل البيت فعزم على القضاء عليه وندب إليه أخاه مصعب ودارت بينهما معركة في رمضان عام

(67هـ/687م) انتهت بهزيمة المختار في جمع غفير من أتباعه وفرض ابن الزبير سلطانه على الكوفة (ابن الأثير 1965م، ج3، ص108).

فقد الهاشميون سندهم بموت المختار، وكان ابن الزبير قد توجس منهم منذ خروج المختار واستيلائه على الكوفة ودعوته لإمامة آل البيت وتسمية محمد بن الحنفية بالمهدي (ابن سعد 1376هـ، ج5، ص101) فأخرج ابن الزبير عبدالله بن عباس إلى الطائف وحاول منعه من مجالسة الناس، وظل ابن العباس على ذات موقفه ذاته من الخلافة الزبيرية، ويُروى أنه أوصى ابنه علياً بالذهاب إلى عبد الملك بن مروان في دمشق ومخالفة ابن الزبير، ونفي محمد بن الحنفية إلى رضوى قرب المدينة المنورة (البلاذري 1996م، ج2، ص70)، وكان علي بن الحسين بن علي قد رفض الإنضمام إلى أهل المدينة المدعومين من ابن الزبير في حريهم ضد الأمويين في واقعة الحرّة الأمويين مع أهل المدينة المدعومين من ابن الزبير في واقعة الحرّة (ابن كثير، ج8، ص207) وظلّ العداء مستمراً بين عبدالله بن الزبير والهاشميين حتى قضى بنو أمية على خلافة ابن الزبير عام (72هـ/692م).

#### خاتمة:

هكذا احتدم الصراع السياسي والعسكري بين عبدالله بن الزبير وبين الأطراف المتصارعة على الخلافة الإسلامية عقب وفاة يزيد بن معاوية عام (64هـ/684م)، وتضعف الخلافة الأموية حيث اشتد الصراع بين ابن الزبير والخوارج من جهة وبين الهاشميين من جهة أخرى، ويمكن القول إنّ هذا الصراع أنهك عبدالله بن الزبير كثيراً وشغله عن هدفه الرئيس المتمثل في القضاء على بنو أمية، مما ساعد على القضاء على خلافته، وقد عبّر هذا الصراع عن ضعف سياسي عاناه ابن الزبير الذي فشل في عقد تحالفات دائمة تُعينه في حرب خصومه الأمويين، حيث ظل الرجل يحارب الجميع في آن واحد: الخوارج، وبنو هاشم المستنودين بجيش المختار إضافة إلى بنو أمية.

#### النتائج:

1. فشل عبد الله بن الزبير في تحقيق أهدافه حيث جعل من الحجاز مقراً لحكومته، والحجاز كان قد فقد مكانته السياسية بعد انتقال عاصمة الخلافة منه إلى الكوفة ثم إلى دمشق، إضافة إلى كونه إقليمياً فقيراً لا يمتلك جهازاً إدارياً متطوراً مثل الشام والعراق.



2. عانى عبد الله بن الزبير مشكلة كبرى حيث لم تكن له تحالفات دائمة فقد كان يعتمد على تحالفات مؤقتة مثل تحالفه مع المختار بن أبي عبيد الثقفي والخوارج الذين تخلوا عنه بسبب تباين وجهات النظر .
3. مثل موقف عبد الله بن الزبير من أمير المؤمنين عثمان بن عفان مأزقاً عقدياً فهو يرفض البراءة من عثمان بن عفان بل يُثني عليه ، وفي الوقت نفسه ينازع بني أمية الخلافة وهم يرفعون شعار القصاص من قتلة عثمان بن عفان مما باعد بينه وبين الخوارج.
4. فقد ابن الزبير تعاطف فتنّة كبيرة من المسلمين بإعلانه العداء لبني هاشم والجماعات المطالبة بعودة الخلافة لآل البيت.
5. من عوامل إخفاق ابن الزبير مناهضته كل القوى المتصارعة على الخلافة في آن واحد حيث ظل يحارب جماعات الخوارج ، والمختار بن أبي عبيد الثقفي الداعم لآل البيت ، بدلاً من أن يركز جهوده ضد الدولة الأموية مما سهل على بني أمية القضاء عليه.
6. ساهم تمركز خصوم ابن الزبير(الخوارج والهاشميون) في إقليم العراق وشرق العالم الإسلامي في زعزعة سيطرته على هذه المناطق ، بينما ظل بنو أمية المتمركزين في الشام موفوري القوة في انتظار ما سيسفر عنه الصراع بين ابن الزبير وبين خصومه.
7. بعد هزيمة ابن الزبير انتهى دوره السياسي؛ إذ لم يظهر من ينادي بعودة خلافته. وربما يرجع ذلك إلى أنه لم يكن يحمل مبادئ عقائدية مثل الشيعة والخوارج فهو دعا فقط لإصلاح المجتمع الإسلامي وكسر احتكار بني أمية للخلافة وإعادة لها لعهدا الراشد.

#### المصادر والمراجع:

- ابن الأثير، على بن محمد بن أبي الكرم 1965م، الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت.
- ابن خلدون، عبد الرحمن (د.ت)، العبر وديوان المبتدأ والخبر، دار المعارف، القاهرة.

- ابن سعد، أبو عبد الله محمد 1376هـ ، الطبقات الكبرى، دار بيروت للطباعة، بيروت.
- ابن عبد الحكم، عبد الرحمن 1965م، فتوح مصر وأخبارها، بيروت.
- ابن كثير، عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر 1428هـ/2007م، البداية والنهاية، دار ابن كثير، دمشق، بيروت.
- ابن هشام، أبو محمد عبد الملك الحميري 1931م، السيرة النبوية ، (تحقيق) مصطفى السقا وآخرين ، مطبعة الحلبي، القاهرة.
- أحمد محمد أحمد جلي 1988م، دراسة عن الفرق و تاريخ المسلمين (الخوارج والشيعة)، مركز الملك فيصل للدراسات والبحوث الإسلامية، الرياض.
- البغدادي، أبو منصور عبد القادر بن طاهر 1948م، الفرق بين الفرق، القاهرة .
- البلازري، أحمد بن يحيى بن جابر 1996م، أنساب الأشراف دار الفكر، بيروت.
- الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود (د.ت)، الأخبار الطوال، مطبعة المعرفة، بغداد.
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (د.ت)، تاريخ الأمم و الملوك، دار المعارف، القاهرة.
- الكوفي، أحمد بن أعثم 1975م، كتاب الفتوح، دار العلم، بيروت.
- المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين 1986م، مروج الذهب ومعادن الجوهر، (تحقيق) مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت.
- اليعقوبي، أحمد بن يعقوب بن جعفر 1977م، تاريخ اليعقوبي، مطبعة الحسيني، القاهرة.
- فلهوزن 1985م، أحزاب المعارضة السياسية والدينية في الإسلام (الخوارج والشيعة)، القاهرة.
- محمد بن حبيب 1980م، المنمق في أخبار قریش، بيروت.

## تاريخ البصرة الحديث في المصادر الروسية

أ.د. صبري فالح الحمدي

### المقدمة:

جاءت هذه المحاولة في تناول تاريخ البصرة\* الحديث من خلال المصادر الروسية لكشف جوانب أخرى من تاريخ المدينة غير السياسي لأهميتها التجارية، نظراً لوقوعها في شمال الخليج العربي، لا سيما أن خصوصية هذه الدراسة تأتي من كون هذه المدة من تاريخ البصرة قد شهدت تنافساً سياسياً بين الدولة العثمانية وبريطانيا على تلك المدينة، فضلاً عن ظهور المنافسين الروسي والألماني، في محاولة كل طرف لفرض هيمنته على المنطقة، فمعظم معلوماتنا عن تاريخ البصرة وبقية أرجاء الخليج العربي اعتمدت في الغالب على المصادر المحلية والإنكليزية، فضلاً عن الكتب العربية والمترجمة إلى اللغة العربية. وستلاحق الدراسة في صفحاتها المتواضعة ما تضمنته المصادر الروسية على أنواعها الوثائقية المنشورة والمؤلفات المعربة والبحوث المنشورة باللغة العربية، أو المترجمة من اللغة الروسية، عن ما ذكر عن البصرة في جوانب كثيرة.

إن مدة ولاية المصلح مدحت باشا ( 1869 - 1872م ) وما صاحبت حكمه من تطورات اقتصادية واجتماعية وسياسية، لم تقتصر على ولاية بغداد، وإنما شملت البصرة وما جاورها، قد أسهمت في أحداث تطورات مباشرة في البصرة لأسباب تتعلق بموقعها الجغرافي بوصفها منفذ العراق البحري مع العالم الخارجي، ودورها التجاري في شمال الخليج العربي، نحن بحاجة إلى الكشف عن جوانبها بالرجوع إلى مصادر جديدة، ربما ستكون عنواناً لنا في تسليط الضوء عن ماهية وظيفة البصرة التجارية، التي كان اسمها يتردد كثيراً في الارشيفات الروسية في بطرسبرج وموسكو، وما دونه كتاب روس وعرب، كانت لهم جهود خيرة في محاولة الإحاطة

بتلك الظواهر، والإتيان بمعلومات تمهد الطريق للباحثين في التصدي لدراسة تاريخ البصرة، التي ستظل تحتل مكانة خاصة في تاريخ العراق والخليج العربي. لما كانت الأحداث التي وقعت في الخليج العربي مطلع العصور الحديثة عقب وصول البرتغاليين إلى الشرق، وما تبعه من ظهور المنافس الإنكليزي في بداية القرن السابع عشر، ثم الهولندي في معظم سنوات القرن الثامن عشر، والفرنسي الملازم له، قد أدى إلى أحداث تطورات على أوضاع البصرة في مجالات شتى بوصفها جزءاً من المنطقة، الأمر الذي ستتابع الدراسة آثاره الاقتصادية والاجتماعية والسياسية على البصرة، بالإفادة هذه المرة من المصادر الروسية، لعلنا نستطيع الإتيان بنصوص تعيننا في الكشف عن أوضاع البصرة التجارية ومظاهر حياة السكان المعيشية والاجتماعية، تضاف إلى ما هو موجود عنها في المصادر الأخرى التي اعتمدت في هذا البحث في التعريف ببعض الشخصيات والأحداث، فكانت عاملاً مساعداً في محاولة الاحاطة بجوانب الدراسة وتغطية بعض مفردات مادتها التاريخية.

### تاريخ البصرة الحديث في المصادر الروسية:

احتل الخليج العربي أهمية بوصفه طريقاً مهماً في أثناء ازهار حضارة وادي الرافدين للقوافل التجارية بين الأخيرة وداخل الجزيرة العربية، من جهة، وصلاته المتزايدة في العلاقات مع بلاد الهند وشرق إفريقيا، وفي أثناء ذلك احتلت البصرة (حسين محمد القهواتي 1980م، ص ص 23 - 24) التي تقع شمال الخليج العربي مكانة طيبة بحكم اتساع علاقاتها التجارية بين الشرق والغرب، وعلى أثر اكتشاف البرتغاليين (Hoskins 1981, p.20) طريق رأس الرجاء الصالح عام 1498م بعد وصول فاسكو دي غاما - بمساعدة الملاح العربي أحمد بن ماجد - إلى الهند فقد تنامي دور البصرة التجاري، وأصبحت ملتقى للطرق التجارية المحلية والدولية (Morrison 1954, p.14).

تأسيساً على ذلك أصبحت البصرة تؤدي وظيفة تجارية تتمثل في توزيع البضائع القادمة من الهند، كالتوابل والحريز والبخور المتجه إلى بلدان البحر

المتوسط، لا سيما المدن التجارية الإيطالية، عبر أراضي العراق والشام، عن طريق القوافل البحرية، وبالعكس (يقضان سعدون العامر 1990م، ص18)، لذلك كان من الطبيعي أن يتكرر اسم البصرة في الوثائق الروسية المنشورة منذ القرن الثامن عشر، بوصفها إحدى المدن التي تمر عبرها تلك القوافل. وفيما يأتي ما ورد بشأن البصرة في الوثيقة التي أعدها "أ. نيولوبين" المقيم الروسي في القسطنطينية عام 1745م، التي كان قد بعثها إلى الأمير "يوسفوف" رئيس صنف التجار في موسكو، محتوية على معلومات جغرافية واقتصادية في النص الآتي: "تسير القوافل من تركيا إلى إيران عن طريق أرض روم وانغورا، ومن أزمير إلى حلب... الخ، زمن الإسكندر كذلك إلى حلب وبابل والبصرة على خليج فارس (الخليج العربي)" (ردكين 2007م، ص116).

تزايدت أهمية البصرة التجارية خلال القرن التاسع عشر بفضل التقدم العلمي والثورة الصناعية والنهضة في العراق وفتح قناة السويس للملاحة (حسين محمد القهواتي)، وصارت محطة تلتقي عندها القوافل التجارية البرية والبحرية القادمة من الهند مروراً بإيران، والأخرى القادمة من الخليج العربي والكويت، فضلاً عن داخل الجزيرة العربية، ومما يعزز ذلك ما جاء في كتابات آداموف - القنصل الروسي في البصرة أواخر القرن التاسع عشر - في بيان حقيقة تلك الأهمية على النحو الآتي: "كانت البصرة تتمتع بأهمية كبرى في تجارة العبور (transit)، وكان لجميع الشركات التجارية الأمل في الخليج العربي ممثلياتها ووكالاتها في الميناء، وقدرت قيمة البضائع الأوروبية الواصلة عام 1897م إلى ميناء البصرة من الهند أو البلدان الأوروبية بما يساوي (813,472) جنيه استرليني (آداموف 2009م، ص7؛ ارشيف المخطوطات الروسية، مجموعة سوفسكايا، ج11).

الجدير بالذكر أن البصرة حظيت باهتمام الأوساط الروسية بوصفها بوابة العراق البحرية نحو الخليج العربي، إذ كانت السفن الراسية في مينائها تضم أجناساً عديدة كالعرب والفرس والأتراك والهنود، وهي تحمل مختلف أنواع البضائع من معدات الطبخ، والفواكه، فضلاً عن نقل تلك السفن الأغنام والخيل والدجاج وغيرها، الأمر

الذي جعل الميناء مكتظاً بحركة السفن القادمة والمغادرة للبصرة (Whigham 1903, p.134). وقد تزايدت أهمية هذا الميناء في الربع الأخير من القرن التاسع عشر، وينقل لنا آداموف مشاهداته عما لمسه في تلك المدينة وقتذاك، نظراً لأنه عايش الأحداث التي جرت فيها وفي أنحاء أخرى من العراق العثماني. ونقتبس هنا ما ذكره بشأن البصرة في الربع الأخير من القرن التاسع عشر: "لم تكن البصرة حتى الربع الأخير أكثر من جزء من باشوية بغداد (آداموف 2009م، ص 471) التي تمتد من الخليج العربي حتى مدينة ماردين طولاً، ومن كردستان وجبال فارس حتى صحراء شبه جزيرة العرب عرضاً. تبلغ مساحة ولاية البصرة - بما في ذلك الإحساء والقطيف وقطر - ما يقرب من (130,000) كم، حيث تقدر المعطيات العثمانية التاريخية الواردة في الحوليات الرسمية الخاصة بولاية البصرة هذه المساحة ب (150,000) كم (آداموف 2009م، ص ص 13 - 14).

شهد عام 1900م نمواً في العلاقات الروسية مع الخليج، وتزامن ذلك مع تصاعد التنافس الألماني (Anderson 1965, p.264) - الروسي - البريطاني للسيطرة على المنطقة، لا سيما بعد أن تردد أن البصرة ستكون نهاية لمشروع سكة حديد برلين - بغداد (نوري عبد البخيت 1976م، ص ص 63 - 69) (1888 - 1913م) الذي عُده امتيازاً حصلت عليه ألمانيا من الدولة العثمانية، وقد وضع ذلك قائد السفينة الروسية "غليبياك" (ام . اندر ينيوس) بإشارته: "إنه رغم جميع الفتن التي يديرها الانكليز (Curzon 1966, p.464؛ فرح باسم ابراهيم 2007م، ص 37) فإن مجرد ظهور جليبياك في البصرة سبب موجة من الحماس بين السكان المحليين (دياكوف 2007م، ص 66).

مثلت زيارة السفينة "غليبياك" تحولاً في النشاط الروسي صوب البصرة منتصف عام 1900م، وما لاقاه بحارتها من معارضة بريطانية لتحركاتهم هناك، لا سيما بعدما تردد عن رغبة روسيا في الحصول على امتياز في بلاد فارس والدولة العثمانية لمد سكة حديد من البحر المتوسط إلى مدينة الكويت (خالد العزي 1972م، ص 37)، وجاء في تقريرها بشأن البصرة ما يأتي: "وصلت "غليبياك" إلى البصرة وبعد تمضية الحجر الصحي، أدت التحية للحاكم العام محسن باشا بطلقات المدفعية، وأثار تبادل التحايا

المدفعية احتشاداً عارماً بين الناس، وجرت زيارات متبادلة ومآدب احتفالية عديدة، وأحيط الروس بأرفع درجات المغامرة، غير أن الانكليز (فواز مطر نصيف الدليمي 2007م، ص162) لم يتخلوا عن محاولات قاموا بها لعرقلة التجارة ، فقد طلب الحماية من القنصل الروسي في بغداد " كروغولوف " ( 1898- 1901م) ، تجاراً من أهالي البصرة كانوا يجلبون إلى السفينة المأكولات والمواد الضرورية ، وقد تبين أن القنصل البريطاني كان يهددهم بالنفي الإداري حالما تبحر " غليان " ، ويسافر " كروغولوف " ، كما أن السفينة أحدثت انطباعاً شديداً في نفوس السكان المحليين من المصاييح الكاشفة الكهربائية ل " غليانك " التي لم تكن لها مثيل في السفن البريطانية (ارشيف سياسة روسيا الخارجية، ملف السفارة في القسطنطينية، اضبارة رقم 1244، ص ص52- 53) .

جاء ذكر البصرة في الوثائق الروسية المنشورة عام 1905م وهي تتحدث عن النتائج الايجابية من إنشاء الحكومة الروسية قنصلية لها في بوشهر في العام نفسه ، وتم افتتاحها عام 1900م، ترأسها " جابرييل فلاديميرفيتش اودسينكو " الذي كان من قبل سكرتيراً لقنصلية روسيا في بغداد ، وقد وضع النتائج الطيبة المتحققة والعلاقة مع السكان ، والفوائد الاقتصادية ، لأجل تمكين روسيا من مواجهة النفوذ البريطاني في السطور الآتية : " خلال عدة سنوات تحققت نتائج واضحة في مواجهة الإنكليز الأمر الذي أثار حماس السكان المحليين وإقامة صلات سياسية وتجارية وحضارية وثقافية بين الروس والخليجيين ، وإنشاء خط ملاحى بين أوديسا والبصرة " (ارشيف السياسة الخارجية للإمبراطورية الروسية المحفوظة بالسفارة في القسطنطينية، الملف 517/2، الإضبارة 156، القنصلية في بوشهر، ص ص 5- 6) .

هنالك كم وافر من المعلومات عن مدن الخليج العربي ومن ضمنها البصرة ، نجدها في الاضبارات التي يضمها ارشيف الحكومة الروسية في بطرسبرج ، ولا سيما تلك المتعلقة بنشاط الخط الملاحى بين أوديسا على البحر الأسود والبصرة للمدة من القرن التاسع عشر حتى قيام ثورة أكتوبر ( تشرين الأول ) الاشتراكية عام 1917م ، التي قضت على النظم القيصري في روسيا ، وبهذا الخصوص بعث أوفسيينكو ( Ofseenko ) القنصل الروسي في البصرة ، مذكرة إلى إدارة الشركة الروسية

(فرح باسم إبراهيم 2007م، ص120) للملاحة والتجارة في سان بطرسبرج ، يبين فيها أوجه النشاط التجاري لموانئ الخليج العربي عام 1906م ، وحركة التحميل والتفريق لإحدى السفن في موانئ المنطقة ، وسنقتصر على ذكر البصرة ذات الصلة بموضوعنا من ذلك التقرير :

الوثيقة : الصفحة 44 - 45 من الاضبارة، النسخة غير أصلية "مصدق عليها".

السفينة التي دخلت الآن الخليج كانت ذات ساريتين واسمها سيسيليا (Cicilia) ، وزنها ( 1865 طناً ) ، سرعتها 11 ميلاً . تركت السفينة المذكورة بندر عباس ليل يوم 11 ايلول وأخذت معها كيسين من السمك المجفف و (18) راكباً إلى البصرة ب (9) روبيات لكل واحد ... ، وتركت لنجة في (13) أيلول وأخذت منها (15) كيساً من السمك المجفف، و (26) راكباً للبصرة ... ، وفي الثالثة بعد ظهر يوم (14) أيلول غادرت جزر البحرين وحملت على متنها (13) راكباً إلى البصرة " (الارشيف الروسي التاريخي في بطرسبرج، الملف رقم 107) .

ورد أيضاً اسم البصرة بوصفها أحد مراكز التجارة العربية، في سجلات دائرة الاحصاءات الخارجية الروسية لعام 1906م، التي أعطتنا وصفاً جغرافياً ونصوصاً عن تجارة المدينة وعلاقاتها ، الأمر الذي كان حافزاً للتجار الروس إلى دعوة حكومتهم إلى إنشاء شركة تتولى الاشراف ومتابعة النشاط التجاري مع البصرة ، وفيما يأتي ما نشرته تلك الدائرة بشأن الأخيرة : " إن البصرة مركز تجاري مهم على ساحل شط العرب ، يبلغ عدد سكانها عشرون ألف نسمة وأرضها خصبة يزرع فيها التمر ويتم تصديره إلى الخارج ، وتصدر الخيل أيضاً من البصرة. وتبلغ قيمة صادراتها (14) مليون روبل (1) أما قيمة الواردات (13) فهي مليون روبل سنوياً. وتستورد البصرة من الهند القهوة والنيلة والأرز والتوابل والأخشاب من أجل صناعة السفن، ومن الصادرات الرئيسية يمكن ذكر الألواح الخشبية الصغيرة وتصدر إلى الخارج سنوياً بقيمة (3) مليون من الروبيات. وتشكل البصرة نقطة مرور مهمة بين بغداد والخليج العربي،



وتنظم شركتان احدهما إنجليزية والثانية تركية الخطوط الملاحية. وقد عرض التجار من البصرة استعدادهم لإنشاء شركة ملاحية تجارية، وعرضوا على السفارة الروسية في اسطنبول إنشاءها تحت علم روسي ووجهوا دعوة للجمعية الروسية للملاحية والبخارية والتجارة المشاركة في المشروع " (ردكين 2009م، ص ص 165 - 167).

تم توقيع اتفاق بين بريطانيا وروسيا في 31 آب/ أغسطس 1907م قسم مناطق النفوذ بينهما في إيران وأفغانستان ، فضلاً عن الخليج العربي ، وأشارت بنوده إلى التزام بريطانيا بالحفاظ على مصالحها التجارية في الخليج العربي ، معلنة عدم وضعها عراقيل لتجارة البلدان الأخرى (Hurewitz 1972, p.266) ، فحققت بذلك بريطانيا هدفها في منع الروس من توطيد نفوذهم في المنطقة ، إلا أن الخلافات بين بريطانيا وروسيا وإن قلت ، لكنها ظهرت من جديد قبيل الحرب العالمية الأولى، ومن جهة أخرى أدت تلك التطورات إلى إضعاف النشاط الروسي في الخليج العربي ، والبصرة بالطبع ضمن مواضع التأثر.

### الخاتمة :

هناك نتائج خلصت من الدراسة أبرزها :

أولاً : لعل أبرز ما توصل إليه الدراسة يتمثل في توضيح الصورة التجارية في البصرة ببيان طبيعة النشاطات التجارية من حيث البضائع المستوردة والمصدرة منها ، والإشارة إلى أنواع تلك البضائع ومصادرها ، فضلاً عن ذكر الرسوم الجمركية التي كانت تجبي من تلك التجار الموردين لتلك البضائع ، والإشارة إلى الطرق التجارية التي كانت تمر بها السفن التجارية في منطقة الخليج العربي عبر موانئه، أو من خلال القوافل البرية القادمة إلى الجزيرة العربية، لا سيما الكويت وفارس، إضافة إلى وجود طرق تجارية تربط بقية أنحاء العراق بجنوبه والعالم الخارجي ، عبر ميناء البصرة.

ثانياً: حظيت البصرة ومنذ وقت مبكر من تاريخها الحديث باهتمام الأوساط الروسية ، لدورها التجاري الملحوظ في شمال الخليج العرب والعراق ، حين جاء ذكرها في منتصف القرن الثامن عشر ، ضمن التقارير التي كان يبعث بها المقيم الروسي في

القسطنطينية ، مما يشير إلى تعاظم وظيفتها التجارية في عموم المنطقة، وتزايدت مكانتها خلال القرن التاسع عشر، لأمر تتعلق بأهمية البصرة في تجارة العبور ، ووجود فروع ووكالات للشركات التجارية العاملة في الخليج العربي بها ، سواء من بلاد الهند أو البلدان والمدن والشركات الأوروبية كالإنكليزية والفرنسية والروسية .

ثالثاً : اتضح من الدراسة والمعلومات التي اقتبست من المصادر الروسية ، أنه على الرغم من كل المحاولات البريطانية للانفراد بشؤون المنطقة ومنع الدول الأخرى ، ومنها روسيا - موضوع البحث - من إيجاد مواطن قدم لها في البصرة ، إلا أن زيارات السفن الروسية المتكررة إلى ميناء الأخيرة ولقاء قباطنتها بالسكان المحليين وولاية البصرة العثمانيين، قد برهن على وجود رغبة لدى الأهالي في إقامة علاقات طيبة مع الروس ، رغم وجود تهديدات من القنصل البريطاني موجهة إلى السكان بعدم التعامل مع التجار والقناصل الروس ، حتى أن بعضهم طلب الحماية من القنصل الروسي في البصرة جراء سياسة الترهيب البريطانية التي وردت في العديد من المصادر الروسية، فكان ذلك عاملاً مشجعاً في كشف اللثام عن أمور خاصة بتاريخ البصرة والمنطقة سيكون لها أثر طيب في إغناء الدراسات التاريخية المختصة.

المصادر والمراجع:

#### 1- الوثائق الروسية المنشورة:

- ارشيف المخطوطات الروسية ، مجموعة مخطوطات سوفسكايا ، جزء 11 ، نقلاً عن : التجارة الدولية في الخليج العربي خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، اعداد آدموف ، ترجمة نوري عبد البخيت ، مجلة الخليج العربي ، مركز دراسات الخليج العربي ، جامعة البصرة ، العدد 9 ، 1978م .
- ارشيف سياسية روسيا الخارجية ، ملف السفارة في القسطنطينية ، اضبارة رقم 1244 ، ص 52- 53 ، نقلاً عن : سفن روسية في الخليج العربي ، (1899 - 1903م) ، الناشر : ي. ريزفان ، دار التقدم ، موسكو ، 1990م .

- ارشيف السياسة الخارجية للإمبراطورية الروسية المحفوظة بالسفارة في القسطنطينية ، الملف 517/2 ، الاضبارة 156 ، 1913، 1901، القنصلية في بوشهر، ص 5- 6 ، نقلاً عن : جارياتشكين ، جينادي ، من هم القناصل الروس في شبه الجزيرة العربية في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ، مجلة الوثيقة، العدد السادس والأربعون ، السنة الثالثة والعشرون ، يوليو (تموز) ، 2004م.

- الارشيف الروسي التاريخي في بطرسبرج ، الملف رقم 107 ، القائمة رقم 1 ، الاضبارة رقم 1766 سنة 1906م ، رقم الختم : 924 ، تاريخ الختم 6 نيسان 1907م ، ص 44 - 45 من الاضبارة ، نقلاً عن : يافعة يوسف جميل ، العلاقات التجارية بين روسيا والخليج العربي من خلال الوثائق التاريخية للأعوام (1906- 1914م) ، مجلة الوثيقة ، العدد الثاني والثلاثون ، السنة السادسة عشر ، يوليو (تموز) ، 1997م .

## 2- الرسائل الجامعية :

- فرح باسم إبراهيم 2006م، اللورد كرزون ودوره في توجيه السياسة البريطانية في الخليج العربي حتى عام 1905م، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية ، الجامعة المستنصرية، بغداد .

- فواز مطر نضيف الدليمي 2007م ، التنافس البريطاني - الروسي في منطقة الخليج العربي (1798 - 1907م)، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب جامعة بغداد، بغداد .

## 3- الكتب العربية والمعربة :

- آدموف ، السكندر 2009م، ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها ، (ترجمة) هاشم صالح التكريتي ، دار الوراق ، لندن .

- حسين محمد القهواتي 1980م، دور البصرة التجاري في الخليج العربي (1869- 1914م) ، مطبعة الإرشاد بغداد.

- خالد العزي 1972م، الخليج العربي في ماضيه وحاضره ، بغداد .
- يقظان سعدون العامر 1990م، نشاط شركة الهند الشرقية الإنكليزية في البصرة ، مطابع التعليم العالي، بغداد .

#### 4- الكتب الأجنبية:

- Curzon, G.N 1966, Persia and Persian Question, Vol . 11, London .
- Hopkins, J. 1981, The (Persian ) Gulf States, London.
- Hurewitz, J.C 1972, Diplomacy in the Near and Middle East, Vol . 1, (1553-1914) New York .
- Morrison, S. A 1954, Middle East Survey, S. C. M. press Ltd., London.
- Whigham, H. J. 1903, the Persian Problem, London.

#### 5- البحوث المنشورة في دوريات:

- حسين محمد القهواتي 1980م، "أضواء على تجارة البصرة في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر"، مجلة الخليج العربي ، جامعة البصرة ، المجلد 12 ، العدد 2 .
- دياكوف ، نيكولاي ان. يوليو/تموز 2007م، "بعض الوثائق عن تاريخ العلاقات بين روسيا وبلدان الجزيرة العربية في القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين المتواجدة في أرشيفات سان بطرسبرج الرسمية" ، مجلة الوثيقة ، العدد الثاني والخمسون ، السنة السادسة والعشرون .
- ردكين ، او. أي. يوليو/تموز 2007م، الرحلات المنتظمة للسفن الجارية الروسية للخليج العربي (1900- 1904م)" ، مجلة الوثيقة ، البحرين ، مركز الوثائق التاريخية ، العدد الثاني والخمسون ، السنة السادسة والعشرون.
- ..... يناير/كانون الثاني 2009م، "وصف الخليج العربي للرحالة والبحارة الروس من (1897- 1906م) ، مجلة الوثيقة ، العدد الخامس والثلاثون ، السنة الثامنة والعشرون .
- نوري عبد البخيت 1976م، "الصراع بين روسيا وبريطانيا حول فارس والخليج العربي في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين" ، مجلة الخليج العربي مركز دراسات الخليج العربي ، جامعة البصرة ، العدد السادس .

## دور مشروع حلفا الجديدة الزراعي في تنمية قطاع الثروة الحيوانية بالمنطقة

د. عمر أحمد عبد الجليل محمد

أ. مساعد - كلية التربية - جامعة كسلا

### مقدمة:

تضمن تقرير منظمة الأغذية والزراعة للأمم المتحدة (2009م) عن "حالة الأغذية والزراعة" في العالم أن الثروة الحيوانية تساهم بنسبة 40% من القيمة العالمية للإنتاج الزراعي ، و 15% من الطاقة الغذائية ، و 25% من البروتين الغذائي . فمنتجات الثروة الحيوانية توفر المغذيات الدقيقة التي لا يسهل الحصول عليها من الأغذية النباتية، كما تدعم سبل عيش ما يقرب من بليون شخص وأمنهم الغذائي . وقطاع الثروة الحيوانية هو أحد أسرع قطاعات الاقتصاد الزراعي نمواً ، والقوة المحركة له هي نمو الدخل، ويدعمه التغيير التكنولوجي والهيكل. ويتيح نمو القطاع وتحويله فرصاً للتنمية الزراعية ، والحد من الفقر ، وتحقيق مكاسب من حيث الأمن الغذائي. كما أن الثروة الحيوانية محورية لعيش الفقراء ، فهي تشكل جزءاً لا يتجزأ من نظم الزراعة المختلطة ، وتساعد على زيادة إنتاجية المزرعة ، ككل ، وتوفر تدفقاً مطرداً من الغذاء والإيرادات للأسرة . فالثروة الحيوانية تؤدي أدواراً مهمة كثيرة من بينها : دورها في توفير فرص للعمل للمزارع وأفراد أسرته ، ومستودع للثروة ، وضرب من أضرب التأمين الاقتصادي ، ومساهمتها في تحقيق المساواة بين الجنسين بإتاحتها فرصة العمل للمرأة ، وإعادة تدويرها للمخلفات وبقايا المحاصيل ، أو الصناعات الزراعية ، وتحسينها بنية التربة وخصوبتها ، ومكافحتها للحشرات ، ومساهمتها في التخلص من الأعشاب الضارة . كما أن مخلفات الثروة الحيوانية يمكن أن تستخدم كمصدر للطاقة وأغراض الطهي ، مما يساهم في إرساء الأمن الغذائي .

### النشاط الاقتصادي بالمنطقة قبل قيام المشروع :

نظام البداوة الرعوية ، الذي يمثل نمطاً إنتاجياً وحياتياً ، كان هو السائد بمنطقة الدراسة ، وأكثر نظم استخدام الأرض انتشاراً ، حتى منتصف القرن الماضي.

وقد اشتهرت المنطقة بأنها الموطن لبعض المجموعات الرعوية المهمة في السودان ، خاصة مجموعات قبائل الشكرية ، واللحويون ، والكواهلة ، والبجة . وقد كان الحيوان محور الحياة الاقتصادية ، والنظم الاجتماعية ، والثقافية للسكان ، كما كان محور تكيفهم مع البيئة الطبيعية .

اعتمدت آليات ذلك التكيف على تربية أنواع مختلفة من الحيوان أهمها : الإبل ، الأمر الذي ساعد الرعاة على التنقل والترحال الموسمي ، طلباً للماء والمرعى ، في مساحات شاسعة ، امتدت في أقصى شمال البطانة ومناطق قوز رجب في الشمال ، إلى نهر الرهد وما خلفه جنوباً ؛ ومن الحدود الأثرية شرقاً وحتى أبو دليق غرباً . وتشير الشواهد أن المحاكم الأهلية لرعاة البطانة ، وحتى نهاية النصف الأول من القرن الماضي كانت تعقد في قوز رجب في فصل الخريف ورغم أنه كان لكل قبيلة " دارها " إلا أن نظمهم الاجتماعية المرنة جعلت أمر ذلك التنقل ميسوراً وممكناً (منظمة بلان سودان 1997م ، ص 39) .

كل ذلك ساعد في استغلال بيئات إيكولوجية مختلفة ، ذات موارد رعوية متباينة في الزمان والمكان ، مما ساهم في توزيع السكان ، وفي توازن استخدام البيئة ، وبالتالي اتساق العلاقة بينهما وبين النمو في أعداد الإنسان والحيوان وكذلك وفرت دلتا القاش وضاف الأنهار الموسمية (عطبرة ، والقاش ، وسيتيت ، والرهد) ملاذاً للرعاة في فترات الجفاف وحالات نقص الغذاء والمرعى ، والتي هي سمة من سمات المناطق الجافة؛ فإلى جانب الاعتماد الرئيس على الحيوان ، مارس السكان زراعة المحاصيل الغذائية ، خاصة الذرة ، مستخدمين في ذلك تقنيات زراعية تقليدية ، تقوم على حصاد مياه الأمطار عن طريق التروس ، نثر المياه واستغلال بطون الأودية والخيران . وقد وفرت بقايا محصول الذرة مصدراً إضافياً للموارد الرعوية ، مما ساهم في تكامل النشاط الاقتصادي ، وذلك من خلال العلاقات المتبادلة بين الإنتاج المحصولي والحيواني ، بما في ذلك التبادل العضوي (السماذ الحيواني) في بعض الحالات.

شهد النصف الثاني من القرن الماضي تحولاً كبيراً في النمط الرعوي التقليدي بمنطقة الدراسة وترجع جذور ذلك التحول إلى الأخذ بأسلوب التنمية الموجهة والتي أساسها التركيز على القطاع الزراعي التصديري للاقتصاد وما تبعه من تغيير جذري في نظم استخدام الأرض بمنطقة الدراسة حيث تم إنشاء مشروع حلفا الجديدة الزراعي في بداية الستينيات من القرن الماضي في وسط البطانة وما تبعه من تحويل مناطق شاسعة من مراعي مفتوحة (سهول البطانة) إلى الزراعة المروية وما أحدثته من إزالة الغطاء الشجري وبالتالي أدى إلى الضغط على الموارد ، وتدهور النظم البيئية والطبيعية والموروثة بالمنطقة (منظمة بلان سودان 1997م، ص39) .

### أهمية قطاع الثروة الحيوانية بالمنطقة :

يعتبر قطاع الثروة الحيوانية من الأنشطة التقليدية التي تتكامل مع الاقتصاد الزراعي والاقتصاد الريفي بمنطقة الدراسة ، ويشكل هذا القطاع أهمية قصوى في التنمية الزراعية لما له من أثر ملموس على التطور الاقتصادي والاجتماعي لمجتمع المنطقة ، وتبرز أهمية قطاع الثروة الحيوانية في النواحي التالية :

- 1- يمثل مصدراً مهماً للغذاء خاصة الألبان .
- 2- يمثل مصدراً مالياً مهماً في زيادة دخل الأسرة ؛ وذلك من خلال بيعه أو تسويق منتجاته (لبن ، سمن ، جبن ، ...الخ) .
- 3- وسيلة من وسائل التراكم الرأسمالي النقدي الذي تلجأ إليه الأسرة في حالة النقص الشديد في إنتاج المحاصيل الحقلية كما يباع ويستفاد من عائدته في تمويل العمليات الزراعية .
- 4- تمثل منتجاته مادة خام لبعض الصناعات الريفية .
- 5- يشكل مصدراً مهماً للسماد العضوي ؛ حيث تستعمل مخلفاته كسماد عضوي .
- 6- تستخدم منتجاته في بناء المساكن وكذلك الأغشية والمفارش المنزلية .

7- يمثل وسيلة للتنقل الداخلي بين القرى وأماكن الزراعة ، كما يعلب دوراً رئيساً في الحياة الاقتصادية لكثير من السكان ، حيث يستخدم في نقل المحصولات ، وجلب الماء والحطب.

8- يعلب دوراً مهماً في العلاقات الاجتماعية ؛ وذلك من خلال الاقتصاد غير السلعي (الاقتصاد الأخلاقي) Moral Economy أو ما يسمى محلياً بالهبة<sup>(2)</sup> والمنيحة<sup>(3)</sup>.

### ملكية الحيوان :

أظهرت نتائج الدراسة الميدانية إلى أن 78,6% من المبحوثين يمتلكون ثروة حيوانية منهم 62,2% من العرب ، و 16,4% من الحلفاويين جدول رقم (1) . ويمارس السكان نمط الرعي المعيشي ، والذي يغلب عليه الاهتمام بنوع الحيوان باختلاف البيئة الطبيعية المحلية للمنطقة ؛ حيث تسود تربية الإبل بصورة كبيرة في الأجزاء الشمالية ، بينما تقل تربية الأبقار ، ويرجع ذلك لأثر البيئة الجافة في ذلك الجزء من المنطقة ، كما أن بعد المنطقة عن مشروع حلفا الجديدة الزراعي يزيد من تكلفة نقل مخلفات المحاصيل الزراعية وبالتالي تزيد تكلفة التربية ، أما تربية الأبقار فتتركز بصورة كبيرة في الأجزاء الشرقية والغربية من المشروع ، بينما تنتشر تربية الضأن والماعز في جميع قرى المنطقة ؛ ويرجع ذلك لسهولة تربيتهما ، ولقدرتهما العالية على التكيف مع طبيعة المنطقة ، إضافة إلى ارتفاع عائدهما المادي ، وتعدد منتجاتهما .

(2) الهبة : النقل التام لملكية الحيوان ، أي أن الحيوان ونسله للمالك يمارس كامل صلاحيته فيه .  
(3) المنيحة : وهي هبة مؤقتة لشخص آخر يستفيد من منتجات الحيوان على أن يرد الحيوان عندما تتحسن أحواله المالية .



جدول (1) ملكية الثروة الحيوانية للمبحوثين

| المجموع      | القبيلة     |              | الملكية |
|--------------|-------------|--------------|---------|
|              | الحلفاويون  | العرب        |         |
| 216<br>%78,6 | 45<br>%16,4 | 171<br>%62,2 | نعم     |
| 59<br>%21,4  | 25<br>%9    | 34<br>%12,4  | لا      |
| 275<br>%100  | 70<br>%25,4 | 205<br>%74,6 | المجموع |

المصدر : الدراسة الميدانية

درج مربو الثروة الحيوانية بالمنطقة على الاحتفاظ بأنواع متعددة من الحيوانات ، مما يساعد على استغلال بيئات إيكولوجية مختلفة ذات موارد متباينة في الزمان والمكان ، كما أن هذا التنوع يساعد في تفادي الكوارث الطبيعية والبشرية التي تحل بالمنطقة ، لأن لكل حيوان خصائصه الفسيولوجية ، وحتى لا يفقد مالك الحيوان كل حيواناته ، فضلاً عن أن هذا التنوع يؤدي إلى زيادة الإنتاج وتلبية حاجة السوق .

#### أعداد وأنواع الثروة الحيوانية :

يقدر عدد الثروة الحيوانية بولاية كسلا بحوالي 6563915 رأس ما يعادل 2429191 وحدة حيوانية . ويشكل الضأن 45,8% منها ، ويأتي الماعز في المرتبة الثانية بنسبة 29,7% ، ثم الأبقار 12,8% ، وتشكل الإبل 11,7% ، كما يتضح من الجدول رقم (2) ، ويتفاوت معدل النمو السنوي في أعداد الأنواع المختلفة حيث تحققت معدلات عالية نسبياً 2,6% فأكثر للضأن والماعز ومعدلات أقل نسبياً للإبل والأبقار ، وسوف تنعكس هذه المعدلات المتفاوتة على التركيب النوعي للثروة الحيوانية بالولاية .

جدول (2) أعداد وأنواع الثروة الحيوانية بمنطقة الدراسة مقارنة بولاية كسلا

| التنوع  | عدد الحيوانات بالولاية | %    | الوحدة <sup>(*)</sup> الحيوانية في الولاية | عدد الحيوانات بمنطقة الدراسة | الوحدة الحيوانية بمنطقة الدراسة | %    | معدل النمو السنوي |
|---------|------------------------|------|--|------------------------------|---------------------------------|------|-------------------|
| الأبقار | 842126                 | 12,8 | 673701                                     | 218953                       | 175162                          | 12,7 | 1,5               |
| الضأن   | 3007075                | 45,8 | 601415                                     | 872052                       | 174410                          | 50,6 | 2,6               |
| الماعز  | 1950799                | 29,7 | 390160                                     | 448684                       | 89737                           | 26,1 | 3,3               |
| الإبل   | 763915                 | 11,7 | 763915                                     | 183340                       | 183340                          | 10,6 | 1,8               |
| الجملة  | 6563915                | 100  | 2429191                                    | 1723029                      | 622649                          | 100  | 2,3               |

المصدر : معالجة الباحث وفقاً لبيانات إدارة الثروة الحيوانية ، وزارة الثروة الحيوانية والسمكية ، ولاية كسلا ، 2010م .

يشير نفس الجدول إلى أن منطقة الدراسة بها 1723029 رأساً من الثروة الحيوانية أي ما يعادل 26,3% من جملة الثروة الحيوانية بالولاية ، وتستحوذ منطقة الدراسة على 26% ، 29% ، 23% ، 24% من أعداد الأبقار ، والضأن ، والماعز ، والإبل بالولاية على الترتيب .

يتكون قطاع الحيوانات بمنطقة المشروع من أصول محلية نقية وغير مختلطة ، وليس فيها أثر للتهجين مع أي فصيلة ذات إنتاجية عالية مستورة ، مما أدى إلى إنتاجية منخفضة سواء بالنسبة للحم أو اللبن ولا تلبى حاجة السوق من حيث الكم والنوع ، وتحفظ هذه الحيوانات تحت نمط إداري تقليدي متخلف بعيداً عن التربية الحديثة لمزارع الحيوان ، وقد أثرت هذه العوامل على ضعف إنتاج الحيوان من الألبان واللحوم ، إضافة إلى الولادة الأحادية (مرة في السنة) للماعز والضأن بدلاً عن مرتين بنسبة 85% ، علاوة

(\*) تم تحويل أعداد الحيوانات بأنواعها المختلفة إلى وحدات حيوانية مقابلة على أساس أن الرأس من الإبل تعادل وحدة حيوانية ، والرأس من الأبقار تعادل (0.8) وحدة حيوانية ورأس الضأن والماعز تعادل (0.2) وحدة حيوانية استناداً على مسح منظمة الأغذية والزراعة للأمم المتحدة - مكتب شرق السودان ، كسلا

على نسبة النفوق العالية قبل بلوغ السنة الأولى من العمر (إدارة الثروة الحيوانية ، حلفا الجديدة ، 2010م) .

### أهم السلالات الموجودة بالمنطقة :

يتكون قطيع الحيوانات بمنطقة المشروع من أصول محلية نقية وغير مختلطة وليس فيها أثر للتهجين مع أي فصيلة ذات إنتاجية عالية مستورة . مما أدى إلى إنتاجية منخفضة سواء بالنسبة للحم أو اللبن ولا تلبي حاجة السوق من حيث الكم والنوع . وتحفظ هذه الحيوانات تحت نمط إداري تقليدي متخلف بعيداً عن التربية الحديثة لمزارع الحيوان.

أثرت هذه العوامل على ضعف إنتاج الحيوان من الألبان واللحوم ، إضافة إلى الولاية الأحادية (مرة في السنة) للماعز والضأن بدلاً عن مرتين بنسبة 85% ، علاوة على نسبة النفوق العالية قبل بلوغ السنة الأولى من العمر (إدارة الثروة الحيوانية ، حلفا الجديدة ، 2010م) . وأهم السلالات الموجودة بالمنطقة .

1/ الأبقار : توجد أنواع مختلفة من الأبقار أهمها :

#### أ) أبقار البطانة :

تتواجد بصورة كبيرة بالمنطقة وتمتاز بالإنتاجية العالية من الألبان حيث يتراوح إنتاجها اليومي (18 - 20) رطلاً موسم حليب (7 - 8) أشهر وتصل سن البلوغ في (3.5 إلى 4) سنوات .

#### ب) أبقار الإيرشاي :

وهي من سلالة أبقار القاش وهي بيضاء اللون وكبيرة الحجم .

#### ج) أبقار الكنانة :

تتواجد بأعداد قليلة ولها نفس الصفات الإنتاجية لأبقار البطانة .

#### د) أبقار الهجين :

نشأت هذه السلالة من الأبقار عن طريق استخدام التلقيح الاصطناعي لتحسين الأبقار المحلية وتتواجد بأعداد قليلة جداً ولا تتعدى 1% من أبقار

المنطقة ، تمتاز بالإنتاجية العالية من الألبان حيث يتراوح إنتاجها اليومي (30 - 40) رطلاً في المتوسط ، وموسم حليب يصل إلى 9 أشهر ، وتصل إلى البلوغ الجنسي في عمر مبكر (1.5 - 2) سنة .

## 2/ الضأن :

يوجد الدباسي بأعداد مقدرة ويمتاز بكبر الحجم وجودة اللبن . إضافة إلى هذا النوع يوجد الضأن البلدي والبطانة .

## 3/ الماعز :

يجود الماعز النوبي ، ويعتبر من أجود الأنواع من حيث إنتاج اللبن (70 - 110) كيلوجرام في فترة إنتاج قدرها (90 - 150) يوماً .

## 4/ الإبل :

أهم سلالات الإبل الموجودة بالمنطقة :

(أ) العنابي (الأصهب) :

وهو من الإبل صغيرة الحجم خفيفة وسريعة الحركة وتستخدم غالباً في الركوب والسباق.

(ب) البشاري :

وهو أقل حجماً من العنابي ومن أفضل الإبل المستخدمة في السباق .

(ج) العربي :

ويمتاز بكبر الحجم وببطء الحركة لذلك يستخدم في حملة الأمتعة والترحال وإنتاج اللحوم .

أنماط الرعي التقليدي بالمنطقة :

أظهرت الدراسة الميدانية أن هنالك عدة أنماط من النظم الرعوية المتبعة في منطقة الدراسة وهي:

أ/ النمط الرعوي المعيشي المستقر :

هو أكثر أنماط تربية الحيوان سيادة ، ويمارسه معظم سكان القرى الذين يمتلكون حيوانات من المبحوثين ، حيث تحتفظ الأسرة بعدد قليل من رؤوس الماعز ، والضأن والأبقار ويغلب الضأن على هذا النمط ، يبلغ متوسط ملكية الأسرة من الحيوان نحو (3 - 4) رؤوس من الأبقار ، (7 - 8) رؤوس من الماعز و (10 - 15) رأس من الضأن ، وتتمركز الحيوانات بصفة أساسية حول القرية ، للاستفادة من المرعى المتاح قرب السكن في الفصل المطير ، أو على امتداد ترع وقنوات مشروع حلفا الجديدة الزراعي ، أو في غابات القرى الشرقية والشمالية ، حيث يستفاد من ثمار الغابات المجاورة لنهر عطبرة كأعلاف ذات قيمة غذائية لا بأس بها ، ويقوم السكان بتخزين مخلفات المحاصيل خاصة الذرة وال فول السوداني لاستخدامها في فترة الفجوة العلفية ، والتي تمتد من مايو إلى يونيو وأحيانا تحتد في يوليو . كما يلجأ بعض مربي الحيوانات إلى استخدام حبوب الغذاء كغذاء للحيوانات المدرة للبن .

ب/ النمط الرعوي المعيشي شبه المستقر :

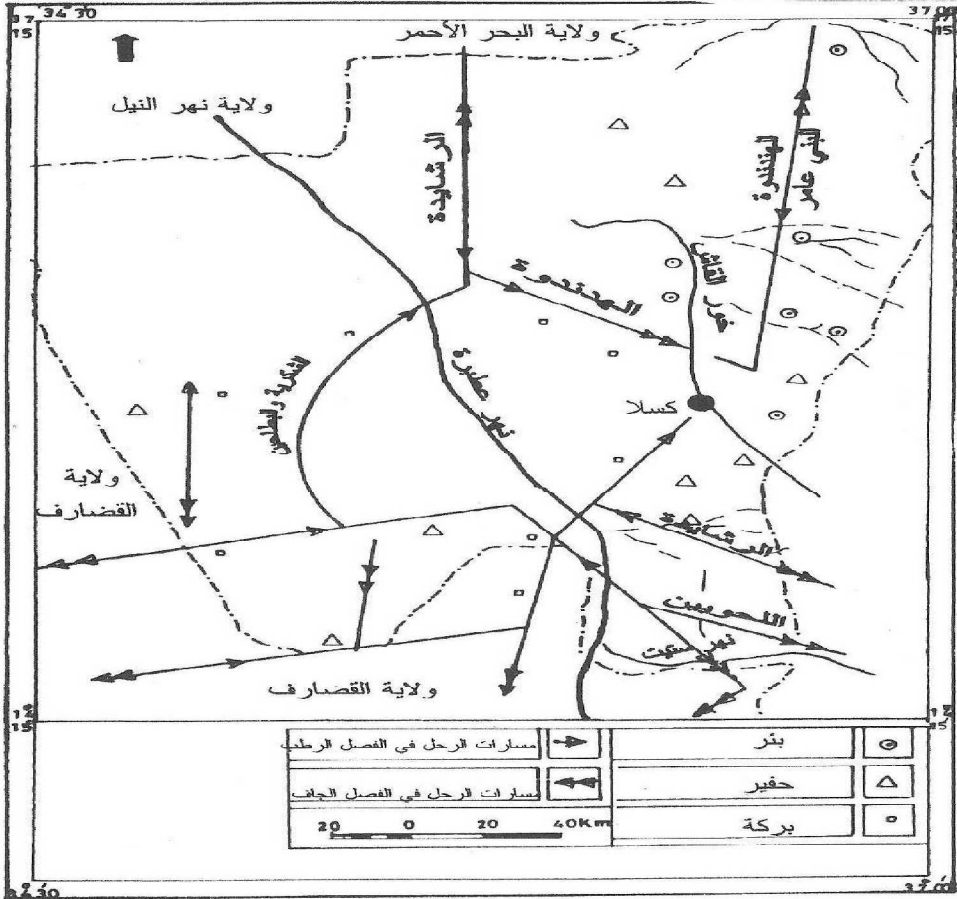
يتميز هذا النمط بازدياد متوسط ملكية الأسرة من الحيوان بالتركيز على الأبقار في القرى الشرقية والغربية ، والإبل في القرى الشمالية ، ويتسم هذا النمط الرعوي بقصر المسافة التي يقطعها الرعاة أثناء ترحالهم بحثاً عن الماء والكلأ قياساً بنمط البداوة البحتة ، حيث تمارس الحركة التقليدية بين المخاريف والمصايف وفق مسارات محددة ، وتمثل المخاريف مناطق ملائمة للرعاة خلال فصل الأمطار نسبة لوجود المرعى والماء ، وغالباً ما تكون الحركة في منطقة البطانة وما حولها في الخريف الجيد الأمطار ، أما في سنوات الأمطار القليلة الأمطار فتطول الرحلة ، وتصل حتى جنوب القضارف والدمازين كما يتضح من الجدول رقم (3) والخريطة (1) .

جدول (3) القبائل التي تنتهج النمط الرعوي التقليدي شبه المستقر بمنطقة الدراسة

| القرى    | القبائل  | نوع الحيوان    | درجة الترحال        | مناطق الترحال  |
|----------|--|----------------|---------------------|--|
| الشرقية  | الشكرية ،<br>والبوادرة ،<br>والخوالدة                                | ضأن و<br>أبقار | متوسطة              | شرق نهر عطبرة ،<br>وجنوب غرب كسلا ،<br>وسهول البطانة               |
| الغربية  | الشكرية ،<br>والبطاحين ،<br>واللحيون                                 | ضأن و<br>أبقار | متوسطة              | سهول البطانة ،<br>ومناطق الصباغ ،<br>والصفية ، والسادة ،<br>ومخريق |
| الشمالية | الكواهلة ،<br>والخوالدة ،<br>والرشايدة ،<br>والأرتيقا ،<br>والأحامدة | الإبل          | متوسطة<br>إلى طويلة | سهول البطانة ، الفاو ،<br>جنوب القضارف ،<br>الدمازين               |

وتبدأ الرحلة العكسية في أكتوبر ، حيث ترعى أو تبدأ الرحلة العكسية في أكتوبر ، حيث ترعى الحيوانات الحشائش الموجودة حول القرى ، إضافة إلى مخلفات المحاصيل الزراعية بمشروع حلفا الجديدة الزراعي ، أما الإبل في القرى الشمالية فتعتمد على نباتات نهر عطبرة وأراضي الكرب ، حيث يوجد غطاء كثيف من أشجار السنط *A. seuya* . السمر *A. tortilis* ، السيال *A. traddiana* ، والهجليج *Balanites aegyptiaca* .

خريطة (1) مسارات الرحل بولاية كسلا



المصدر: إدارة الثروة الحيوانية ، كسلا ، 1996م : الدراسة الميدانية

### الموارد الرعوية بالمنطقة :

تبلغ مساحة المراعي الطبيعية في منطقة الدراسة 600 ألف فدان ، وتشمل المنطقة الغربية حتى حدود ولاية القضايف ، والشريط المحاذي لنهر عطبرة شرق مشروع حلفا الجديدة الزراعي ، والمنطقة الشمالية للمشروع (قوز رجب ، بانقير والمارينبا) حتى حدود ولاية نهر النيل ، حيث ينتج الفدان في ظروف الخريف العادية حوالي 15, 0 طن ، وبالتالي تبلغ جملة الأعلاف المنتجة من المراعي بمنطقة الدراسة 90 ألف طن علف جاف (إدارة المراعي والعلف ، حلفا الجديدة ، 2010م). وهناك

191713 طن علف تأتي من مخلفات المحاصيل الزراعية بمشروع حلفا الجديدة الزراعي جدول رقم (8/5) هذه الكميات المنتجة غير ثابتة وتتغير سنوياً حسب المساحات المزروعة بالدورة الزراعية ، بالمشروع وهناك أعلاف تأتي من مصادر أخرى مثل : مخلفات الزراعة المطرية بالمنطقة ، ومخلفات مطاحن الغلال ، وعصارات الزيوت ، ومصنع سكر حلفا الجديدة ، وأراضي الجروف على الضفة الغربية لنهر عطبرة ، وأراضي الأملاك ، ولكن لا توجد إحصائيات توضح كميات الأعلاف المنتجة من هذه المصادر .

جدول (4) الموارد الغذائية للحيوان المنتجة من المخلفات الزراعية بمشروع حلفا الجديدة الزراعي:

| المحصول            | المساحة (فدان) | إنتاج الفدان من المخلفات (طن) | إجمالي المخلفات (طن) |
|--------------------|----------------|-------------------------------|----------------------|
| الذرة              | 72000          | 1,9                           | 136800               |
| القطن              | 36085          | ,15                           | 5413                 |
| الفاول<br>السوداني | 41250          | 1,2                           | 49500                |
| القمح              | صفر            | 0,5                           | صفر                  |
| الجملة             | 149335         | -                             | 191713               |

المصدر : معالجة الباحث وفقاً لبيانات إدارة التخطيط والبحوث الاقتصادية ، هيئة حلفا الجديدة الزراعية ، 2010م : مصطفى محمد سعيد وآخرون ، 2001م .

وفقاً لبيانات إدارة الثروة الحيوانية بولاية كسلا فإن تقدير أعداد الثروة الحيوانية بمنطقة الدراسة 1723029 أي ما يعادل 622649 وحدة حيوانية ، وأن العلف المنتج من مشروع حلفا الجديدة الزراعي يساوي 191713 طن في السنة ، في حين أن حجم الاستهلاك للقطيع يبلغ 1681152 طن (بمعدل 2,7 طن للوحدة الحيوانية في السنة) ، ومن ذلك يتضح أن الموارد الغذائية للحيوان المنتجة من المشروع



تغطي فقط 11,4% من استهلاك القطيع . أما المراعي الطبيعية بالمنطقة تغطي فقط 2,7% من احتياج القطيع ، يتضح من ذلك أن الموارد الغذائية بالمنطقة تكفي 14,1% فقط من احتياجات الثروة الحيوانية بالمنطقة .

### المشكلات التي تواجه قطاع الثروة الحيوانية بالمنطقة :

#### 1- عدم كفاية المراعي :

تتسم المراعي في منطقة الدراسة بضعف الغطاء النباتي متمثلاً في انخفاض الحيوية ، وانخفاض الكثافة ، وقلة التغطية النباتية ، وهشاشة التركيب النوعي ، وقلة الأنواع المكونة العشيرة النباتية وانخفاض معدل الإنتاجية لوحدة المساحة . وأفرزت هذه الخصائص مراعي فقيرة منخفضة الإنتاجية الرعوية ، ومتذبذبة الإنتاج من عام إلى آخر اعتماداً على هطول الأمطار (إدارة المراعي والعلف ، حلفا الجديدة ، 2010م) ، وقد تسارعت معدلات التدهور وانتشرت ظاهرة التصحر بدرجاتها المختلفة نتيجة لعدة أسباب ، من أهمها : ضعف الإدارة الرعوية ، وكفاءة القدرات البشرية ، وخدمات التوعية ، والإرشاد ، والممارسات الخاطئة الناجمة عن الرعي الجائر والمبكر ، وقلع الشجيرات والأعشاب ، واستمرار الاحتطاب بطريقة خاطئة ، وسوء توزيع نقاط الماء ، وتكرار فترات الجفاف ، والحرائق ، والتوسع الزراعي بشقيه التقليدي والحديث ، وعدم صيانة وتنمية الموارد الطبيعية على أسس مستدامة ، كل ذلك أدى إلى تناقص المساحات الرعوية وتضييق الرعاة في التركيبة الموردية ، مما نتج عنه زيادة الضغط على الموارد الرعوية حيث اختفت معظم الحشائش المستحبة مثل السحاح *Blepharis dulis* ، التبر *Ipomea kordofana* ، الحنتوت *Ipomea cordiosepala* ، الدمبلاب *Telrapogon spathaceus* ، الغباش *Guiera Senegalensis* ، القو *Funiculata* ، التفة *Urochoa tricobop* . وظهرت أنواع أخرى رديئة وأقل قيمة رعوية مثل : الرامتوك *Xanthium brasiliicum* ، النال *Cympopogom nervatus* ، البنو *Eragrostis termula* الحسكيت *Cenchrus biflorus* ، وكذلك تدهور الغطاء الشجري ، خاصة الشجيرات العلفية ، الكتر *Acacia mellifera* ، الهجليج

*Balanites aegyptiaca* ، السدر *Ziziphus spina-christi* (إدارة المراعي والعلف ، حلفا الجديدة ، 2010م) التي كانت تسد الضائقة الغذائية في أوقات الجفاف ، فالأجزاء العلوية توفر الأغصان الغضة ، والأوراق ، والأزهار ، والفروع والثمار . وتوفر الطبقة الأرضية الحشائش ، والعشبيات التي تستسيغها الحيوانات ، وبالتالي توفر لها قدراً مناسباً من البروتين والأملاح ، وقد أدى تدهور الشجيرات العلفية إلى انتشار أمراض نقص الغذاء ، خاصة مرض الجهر وسط الإبل ، نظراً لعدم كفاية المرعي الطبيعي بمنطقة الدراسة ، أصبح الاعتماد على شراء المخلفات الزراعية يشكل جزءاً أساسياً في تربية الحيوان بالمنطقة ، خاصة في أوقات الصيف الشديد الحرارة جدول رقم (5) .

جدول (5) كيفية حصول الحيوانات على كفايتها من الكلاً بمنطقة الدراسة

| النسبة المئوية | المصدر                           |
|----------------|----------------------------------|
| 69,1           | المخلفات الزراعية وشراء الأعلاف  |
| 18,1           | المخلفات الزراعية وأطراف المشروع |
| 12,8           | المخلفات الزراعية والغابات       |
| 100            | الجملة                           |

المصدر : الدراسة الميدانية

نلاحظ من الجدول السابق أن هنالك 69,1% من مالكي الثروة الحيوانية يعتمدون على المخلفات الزراعية (المنتجة من مزارعهم بأراضي التروس ، أو بمشروع حلفا الجديدة الزراعي) وشراء الأعلاف لسد احتياجات الحيوان من الغذاء ، بينما 18,1% يعتمدون على المخلفات الزراعية وأطراف مشروع حلفا الجديدة الزراعي ، بينما 12,8% يعتمدون على المخلفات الزراعية والغابات خاصة سكان القرى الشرقية والشمالية المتاخمة للضفة الغربية لنهر عطبرة ، وقد أدى اعتماد السكان على المخلفات الزراعية لسد احتياجات الحيوان من الغذاء إلى ارتفاع تكلفة تربية الحيوان

بمنطقة الدراسة ، حيث يتراوح سعر مخلفات الحواشة (5 فدان) من محصول الذرة (1000 - 1200) جنيه في فترة الدراسة الميدانية .(ديسمبر إلى فبراير) وترتفع الأسعار بصورة كبيرة خلال فصل الصيف (مايو إلى يونيو) والتي تعرف بالفجوة العلفية.

## 2- نقص الخدمات البيطرية :

أظهرت نتائج الدراسة الميدانية وتقارير إدارة الثروة الحيوانية بحلفا الجديدة أن هنالك نقصاً حاداً في خدمات الثروة الحيوانية بمنطقة الدراسة ، كما يتضح من الجدول رقم (6) حيث يوجد مستشفى بيطري بمدينة حلفا الجديدة ، إضافة إلى معمل تشخيصي ومركز تلقيح صناعي متوقفين عن العمل ، كما أن هنالك نقصاً حاداً في الكوادر البيطرية والكوادر المساعدة ، حيث يوجد ستة أطباء بيطريين أربعة منهم محلية حلفا الجديدة ، واثنان بمحلية نهر عطبرة . وهنالك نقصاً حاداً في اعتمادات الصرف على الأدوية والأمصال ، إضافة إلى قلة وسائل تنقل العاملين بالإدارة ، كل ذلك يجعل فاعلية الإدارة محدودة لانتشار قطيع الثروة الحيوانية في مناطق شاسعة إلى جانب رداءة الطرق بالمنطقة ، كما تقتقد إدارة الثروة الحيوانية إلى قسم للإرشاد البيطري لتوعية وإرشاد الرعاة بالأمراض والوقاية منها ، والإمام باقتصاديات الثروة الحيوانية وأنماط التعامل مع أسواقها .

جدول (6) الخدمات البيطرية بمحليتي حلفا الجديدة ونهر عطبرة

| نوع الخدمة                | العدد الحالي | الأداء |
|---------------------------|--------------|--------|
| مستشفى بيطري              | 1            | +      |
| معمل تشخيصي               | 1            | ++     |
| مركز تلقيح صناعي          | 1            | ++     |
| صيدليات بيطرية (قطاع عام) | 1            | +      |
| صيدليات بيطرية (قطاع خاص) | 7            | +      |

المصدر : إدارة الثروة الحيوانية ، حلفا الجديدة ، 2010م .

|       |    |
|-------|----|
| عامل  | +  |
| متوقف | ++ |

### 3- تدهور صحة الحيوان :

تنتشر أمراض الحيوان في معظم أنحاء المنطقة ، ونظراً لنقص وسوء التغذية فإن الحيوانات تكون ضعيفة غير قادرة على مقاومة الأمراض ، وتوجد أمراض متعددة تشكل خطراً كبيراً على الثروة الحيوانية بالمنطقة ، ومما يزيد من هذا الوضع المتدهور للرعاية الصحية للحيوانات نقص الكوادر المتخصصة في الشؤون البيطرية ، وأبرز الأمراض بالمنطقة :

#### 1/ الوبائيات :

مثل جدري الضأن Sheep pox ، طاعون المجترات الصغيرة paste peti Ruminats ، الحمى الفمحية Anthrax ، التسمم الدموي Hemorrhagic . Septicemia

#### 2/ الأمراض المستوطنة Zoonosis Diseases :

ومنها الأمراض المتولدة بالقراد Tick born Diseases مثل : الخدر Cowderiosis ، حمى القراد Babesia ، حمى الوادي الشرقي Thieleria و . Anaplasma

#### 3/ الطفيليات الداخلية Interal Parasites :

والتي تشمل الديدان الشريطية Cystode worms ، الديدان الأسطوانية Nematoda worms ، والديدان الخيطية Trenemtoda worms .

#### 4/ الطفيليات الخارجية External Parasites :

مثل القمل Lice ، الجرب Mange .

#### 5/ الإلتهابات الرئوية Contagisus Caprine Pleuropneumonia .

6/ أمراض البكتريا Respiratory Diseases : مثل إلتهاب الضرع Mastytis .

7 / أمراض مايكوبلازمية Micoblazme Diseases مثل أبونيني Centagious Caprine إضافة إلى مرض الحمى المالطية ، أو الإجهاض المعدي وتسمى أحياناً الحمى المتوجة Brucellosis .

#### 4- التربية المتبعة والتغذية :

يعتبر النمط التقليدي السائد لتغذية الحيوان من المعوقات الأساسية في تطوير الإنتاج الحيواني بمنطقة المشروع ، ويتضح ذلك من انخفاض نوعية المحاصيل الحقلية المستخدمة في تغذية الحيوانات وفقاً للطرق التقليدية للمزارعين ، إلى جانب قلة استعمال الأعلاف الخضراء والمركبات ، وما يترتب عليه من سوء التغذية بصفة عامة ، فالمواد الغذائية تتكون أساساً من مخلفات المحاصيل الحقلية وهي الأعلاف الخشنة الجافة فقيرة القيمة الغذائية من مواد الطاقة ، والبروتينات ، والعناصر المعدنية والفيتامينات ، ولا تعطي الحبوب إلا بصفة استثنائية نظراً لارتفاع أسعارها ، ويعتبر قصب الذرة وتبن الفول السوداني من أهم الأعلاف الخشنة التي تقدم للحيوانات ، ويشكل نمط التغذية التقليدي عبئاً مالياً على المزارعين بالرغم من انخفاض قيمته الغذائية ، كما أن مساحات الأعلاف الخضراء بالمشروع محدودة جداً وتتركز فقط في أراضي الأملاك ، ولا تتماشى مع أعداد الحيوانات ، ولا يتضمن نمط التغذية التقليدي أيضاً استخدام الأعلاف الخضراء ، أو نواتج الصناعات الزراعية .

#### 5- الرسوم الإدارية :

أظهرت الدراسة الميدانية شكاوى مربي الحيوان بالمنطقة من الرسوم السنوية العالية التي تفرضها إدارة القطعان ، وهي الإدارة المعنية بتحصيل رسوم القطعان ، والتي تشمل خدمات المياه والمرعى والتي تصل إلى 6 جنيهات لرأس الإبل ، 4 جنيهات لرأس البقر ، و جنيهان لكل من الضأن والماعز . وهناك ازدواجية في تحصيل هذه الرسوم بين الولايات ، وأحياناً داخل الولاية الواحدة ، مما يؤدي إلى الاحتكاك بين الرعاة وموظفي الإدارة ، وبالرغم من أن هنالك قراراً صادراً في عام 2000م يمنع الازدواجية في تحصيل ضريبة القطعان بين الولايات إلا أن تنفيذه ما زال ضعيفاً :

## 6 - الصراع بين المزارعين والرعاة :

ينجم التضارب بين العمل الرعوي والزراعي بسبب الحيوان بالمشروع سواء من الحيوانات المحلية أو الوافدة من منطقة القاش شرق المشروع ، ومن منطقة البطانة غرب المشروع ، وتكمن خطورة الحيوان في هجومه على المحاصيل الزراعية قبل الحصاد ؛ مما يتسبب في نشوب الصراع بين المزارعين والمزارعين من أصل رعوي ، حيث إن الفئة الأخيرة ترى أن أكبر عائد يعود عليها من المشروع هو الاحتفاظ بقطعانهم في وقت الشدة ، ولذا نجد أن أقاربهم يغدون بحيواناتهم إلى المشروع قبل الحصاد ؛ حتى تستفيد حيواناتهم من بقايا المحاصيل ، وهناك شكل آخر للتضارب ، وهو الذي يقع بين أصحاب الحيوانات وإدارات المشروع المختلفة التي تسعى لزيادة الإنتاجية ، إذ إن الرعاة وأقاربهم يدخلون حيواناتهم لحواشة القطن بعد الفراغ من اللقطة الأولى مباشرة في الوقت الذي تتم فيه ثلاث لقطات للقطن في العادة، ويرى المزارع أن الجهد الذي سيبدله في اللقطة الثانية والثالثة لا يتناسب مع ما يصرف عليه من مال لهذا يترك اللقيط ويفضل دخول حيواناته . وهذا ما أشارت إليه أيضاً دراسة (سوسن محمد محميد 2001م ، ص80).

**تقييم دور المشروع في تنمية قطاع الثروة الحيوانية بالمنطقة :**

واجه قطاع الثروة الحيوانية بمنطقة الدراسة إهمالاً من إدارة مشروع حلفا الجديدة الزراعي و لم يؤخذ في الاعتبار أهمية المساحات التي استقطعت من المربين وحيواناتهم . حيث إن ثلثي المزارعين بالمشروع هم في الأساس رعاة بنفس المنطقة . ولم يتم ربط النظام الرعوي عند الرحل وشبه الرحل ، أو دمج القطعان المختلفة كلياً أو جزئياً في المشروع ، وإيجاد البديل العلفي الذي يعوضها عما فقدت من مراعي ، سواء في شكل محاصيل علفية أو مراعي محسنة توفر قدرأ من الاحتياجات الغذائية للقطعان .

رغم أن إدخال الحيوان بالمشاريع المروية قضية تتعلق بتنمية الثروة الحيوانية وأن المشاريع المروية القائمة بهذه الولاية تنص أوامر تأسيسها على تكامل الحيوان في دورتها الزراعية إذ أنها قامت أصلاً في أراضٍ رعوية ، وأن سكان هذه المناطق رعويون

ويرغبون في إدخال الحيوان بالدورة الزراعية لهذه المشاريع وبالرغم أن قرار إدخال الحيوان بالمشاريع المروية بالولاية الشرقية قد صدر من مجلس الوزراء منذ عام 1990م وقد رفع تقرير عن إدخال الحيوان بالدورة الزراعية بالمشاريع المروية بالولاية الشرقية ووضعت دراسة تفصيلية لإدخال الحيوان بمشروع حلفا الجديدة الزراعي بعد ذلك مباشرة (مصطفى محمد سعيد وآخرون 2001م، ص9) . كما نصت على ذلك أيضاً الاستراتيجية القومية الشاملة (1992 – 2002م) . إلا أن إدخال الحيوان بالدورة الزراعية لهذه المشاريع ما زال شعاراً لم تتخذ فيه أي خطوات جادة لتنفيذه ، مما انعكس سلباً على الرعاة والمزارعين ، خاصة الرعاة الذين فقدوا أراضيهم ، مما زاد من تهميشهم في التركيبة الموردية بفقدانهم الأرض كعامل رئيس . وقد أدى ذلك لاختلال العلاقة التاريخية بين المجتمع والبيئة وازدياد الضغط على الموارد وتدهور النظم الطبيعية الموروثة مما أثر على الغطاء النباتي والتربة بمنطقة الدراسة .

على الرغم من وجود إدارة للحيوان تتبع لإدارة الشؤون الزراعية بالمشروع ، إلا أن الخطط الزراعية لا تتضمن الشق الثاني للزراعة (الجانب الحيواني) ، كما أن نشاط الإدارة شبه معطل . حيث أشار جميع المبحوثين إلى أن إدارة المشروع لا تسهم في أي مجال يهدف إلى تطوير وترقية خدمات الثروة الحيوانية بالمنطقة جدول رقم (7) كما اتضح أنه ليس هنالك أدنى تنسيق أو تعاون بين إدارة الحيوان بالمشروع وإدارة الثروة الحيوانية بحلفا الجديدة واتحاد الرعاة بالمنطقة رغم عضوية رئيس الاتحاد بمجلس إدارة هيئة حلفا الجديدة الزراعية .

جدول (7) مساهمة مشروع حلفا الجديدة الزراعي في تطوير وترقية خدمات الثروة الحيوانية بالمنطقة

| الرقم | المشروع                               | المساهمة |         |
|-------|---------------------------------------|----------|---------|
|       |                                       | مالية    | عينية   |
|       | إقامة مراكز بيطرية متكاملة            | لا توجد  | لا توجد |
|       | العيادات البيطرية المتنقلة            | لا توجد  | لا توجد |
|       | تدريب معاونين بيطريين                 | لا توجد  | لا توجد |
|       | حفر الآبار والحفائر                   | لا توجد  | لا توجد |
|       | تصنيع العلائق الخاصة بتغذية الحيوان   | لا توجد  | لا توجد |
|       | رفع القدرات الإنتاجية للأراضي الرعوية | لا توجد  | لا توجد |
|       | إنتاج الأعلاف المروية                 | لا توجد  | لا توجد |
|       | إقامة المزارع الحديثة                 | لا توجد  | لا توجد |
|       | تحسين نسل الحيوان                     | لا توجد  | لا توجد |
|       | إقامة مصانع للأعلاف والمركزات         | لا توجد  | لا توجد |
|       | إنشاء مصانع للمنتجات الحيوانية        | لا توجد  | لا توجد |

المصدر : الدراسة الميدانية

وقد أشار أبوسوار (2005،216) إلى أن المزارعين في مناطق الزراعة المروية في السودان قد درجوا على تربية الحيوان بصورة تقليدية بجانب زراعة محاصيلهم المختلفة . وأن وجود هذا التوجه وسط المزارعين يساعد على تعزيز دمج الحيوان في نظم الزراعة المحصولية ، مما يؤدي إلى رفع كفاءتها الإنتاجية شريطة أن يتناول دمج الحيوان في النظم الزراعية تطوير حزمة متكاملة تأخذ في الاعتبار الجوانب الاجتماعية ، والاقتصادية ، والفنية والخدمات المساعدة التي يتم تصميمها وتنفيذها بمعرفة



ومشاركة المنتجين المستهدفين وهذا يتفق مع نموذج الحفاظ على التربة الذي أورده حمادي ، 1981م ويشير إلى أهميته التكامل بين شقي النباتي والحيواني .

### النتائج :

- يشكل قطاع الثروة الحيوانية أهمية قصوى في التنمية الزراعية لما له من أثر ملموس في المجال الاقتصادي والاجتماعي لسكان منطقة الدراسة .
- يعترض تنمية قطاع الثروة الحيوانية بمنطقة المشروع كثير من المعوقات الطبيعية ، والفنية ، والإدارية والبشرية منها :
- ❖ تنتشر الأمراض الحيوانية في كل أنحاء المشروع وتشكل خطراً كبيراً على الثروة الحيوانية بالمشروع .
- ❖ نقص الكوادر البيطرية المتخصصة في الشؤون البيطرية ، وضعف اعتمادات الصرف على الأدوية والأمصال .
- ❖ رداءة الطرق وعدم توافر وسائل تنقل للعاملين بإدارة الخدمات البيطرية يؤثر على تطوير القطاع وتوفير الخدمات الإرشادية والبيطرية للمربين .
- ❖ تفتقد إدارة الثروة الحيوانية إلى قسم للإرشاد البيطري لتوعية وإرشاد الرعاة وتعريفهم بالأمراض والوقاية منها ، والإلمام باقتصاديات الثروة الحيوانية وأنماط التعامل مع أسواقها .
- ❖ يتكون قطاع الثروة الحيوانية بمنطقة المشروع من أصول محلية نقية وغير مختلطة وليس فيها أثر للتهجين مع أي فصيلة ذات إنتاجية عالية ؛ مما أدى إلى إنتاجية منخفضة سواء بالنسبة للحم واللبن ولا تلبى حاجة السوق من حيث الكم ، النوع وتحفظ هذه الحيوانات تحت نمط إداري متخلف بعيداً عن التربية الحديثة لمزارع الحيوان .
- ❖ تتسم المراعي الطبيعية بالمنطقة بضعف الغطاء النباتي؛ متمثلاً في انخفاض الحيوية ، وانخفاض الكثافة ، وقلة التغطية ، وهشاشة التركيب النوعي ، وقلة الأنواع المكونة للعشيرة النباتية ، وانخفاض معدل الإنتاجية لوحدة المساحة . أفرزت هذه الخصائص مراعي منخفضة الإنتاجية ومتذبذبة الإنتاج من عام إلى آخر اعتماداً على هطول الأمطار.

- تعتمد تربية الحيوان بالمنطقة بصورة كبيرة على الأعلاف الخشنة (مخلفات المحاصيل الزراعية) فقيرة القيمة الغذائية من مواد الطاقة ، والبروتين ، والعناصر المعدنية ، والفيتامينات إلى جانب قلة استعمال الأعلاف الخضراء والمركبات .

- نظراً لعدم كفاية المرعى الطبيعي أصبح الاعتماد على شراء الأعلاف والمخلفات الزراعية يشكل جزءاً أساسياً في تربية الحيوان مما أدى إلى ارتفاع تكلفة تربية الحيوان بالمنطقة .

- رغم وجود إدارة للحيوان تتبع لإدارة الشؤون الزراعية بالمشروع إلا أن الخطط الزراعية بالمشروع لا تتضمن الشق الثاني للزراعة (الجانب الحيواني) ، كما أن نشاط الإدارة شبه معطل حيث أن الإدارة لا تسهم في أي مجال يهدف إلى تطوير وترقية خدمات الثروة الحيوانية بالمشروع مثل : إقامة المراكز البيطرية ، وتصنيع العلائق الخاصة بتغذية الحيوان ، وإنتاج الأعلاف المروية ، وإقامة المزارع الحديثة ، وتحسين نسل الحيوان ، ومصانع للأعلاف والمركبات ، وإنشاء مصانع للمنتجات الحيوانية .

إضافة إلى ضعف العلاقة مع إدارة الثروة الحيوانية وإدارة المراعي والعلف واتحاد الرعاة - حلفا الجديدة - وينحصر دور المشروع فقط في توفير مخلفات المحاصيل الزراعية كأعلاف تكفي فقط 1,4% من استهلاك الثروة الحيوانية بالمنطقة .

#### التوصيات :

- إنشاء مزارع نموذجية لتربية أبقار اللبن ، تسمين الضأن والماعز وتعتبر مراكز إرشادية لطرق التربية السليمة ، وتحسين السلالات بالإضافة إلى كونها مراكز لإنتاج سلالات محسنة توزع على المزارعين لتحسين كفاءة القطيع تحت إشراف الفنيين.

- إنشاء جمعيات تعاونية مختصة في الإنتاج الحيواني لتوفير مستلزمات الإنتاج العلفية ، تحسين النسل وإدخال سلالات جديدة وتسويق الإنتاج .

- إدخال نظام الدورة الزراعية لمحاصيل الأعلاف الخضراء وذلك للمساهمة في توفير العلف ودريس الأعلاف لتكوين العلائق الغذائية لماشية اللبن ، وتسمين الضأن والماعز .

- توعية وتأهيل الرعاة مما يجعلهم ملمين بأساليب التربية الحديثة ، واقتصاديات الثروة الحيوانية ، وأنماط التعامل مع أسواقها ، ومقدرين لقيمتها الاجتماعية والاقتصادية .
- تطوير الخدمات البيطرية بإقامة الوحدات البيطرية المركزية والريفية في جميع نواحي المشروع ، بهدف تحسين الرعاية الصحية ونشر الوعي الصحي بين المزارعين إلى جانب تدريب بعض أبناء القرى للعمل كمعاونين بيطريين .
- إنشاء مزارع نموذجية لإنتاج الأعلاف الخضراء بأراضي الأملاك ، بهدف توفير الأعلاف الخضراء على مدار العام .
- الاهتمام بصناعة الأعلاف والاستفادة من المخلفات الزراعية ، ومصنع سكر حلفا الجديدة ومعاصر الزيوت بالمنطقة .
- تحسين نسل الحيوان بإدخال التقانات في مجال الإنتاج الحيواني وذلك بإنشاء مراكز للتلقيح الاصطناعي على مستوى الأقسام الزراعية بالمشروع ، إضافة إلى مركز بمدينة حلفا الجديدة
- تنفيذ برامج لحماية وتحسين الموارد الرعوية ، من خلال مشروعات نثر البذور المحسنة لنباتات المراعي بغرض تغيير تركيبة نباتات المراعي وتأهيل المناطق المتدهورة .

#### المصادر والمراجع:

- إدارة الثروة الحيوانية 2010م، الوضع الراهن للثروة الحيوانية، حلفا الجديدة.
- إدارة المراعي والعلف 2010م، الموارد الرعوية بمنطقة حلفا الجديدة، حلفا الجديدة.
- عوض عثمان أبو سوار 2005م، المراعي والعلف، منشورات جامعة السودان المفتوحة، الخرطوم.

- سوسن محمد محييميد 2001م، استدامة مشاريع الاستيطان الزراعي في السودان . (دراسة حالة مشروع حلفا الجديدة الاستيطاني الزراعي المروي)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الزراعة، جامعة الخرطوم، الخرطوم.
- مصطفى محمد سعيد وآخرون (د.ت)، الأمن الغذائي بولاية كسلا . . الموقف الراهن والرؤية المستقبلية، ادارة الثروة الحيوانية، كسلا.
- منظمة الأغذية والزراعة للأمم المتحدة 2009م، حالة الأغذية والزراعة . . الثروة الحيوانية في الميزان، روما.
- منظمة بلان سودان 1997م، التصدعات البيئية والمعالجات في ولاية سلا، كسلا.
- هيئة حلفا الجديدة الزراعية 2010م، انتاجية المحاصيل الزراعية بالمشروع للفترة من (1985 - 2009م)، إدارة التخطيط والبحوثالاقتصادية، حلفا الجديدة.

## عرض كتاب

(حركة الإصلاح والإرشاد وشيخ الإرشاديين أحمد محمد السوركتي في اندونيسيا)

تحقيق وتقديم: أ.د. أحمد إبراهيم أبو شوك

استعراض: د. أبو هريرة عبد الله محمود

لا شك أن ميدان الدراسات الإنسانية يزخر بشتى العلوم والمعارف والأبحاث من كل لون واتجاه. ولعل من أبرزها وأميزها الإسهامات في مجال المعرفة الخاصة بإبراز الدور الكبير والفعال في إطار حركة الإصلاح والإرشاد الديني والإرتقاء بالقيم والمثل الاجتماعية والثقافية.

أتيت لمستعرض الكتاب فرصة قضاء الإجازة السببية (Sabbatical leave) (2005- 2006م) بالجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا في قسم التاريخ والحضارة الإسلامية، وكان لي شرف الالتقاء بالعالم أحمد إبراهيم أبو شوك الذي كان وقتها رئيساً لقسم التاريخ والحضارة الإسلامية، وأهداني مجموعة من مؤلفاته القيمة التي كان من أبرزها الكتاب الذي قام بتحقيقه والموسوم بـ (تاريخ حركة الإصلاح والإرشاد وشيخ الإرشاديين أحمد محمد السوركتي في اندونيسيا).

هذا السفر القيم تبين لي أنه عمل يستحق الإشادة بعد أن بذل فيه المحقق والمقدم جهداً مقدراً وموفقاً، فمن خلال هذا الجهد المضي بدأت تظهر الكثير من الملامح للكثير من الشخصيات الذين قدموا للإنسانية عصارة فكرهم وعلمهم في تلك المناطق البعيدة - أرخبيل الملايو (اندونيسيا). وفق المحقق أيما توفيق عند تقديمه وتحقيقه لهذا السفر العظيم، فكما ذكر في المقدمة أن الفكرة من التقديم والتحقيق ليس فقط هدفها البحث التاريخي بل رمى منها أيضاً إلى إبراز البعد الإنساني في تكريم الأستاذ الشيخ أحمد محمد السوركتي الذي فقد بصره سنة 1940م وأضحى طريق الفراش بعيداً عن ساحة العمل العام.

قدم المحقق هذا اللون من العطاء المميز، وأحسب أنه من المحققين القلائل في تاريخنا الحديث، لأنه أوفى هذا العمل حقه الجليل بالدراسة والتحقيق والتقديم

المستفيض ، وربما يوافقني هذا الرأي كل من يتمكن من قراءة هذا السفر بأن المحقق كان دقيقاً ومنتزناً و متمكناً في تقديمه وتحقيقه لهذا المخطوط ، وكان أيضاً شديد الحرص لأن يقدم للقارئ مادة في أسلوب سلس.

سوف أتناول في هذا العرض الكتاب المعني من خلال ثلاثة محاور وخاتمة.

**المحور الأول : التعريف بالمحقق وإسهاماته العلمية والعملية.**

**المحور الثاني : منهج المحقق في تقديم وتحقيق الكتاب.**

**المحور الثالث : وصف الكتاب ومحتوياته.**

خاتمة .

**المحور الأول : التعريف بالمحقق وإسهاماته العلمية والعملية :**

كاتب المقدمة ومحقق الكتاب هو أ. د. أحمد إبراهيم أبو شوك، من أميز الكتاب متزن في أبحاثه ودقيق في عرضه، وحريص على تقديم المادة الجيدة الجديدة الشاملة المركزة والمنسقة للقراء ، فهو كاتب تراث عرفه قراء المجالات العلمية والصحف السودانية في موضوعات متنوعة شملت الأدب والحواليات التاريخية . وهو من مواليد قنتي - الولاية الشمالية "السودان " تخرج في جامعة الخرطوم - كلية الآداب - قسم التاريخ ، حصل على ليسانس حقوق جامعة القاهرة "الخرطوم" ، وحصل على درجتي الماجستير والدكتوراه في التاريخ من جامعة بيرجن بالنرويج . عمل خلال الفترة من (1991 - 1998م) باحثاً أكاديمياً بقسم دراسات الشرق الأوسط وإفريقيا بجامعة بيرجن بالنرويج وأستاذاً مساعداً بقسم التاريخ (جامعة بيرجن) . شد الرحال وألقى عصا الترحال بأرخبيل الملايو (ماليزيا) ، فعمل خلال الفترة (1999 - 2007م) أستاذاً مساعداً ثم مشاركاً ورئيساً لقسم التاريخ والحضارة الإسلامية بالجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا ، وشغل خلال الفترة من (2007 - 2010م) منصب نائب عميد الدراسات العليا بكلية معارف الوحي والدراسات الإنسانية ، ويشغل الآن مدير المعهد الإسلامي العالمي بالجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا .

نشر أبو شوك العديد من البحوث العلمية باللغتين العربية والإنجليزية في مجلات علمية محكمة، بلغت أكثر من أربعين بحثاً، بالإضافة لمشاركاته في أكثر من ثلاثين مؤتمراً وندوة علمية محلياً ودولياً، وله إسهامات مقدره في مجال التدريس وتطوير المناهج والإشراف على طلاب الدراسات العليا (ماجستير ودكتوراه) بالجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا. ومن بين مؤلفاته باللغتين العربية والإنجليزية نورد الآتي :

1- انتخابات المجلس الوطني في السودان سنة 2010م، دراسة تحليلية، صدرت عام 2012م.

2- السودان السلطة والتراث ( 3 أجزاء )، 2010م.

3- التعليم العالي في العالم الإسلامي، 2009م.

4- Yameni-Hadarmis in Southeast Asia: Identity Maintenance or Assimilation?, 2009.

5- الوثائق البريطانية في السودان (1956 - 1940م)، 2002م.

6- محمد إبراهيم أبو سليم محققاً ومؤرخاً، 1999م.

7- الآثار الكاملة لمجلة المنار عن جنوب شرق آسيا (1898 - 1935م)، 2006م.

8- مذكرات يوسف ميخائيل : عن التركية والمهدية والحكم الثنائي في السودان، 2004م.

9- ابن خلدون وعلم التاريخ عند المسلمين، 2003م.

المحور الثاني : منهج المحقق في تقديم وتحقيق المخطوط :

إعتمد مقدم ومحقق الكتاب على صور من المخطوط (الأصل) عن طريق الاتصال بالديكتورة أولرايك فريتاك، المحاضر بمدرسة الدراسات الشرقية والإفريقية بجامعة لندن التي صورت المخطوط من الأصل من جاكرتا. ولما كان المحقق يقيم في بلاد الملايو تمكن أيضاً من الاتصال بالسيد عبد القادر عبد الكريم التميمي في جاوا الشرقية وأمدّه بالمخطوط المصور من الأصل ومن ثم تبين أن نسخة المخطوط المصور لا تختلف عن الأصل، ووفر له الكثير من المصادر التي ساهمت في تقويم النصوص وغيرها.

صدرت الطبعة الأولى للكتاب 1420هـ/2000م من مركز البحوث العلمية بالجامعة الإسلامية بماليزيا عن دار الفجر للطباعة والنشر. ويتكون من 586 صفحة من القطع المتوسطة الحجم وتقدر مساحة الصفحة الواحدة بـ 24×17 سنتمراً مربعاً . تدور محتويات الكتاب حول تاريخ حركة الإصلاح والإرشاد العربية ويستعرض أسباب الخصومة بين الإرشاديين والعلويين وانعكاساتها على أطراف الصراع. الكتاب يحتوي على مقدمة المحقق وتمهيد واثنى عشر فصلاً مرتباً ترتيباً دقيقاً ، من حيث المحتوى .

استهل المحقق الموضوع بمقدمة أوضح من خلالها الأهمية العلمية للكتاب في مجال الدراسات الإسلامية في جنوب شرق آسيا واستشعاراً بالقيمة وتقديراً لفكرة أستاذه البروفيسور ركن شون أوفاهي (R.S.Ofahey) بتحقيق الكتاب سارع بالإتصال ببعض الجهات وتحصل على النسخ المصورة من الأصل وأصبحت الفكرة واقعاً ماثلاً بين أيدي القراء . أوفى المحقق المصنف محمد نور بن محمد خير الأنصاري (الملقب بأبي الأنوار) حقه ، لأن له الفضل الأكبر في جمع الكتاب وترتيب مادته ، تقديراً لكفاءته العلمية ومكانته عند الأستاذ الشيخ السوركتي فقد كان أمين أسراره وأحب أهل عصبته إليه في أرض المهجر.

تحدث المحقق عن مصادر المخطوط فذكر أن المصنف جمع المادة من بعض الكتب المطبوعة والمقالات والفتاوى المنشورة في عدد من الصحف والمجلات العربية المتداولة في اندونيسيا آنذاك (بين الحربين العالميتين)، كما قدم المحقق وصفاً علمياً لمنهجه في التحقيق متناولاً بعض الملاحظات كالترقيم واضطراب في بعض الأحيان في التعليقات والتوضيحات التي وضعت تارة في الحواشي وتارة أخرى في الهوامش الجانبية ، وأن المخطوط بصورة عامة كُتِبَ بالحبر الأسود الداكن وبخط واضح وجميل ومقروء مع وجود العناوين البارزة وعلامات الوقف والتنصيص.

قام أبو شوك بمراجعة دقيقة للوثائق الواردة من مصادرها الأصلية خاصة فتاوى الأستاذ الشيخ السوركتي المتعلقة بالاجتهاد والتقليد، السنة والبدعة، زيارة القبور والتوسل والشفاعة، هذا بالإضافة إلى تحقيق نصوص المقالات الخطية والمنشورات والنصوص المنقولة من بعض الكتب بمقارنتها وتنوعها حسب المادة الواردة في الأصول،



كما قام المحقق بضبط الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة بعد الرجوع إلى مصادرها وثبتها في الحاشية وفي حالة تعارض النص أو وجود خطأ في النسخ كالتحريف والتصحيف والزيادة والسقوط فقد كانت الإشارة أو التعليق عليه في الحواشي. إلترم المحقق بترتيب وتبويب المخطوط وكانت إضافاته تقسيم المادة الواردة بين دفتيه إلى أربعة عشر فصلاً شاملاً التمهيد ومقدمة الكتاب، مع إضافة عنوان لكل فصل ليتناسق مع المادة الواردة فيه حسب التسلسل المنطقي لوحدة الموضوع، وقد تصرف في بعض الموضوعات الطفيفة لدواعي السياق الموضوعي بنقل القليل من البنود وإعادة تبويبها وتحويلها من فصل لآخر أو من المتن إلى الحواشي مع الإلتزام بعلامات الترقيم المتعارف عليها، مع اجتهاده في وضع التعريفات لبعض الشخصيات في الحاشية.

**المحور الثالث : وصف الكتاب ومحتوياته :**

يحوى الكتاب معلومات علمية في مجال الدراسات الإسلامية في جنوب شرق آسيا ويحمل بين ثناياه معلومات قيمة عن تاريخ هجرة العرب الحضارمة إلى اندونيسيا ووضعهم الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والثقافي في أراضى المهجر . كما أن الكتاب يتتبع بطريقة دقيقة ومفصلة تاريخ حركة الإصلاح والإرشاد العربية في اندونيسيا والدور الذي تصدت له في سبيل الارتقاء بالقيم العقديّة والثقافية والاجتماعية في أوساط الجالية العربية المسلمة ويتناول الكتاب بشئ من التفصيل أسرة الأستاذ الشيخ أحمد محمد السوركتي السوداني (الدينقلاوي) وإسهاماته في إرساء دعائم النهضة الإسلامية الحرة في اندونيسيا وفي تقويم مسار حركة الإصلاح والإرشاد العربية في مجال التعليم والدعوة والبناء الاجتماعي .

كتاب "حركة الإصلاح والإرشاد وشيخ الإرشاديين أحمد محمد السوركتي في اندونيسيا" من الكتب كثيرة المتعة وتحتوي على معلومات كثيرة عن إسهامات السوركتي الدينية والإرشادية في جزر أرخبيل الملايو وما قام به السوركتي في رفع قواعد البناء الفكري لحركة الإصلاح والإرشاد في بتافيا (جاكرتا) وبقيّة المدن الاندونيسية .

الكتاب يشتمل على إثني عشر فصلاً وبين ثنايا الفصول الكثير من العناوين الفرعية قد يطول المجال لتناولها لذلك رأيت أن أتناول الفصول حسبما قُسم من قبل المحقق. قسم المحقق الكتاب إلى ثلاثة أجزاء وعالج هذه الأجزاء من خلال إثني عشر

فضلاً كل منها يتفرع إلى عناوين رئيسة تمثل رؤوس موضوعات، وقد انتظمت الفصول بشكل منسجم مع أبعاد الموضوع.

تحدث في الجزء الأول والذي شمل الفصول من الأول وحتى الرابع عن السيرة العطرة للإستاذ الشيخ أحمد محمد السوركتي وأعماله. وقد عالج المحقق هذا الجزء من خلال تناوله لسيرة السوركتي عبر مراحل ثلاث :

**المرحلة الأولى :** مولده ونشأته : ولد السوركتي في جزيرة أرقو من أعمال دنقلا ، وينتهي نسبه من جهة أبويه إلى نقيب الخزرج جابر بن عبدالله بن عمرو الأنصاري . وذكر المؤلف أن الفطرة والغريزة هي المكون الأساسي لحياة الإنسان وتأتي التربية والتعليم في المرتبة الثانية فإذا اجتمعتا فكان حسناً وإلا فالأولى غنية عن الثانية لأنها الأساس الذي يتبدل والثانية هي وديعته للأول في كل الأوجه، وعلى ذلك فقد وجد السوركتي المكانة الخاصة لدى والده لأن فيه صفات تميزه عن بقية إخوته، فقد كان نجيباً وصافى القريحة وحُسن الطوية وكان من أبرز صفاته في نشأته وصباه عدم الكد والسهر والتعب في الدرس، بل كان ميالاً إلى اللعب والمرح. يمقت شدة وقسوة معلمي الخلاوي (الكتاتيب) ويهرب منهم، ومع ذلك حفظ كتاب الله الكريم في مدة أقل من أقرانه فكان والده يقول لمعلميه لا تضيقوا على ولدي أحمد في التعليم ولا تحاسبوه على الأوقات، فإن قليلاً من الدرس يغني عن الكثير.

إلتحق السوركتي بمسجد القوئد وكان من أكبر معاهد القرآن الكريم وأشهرها بدنقلا بالسودان ، ثم إنتقل إلى معهد شرق ناوي - قرية تقع على الضفة الشرقية للنيل وتبعد بحوالي 66 ميلاً من مدينة دنقلا - وبعد وفاة والده عقد العزم على أن يرحل إلى مصر ويلتحق بالأزهر الشريف ليحل محل والده ويحمل اسم الأزهر في بلاده، إلا أن إجراءات الدولة المهدية في عهد الخليفة عبد الله التعايشي التي لا تسمح بالسفر من السودان إلى مصر حالت دون رغبته، فيمّم شطر بلاد الحجاز على عجلة من أمره، فقد ساءه ظلم المهديين وفسادهم في الأرض، فاستقر به المقام في المدينة المنورة فانقطع لطلب العلم بها إلى أن تخرج وحصل على الشهادة العالمية من مجلس علمائها فأصبح آية في العلم والصلاح وكرم الأخلاق .

انتقل العلامة السوركتي المشهود له بسعة العلم وغزارة المعارف إلى جزيرة جاوا باندونيسيا وظل هناك يثقف العقول ويروض الأخلاق، فله الفضل الكبير الذي لا ينكر في بعث النهضة الفكرية الحديثة والدينية النزيهة بين الجالية الحضرمية وغيرهم بجزائر الهند الشرقية، فألف عدة رسائل منها : صورة الجواب التي مثلت حجر أساس في الانقلاب الفكري الحضرمي بجزائر الهند الشرقية، ومنها أيضاً الوصية العامرية وكتاب "توجيه الأخوان إلى آداب القرآن" و" المسائل الثلاث " و" أمهات الأخلاق " و" منظومة الخواطر الحسان " وكتاب " الأخلاق القرآنية " ورسائل أخرى عديدة يصعب المجال لحصرها .

كان السوركتي يجالس كل الطبقات بأدب جم سواء أكانوا من العوام أو المتعلمين ويخاطبهم بلفظ الأخ أو بحضرة الفاضل، كان كثير الإشادة والإحترام بالنابغين وأبناء البيوت المجيدة، كثير المواساة للأيتام والأرامل ينفق عليهم سراً. أحبه تلاميذه ومريده وأصدقائه وكل من عرفه أو اجتمع به. لم يكن مشغوقاً بالدنيا لذلك لم يجمع الثروة فكل ثروته خزائنه العامرة بالكتب القيمة النادرة، تخرج على يديه مئات التلاميذ ساهموا بقدر طيب في إثراء الحركة العلمية في جزائر الهند الشرقية .

استعرض المحقق في هذه المرحلة أهم أعمال الأستاذ الشيخ السوركتي (فتاويه) كسمة تأكيدية لإسهامات السوركتي ودلالة واضحة لاتخطئه العين أنه كان يتمتع بالعلم الغزير والورع والصلاح والزهد فساهم في تعميق مفاهيم الدين ومقاصد الشريعة التي تدخل ضمن خاصية القدوة الحسنة وهي من الوسائل التي ساعدت على نشر الدين في تلك المناطق متأثرين بسلوك السوركتي القويم. كانت فتاوي السوركتي كما ذكر المحقق كثيرة ملئت بها دفاتر كثيرة نذكر ثلاث منها لأهميتها : الفتوى الأولى : كانت عن مسألة مساعدة المدارس أو نحوها من المشاريع الخيرية ببيع أسهم الإقتراع فقد فند الجواب عن هذه المسألة في مقدمات أربع. شرح في المقدمة الأولى ثلاث طرق تناول فيها : القياس على ما يمثلها أو يقاربها من المسائل المنصوص عليها في الشرع، وكذلك المشورة وهي إتفاق أهل الرأي والخبرة من العلماء في المسائل التي لم يجدوا لها نصاً من الشارع للنظر فيه متحرين الصواب من أقرب الوجوه إلى قواعد الشرع وأقربها على المصالح العامة، وأخيراً الإجتهد وهو إجتهد الإمام العادل والمفتي أو القاضي

المختص في المسألة ليتحرى العدل والصواب بقدر إمكانه. أما المقدمة الثانية فهي \_ عن التوحيد ، وذلك بالرجوع للقواعد الأصولية لفقه الدين التي تعطي حكماً من المقاصد ، بشرط أن تكون نتيجة المقصود راجحة على نتائج الوسائل .

جاءت المقدمة الثالثة مبينة أن من قواعد الشرع المتفق على ثبوتها رعاية مصالح العباد العامة ، لا سيما في المعاملات والحدود ونحوها من المسائل المتجددة بحسب الأمكنة والأزمنة لقوله صلى الله عليه وسلم " لا ضرر ولا ضرار " وغيره من الأحاديث الواردة في هذا الشأن .

تناولت المقدمة الرابعة القواعد الشرعية بحيث أن الحكم يدور مع علته وجوداً وعدمًا، وأن علة التحريم في بيع الضرر الممنوع إثارة العداوة والبغضاء بين المتبايعين. وخلص السوركتي من خلال الجواب المفهوم من المقدمات إلى أن الأمر بهذه الصيغة وبهذا القصد جائز ومستحب والضرر الذي فيه - إن وجد - يسير ولا يعتبر في نظر العلماء مانعاً من المعاملات، فالعمل بهذا القصد يكون مستحباً .

أما الفتوى الثانية: فهي عبارة عن أسئلة وصلته من أعضاء إدارة الجمعية المحمدية وكانت تتعلق بأمور الدنيا والدين، وقد ذكر لهم أن الرد على هذه الأمور بالتفصيل يحتاج إلى مجلد كبير وأن قوته ووقته وظروف ضعف بصره لا تساعده في ذلك فأوجز الأمر دون إختصار مخل وذلك بتعريف الدين والدنيا لغة واصطلاحاً وفق القانون السماوي، ثم تحدث عن القياس من حيث مدلول اللفظ وقياس التمثيل، وهو الحكم على شيء بحكم شئ سابق له نص عليه الشارع لتساويهما في علة الحكم ، وأما الحرج فذكر أن المقصود منه ثقل التكليف والضرر الذي يوجد ضيقاً في النفس وتكلفاً في أدائه وسبباً للإعراض عنه وإستحقاق العذاب بتركه، وختم الحديث في هذه المسألة بالإجتهد فيما يتعلق بأحكام المسائل الإجتماعية والمسابقات الحيوية وتطبيقها مع مصلحة الأمة .

جاءت الفتوى الثالثة : ( المعروفة بالمسائل الثلاث ) :

المسألة الأولى : تناول فيها الشيخ السوركتي الاجتهاد والتقليد. شرح الاجتهاد في اللغة والاصطلاح، كما ورد في الدين، مدعماً قوله بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة وشرح التقليد وقسم المقلدون بحسب العرف على ثلاثة أقسام : مقلد له

استعداد وفرصة لفهم حجج الله وأحكامه في ذاته، لكنه لا يستخدم عقله في فهم كتاب الله وسنة رسوله . ومقلد ليس له استعداد لفهم الحجة بنفسه. والأخير بسيط لا يكاد يفقه قولاً ولا يعقل حجة. أما المسألة الثانية : فتناول الشيخ السوركتي السنة والبدعة فيبين معاني واستخدامات كل من السنة والبدعة مستشهداً بالآيات القرآنية والسنة النبوية المطهرة وفي اصطلاح الفقهاء. جاءت المسألة الثالثة : في الحديث عن زيارة القبور والتوسل والشفاعة، فذكر إن كان الغرض من زيارة القبور تليين القلب وتذكُر الآخرة قد تكون مباحة ولا تكون كذلك إذا أتت بشيء من المنكرات كالنياحة وإطلاق البخور والسراج عليها واستدل بأحاديث كثيرة في ذلك. أما التوسل والشفاعة فيستعملان في معاني منها التقرب إلى الله والتوسل إليه مع الخوف من عذابه والطمع في رحمته وعضد حديثه بالآيات القرآنية الكريمة التي تحث على التوسل المأمربه شرعاً .

اشتهر الشيخ السوركتي إلى جانب هذه الفتاوى بإلقاء المحاضرات القيمة، فقدم العديد منها في علم التفسير، العبادات وآثار الأرواح المقدسة، وغيرها من المحاضرات التي أسهمت في إنقشاع الغشاوة عن بعض المسائل الفقهية في تلك المجتمعات .

أما الجزء الثاني فقد ركز الحديث فيه عن تاريخ حركة الإصلاح والإرشاد العربية وتمت معالجة هذا الجزء في أربعة فصول : استعرض المحقق من خلالها خلفية عن حضرموت والحضارمة قبل ظهور الإرشاد في عدة عناوين فرعية أهمها أسباب التخلف في حضرموت وهجرة آل باعلوي إلى جاوا، ووصول الشيخ السوركتي إلى جاوا والخلافات التي نشبت بينه وآل باعلوي، والفتن والدسائس التي حاكها الهولنديون والإغريق في تلك المنطقة، ثم تطرق لنشأة جمعية الإصلاح والإرشاد العربية متناولاً عدة عناوين فرعية منها بداية نهضة الإرشاد وذلك عقب إنفصال الشيخ السوركتي من جمعية خير وتأسيس مدرسة مستقلة حملت اسم مدرسة الإرشاد الإسلامية بعد مصادقة الحكومة على قانون المدرسة (الجمعية) في 11 أغسطس 1915م وكانت لها مبادئ وأسس تضمن للمسلمين النجاح والفوز إذا إتبعوها أهمها :

1- توحيد الله توحيداً خالصاً .

2- المحافظة على الأخلاق الإسلامية .

- 3- المحافظة على العبادات .
- 4- إحياء السنة الصحيحة وترك البدع .
- 5- التعاون على البر والتقوى .
- 6- وجوب اعتبار المسلمين إخوة لا فضل لأحد على آخر .
- 7- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .
- 8- نشر العلوم الدينية والعصرية واللغة العربية .

هذه المبادئ تحتاج إلى عمل ونظام دقيق وأعاون أكفاء إلا أن الوسط والظروف لم تكن مساعدة فقد كان السواد الأعظم من الشعب يريزح في الأمية والبعض الآخر منكب على الكسب، فلم يمنحوا هذه المبادئ ما تتطلبه من الوقت والتفكير فرغم من وجود التقصير من جانب أنصار الإرشاد إلا أنهم اجتهدوا في إنقاذ الأمة الحضرمية فظهر من بين هؤلاء أناس سماهم المحقق السابقون الأولون إلى الإرشاد من أهل بتاوى وما حولها، فهؤلاء هم الإرشاديون الحقيقيون الذين آمنوا بفكرة ومبادئ الإرشاد طمعاً في سلامة الدين والشرف وخدموا الجمعية بإخلاص ونية خالصة، فقدموا التضحيات لجمعيتهم ونهضتهم الجديدة . وأولى ثمرات جهدهم تأسيس شركة تجارية - أديبة مركزها سوابو سنة 1920م وتبع ذلك إنشاء جريدة سميت بالسلام.

ظهرت بوادر فتن كانت تحاك بأيدي خفية في داخل جمعية الإرشاد ليس الغرض من البعض سوء نية بالإرشاد ولكن كان البعض يحسد الشيخ السوركتي على علو شأنه وإحترام الناس له فغاية هؤلاء إسقاط الشيخ السوركتي من درجته ووظيفته ليقوموا بتبديل إسم الجمعية أو إنشاء جمعية لا يذكر فيها اسم الشيخ السوركتي. قدم الشيخ السوركتي طلب إستعفائه للجمعية قبل مدة كافية ليستحضرها من يقوم مقامه وقدم تقريراً تضمن بعض الإصلاحات المهمة للجمعية إشتراط فيه أن يترك موقعه إذا لم يجيبوه إلى طلبه، وقد نُشر التقرير بمجلة الشفاء العدد الخامس سنة 1339هـ/1919م، فانتظرهم طويلاً ولم يجيبوه فقدم إستقالته وأستعفى من إدارة المدرسة واشتغل بالتجارة ونجح فيها نجاحاً باهراً فلم يدخل برأس مال يُذكر سوى ثقته بالله ولسانه الصادق وقلبه الأمين، فبلغت أرباحه في مدة سنتين ما لم يبلغه غيره في سنوات كثيرة، ففرح بذلك خصومه وحزن أنصاره ولاموه في تركه لوظيفة التعليم. ولما

احتدم الخصام بين الفريقين نشر الشيخ السوركتي مقالاً في بورو بودرو يعيب فيه الفريقين على تجاوز الحد اللازم .

هال الشيخ السوركتي ما آلت إليه الجمعية من تدهور، وشق عليه ذبول الغرس الذي غرسه وجاهد من أجله زمناً طويلاً فترك التجارة ورجع مرة أخرى إلى العمل في سنة 1922م، وافتتح المدرسة في جاتي، فتوافد إليه التلاميذ من كل حذب وصوب، ومن ثم تم تحويل المدرسة إلى مدينة بتاوي وكتب الشيخ السوركتي مقالة سماها "رفع حجاب" بُعيد رجوعه إلى العمل .

لا ريب أن حركة الإصلاح والإرشاد قد أثرت في النهضة الوطنية الإسلامية بجاوا تأثيراً بليغاً وذلك بتبنيه الأفكار وتوجيه النفوس إلى أصول الدين وكتاب الله وسنة رسوله فكانت صيحة حق دوت في أعماق القلوب. خرّجت مدرسة الإرشاد الكبرى ببتاوي نفر كريم من الطلاب شاركوا في نمو النهضة وجاهدوا بأموالهم في خدمة الإسلام .

إستعرض المحقق جانباً من الصراعات التي دارت بين الشيخ السوركتي، وجانباً من إرهابات الصلح فقد تفاقمت حدة الصراع بين الطرفين، خاصة عندما إحتقر الباعليين التعليم وأهله بقولهم له " كن معلماً وما أنت إلا معلم " على سبيل الإزدراء والتتقيص، وكان رده أن من احتقر صنعة التعليم وأهلها، فقد احتقر ما عظمه الله وصغر ما كبره الله. واستمر خصومه في تلفيق الأكاذيب لشخصه حتى وصل الأمر إلى أن هُدد بالضرب والقتل، وبدأوا ذلك بالمقاطعة في الأفراح والأتراح، ثم وقعت أول حادثة دموية، فقد دبروا ليلاً مهاجمته ونفر من الإرشاديين بحارة باخوجان بيتاي إنجلت عن إصابة البعض بالجروح، ولم يكتفوا بذلك فقد بذلوا المال والجاه للإنتصار على الإرشاديين. أُحيلت الصراعات الدموية وغيرها إلى المحكمة المستعجلة التي أفرجت عن الجناة بحجة أن القضية غامضة، فخرج المجرمون فرحين وذهب الدم المسفوك في ذمة العدالة. أثار الحكم حفيظة الإرشاديين وفكروا في الانتقام، إلا أن الشيخ السوركتي قام بتهدئة النفوس مذكراً بما لاقاه الأنبياء وأن عاقبة الصبر الظفر، فهدأت النفوس ومالوا إلى السكينة .

تصدى السيد إسماعيل بن عبدالله بن علوي العطائي لأول مشروع للصلح بين العرب وكان الشيخ السوركتي قد تم اختياره من قبل الإرشاديين، ورغم اعتراض الباعلوين عليه في البداية بحجة أنه أجنبي (ليس حضرمياً) إلا أنهم تحت إصرار أنصاره وافقوا عليه في اللجنة التي تكونت من عشرين عضواً خرجوا بقانون سُمي لجنة الإصلاح ببتاوى. تضمنت إثنا عشر فصلاً إلا أن القانون فشل فقد إحتج باعلوي على أحد بنود القانون الذي يفيد بما معناه " لا يجوز للأعضاء تولية أحد من السادة في إدارة الجمعية " ، بالإضافة إلى السيد الرئيس وهو وجود الشيخ السوركتي في اللجنة، فتمكنوا من تصريح الجمعية لأنهم اعتبروا أصل الشقاق والتناظر بين الحضارم هو وجود السوركتي السوداني فيها وبهذه الطريقة تمكنوا من تغيير رئيس جمعية الإرشاد. استمرت المكائدات والوشايات بالإرشاديين حتى وصل بهم الأمر إلى إرسال العرائض لأمير مكة المكرمة وبالغوا في إختلاق الأكاذيب للإرشاديين وتفسير الناس من مدارسهم وجمعياتهم والكذب عليهم في كل البلاد وذهبوا أبعد من ذلك بأن طلبوا من أمير مكة منع الإرشاديين من الحج، إلا أن مساعيهم لدى معظم الحكومات عادت إليهم بالخبية وعاد رسلهم متوجين بتاج العار والخزي، فبأفعالهم هذه خدموا الإرشاديين ورفعوا ذكركم، وعرفهم الذين لا يعرفونهم عن مبادئهم ودعوتهم التي تدعو إلى الحق والدين الصحيح .

إشتدت الخصومة بين الإرشاديين وآل باعلوي وللأسف الشديد كان الأيداء من أكابر علماء باعلوي وأكبر أوليائهم فما بالكم في سفهائهم وأغرارهم فبدأوا في بث سمومهم عبر الصحف والجرائد على سبيل المثال: (جريدة العرب، الوادي، مجلة الرابطة وجريدة حضرموت وغيرها). فأطلقوا لأقلامهم العنان للأخذ في أعراض الإرشاديين والتقليل من شأنهم وبلغت بهم الجرأة إلى القول بأن الإرشاديين عمدوا إلى جحود فريضة الحج جحوداً مقروناً بحضهم القوم في جاوا على عدم الذهاب إلى الأراضى المقدسة وزيارة النبي العربي عليه الصلاة والسلام ، كما قاموا بطبع منشورات آثمة سودوها بوقائع جادت بها قرائح المبشرين .

رغم ما قيل وما تجرأ به أعداء الإرشاديين لم يصدر من الشيخ السوركتي كلمة نابية ضد آل باعلوي وكتائبهم وإنما كان يقول كلما هاجموه ونسبوا إليه الجائر



والمستحيل : اللهم أغفر لقومي فإنهم لا يعلمون متأسيماً بالرسول صلى الله عليه وسلم ، استمر آل با علوي يسبون الشيخ الأنصاري السوركتي لأكثر من خمس سنوات في كل مناسبة وخطبة ومنشور وجريدة وقد غمزوا في نسبه فقالوا إنه زنجي وثانياً قالوا أنه ولد زنى والأدهى والأمر قالوا أنه نصراني رباه القس زويمر وبعثه إلى الديار الجاوية لإخراج أهلها من حظيرة الإسلام إلى حظيرة النصرانية. وقد إلتزم فضيلته التحمل والصبر فوجد من الرأي العام وأنصاره الإعجاب والتقدير.

لو أراد الشيخ أن يدافع عن نفسه فإنه سيدافع من باب أنه زعيماً للإرشاديين ولا بد أنه سيلتزم الرزانة التي يعترف له بها خصومه قبل أنصاره وأصدقائه ، فقد عرف عنه أنه لا يحمل حقداً على أحد ولا يقابل أحداً بمكروه ولا تهزه زوابع سفاهة السفهاء ولا التفنن في فنون الإيذاء والبهذاء. وكان رده على هؤلاء بارداً عذباً في ثلاث مقالات رزينة هادئة .

جاء الفصل العاشر متتوالياً الهادمون لصروح آل با علوي فجاء في السياق أن آل با علوي في حضرموت كانوا مستورين محترمين خصوصاً ذوي النفوذ والجاه منهم حتى سرى طغيان بعضهم على بعض واحتقر بعضهم بعضاً وتغطرس ذو الجاه منهم على مستضعفيهم ومستضعفي القبائل الأخرى، فبعث الله عليهم من أنفسهم من آل باعلوي من أنزلهم بواسطة من عروشهم .

عموماً ليس الإرشاديين وحدهم الذين تأذوا من آل باعلوي فقد إمتد مقاصد مقهوري آل با علوي وافتراءاتهم على كل من يخالفهم وإن كان من أفضل المسلمين وأتقاهم فعلى سبيل المثال فقد سلطوا سهامهم تجاه السيد محمد رشيد رضا من أكابر رجالات العالم الإسلامي المتدين وصاحب مجلة المنار الذائع الصيت .

خُتم الحديث عن الكتاب في الجزء الثاني عشر بمختارات من كتب أسلاف باعلوي وقد سُموا بهذا الإسم من سكان حضرموت حسبما ذكرته كتب أسلافهم وهم العنصر الأكبر والأهم التي تدعي الإلتساب إلى سيدنا علي بن أبي طالب ( كرم الله وجهه ) وقد إنتشروا في العالم الإسلامي مكونين لهم تاريخاً خاصاً وإرثاً في الحياة الدينية العامة، ومن أهم المختارات التي تناولها الكاتب : كتاب "المشروع الروي، شرح العيينة، والكواكب الدرية" حملت هذه الكتب وغيرها في طياتها المناقب

والكرامات وخوارق العادات، حتى رفعوا أشخاصاً إلى مستوى الربوبية، واتخذوا قبورهم معابد ومساجد ومزارات ولم يكن الأمر قاصراً على الحياة الدينية فقد امتد الأمر إلى الحياة السياسية بنشر التعاليم الفاسدة وغيرها من المفاسد .

خاتمة القول، يُعد الكتاب من الكتب التي يجد القارئ فيها متعة كبيرة في الإطلاع ومعلومات قيمة عن تاريخ حركة الإصلاح والإرشاد في اندونيسيا ويقف المرء مشدوهاً على مقدرة المحقق في البحث والتمحيص والمقارنات ومطابقة النصوص بالأصول ، ولاشك أن ذلك أخذ منه وقتاً وجهداً ومالاً فظهر هذا السفر القيم متميزاً ، فلم يترك المحقق شاردة ولا واردة إلا وأوردها في أحسن سياق وبيان وأوضح صورة ، ومما يدل على قيمة ومغذى الكتاب الروح العلمية الحيادية الواضحة للمحقق وأسلوبه السلس الرزين الممتع في تناوله للمواضيع الشائكة التي تتطلب جهداً وصبراً فأخرج الكتاب في ثوب قشيب يستطيع قراءته القارئ العادي والمختص على حد سواء. والكتاب يعتبر مرجعاً أساسياً للحياة الدينية والسياسية لتاريخ منطقة الملايو في تلك الفترة . ولما كان المحقق دقيقاً في عمله فقد استعان بمجموعة من المؤلفات المنقحة باللغتين العربية والإنجليزية، وبيعت المجلات والصحف ذات الصلة بالموضوع الأمر الذي أسهم بقدر طيب في إثراء مادة الكتاب.

## Word Difficulty Problems Encountered by Sudanese EFL

Dr. Mohammed Bakri Mohammed El Hassan  
Nile Valley University - Faculty of Education

### Section One : Preliminaries.

#### 1.1 Introduction

Recently, vocabulary had been widely overlooked in the ESL and EFL classroom .Maiguashca (1993, p.91), stated that teaching or studying grammar is based on a set of rules, with a coherent structure which students follow to remember, but the same is not true for vocabulary.

Within the last few years, vocabulary has become viewed as an important aspect in second language learning .In fact many believe it just as important as the main skills of reading, writing, listening and speaking. Nation as cited in Nation and Waring (1997, p.6) explained, "*Vocabulary knowledge enables language use , language use enables the increase of vocabulary knowledge, knowledge of the world enables the increase of vocabulary and language use and so on*"

Learning vocabulary is an ongoing process that takes time and practice. Nakata,(2006, p.19), acknowledged that vocabulary acquisition requires continual repetition in order to achieve effective vocabulary learning.

#### 1.2 Statement of the Problem:-

This study deals with the problems of vocabulary difficulty .It addresses a number of questions running as follows:-

- a. What are some of the problems faced by Sudanese learners in acquiring new vocabulary?
- b. Are there any difficulties of vocabulary learning among Sudanese learner of English as a foreign language?

#### 1.3 Aims of the study:-

This study aims at :-

- a. Displaying the useful channels that are liable to support the student's rate of vocabulary acquisition.
- b. Finding out to what extent can Sudanese learners of English overcome problems of word difficulty learning.
- c. Investigating aspects pertaining to vocabulary difficulty among Sudanese learners of English.

#### **1.4 Significance of the Study:-**

Hughes (1989, p.146), expresses the significance of second language vocabulary acquisition. He states that knowledge of vocabulary is essential to the development and demonstration of linguistic skills.

#### **1.5 Research Questions:-**

The study carries the questions that intend to see to what extent we find difficulties of vocabulary learning among Sudanese learners of English as a foreign language.

#### **1.6 Research hypothesis:-**

The researcher hypothesizes that Sudanese learners of English as a foreign language suffer from problems with vocabulary difficulty in different terms and through different factors.

### **Section Two: A General Survey of Vocabulary Problems:-**

#### **2.1 Introduction :-**

Ur (2001, p.60) states that vocabulary can be defined ,roughly, as the words we teach in the foreign language .However , a new item of vocabulary may be more than a single word: for example, post office, and mother-in-law, which are made up of two or three words but express a single idea. On the other hand there is the definition of Hornby (2003, p. 1447) according to which, vocabulary is all the words that a person knows or uses , or all the words in a particular language or the words that people use when they are talking about a particular subject .According to the Longman dictionary of contemporary English, (1990, p.1117), vocabulary is " words known, learnt, used, etc"

So, defining vocabulary stands for vocabulary as knowledge of words and word meanings in both oral and written language in addition to productive and receptive forms.

### **2.2 Factors of Word Difficulty:-**

What makes a word difficult? Nuttal (1986, p.66) states " Not all words are difficult, and many are difficult only in some contexts or for some readers. However, some kinds of lexical items can be identified. There are numbers of factors that determine how difficult a word is for a learner (bearing in mind that difficulty in language is a some what elusive concept). They are usually categorized as intralexical factors (intrinsic properties related to the word's form and meaning) and intralexical factors (pertaining to the relationship between the word and familiar words either in L2 or other languages). Thus intralexical, contrary to intra-lexical, is not just a more specific L2 vocabulary acquisition term than the corresponding SLA term interlingual, but a qualitatively different one, as it is not restricted to transfer from other languages. Besides these also some researchers mention factors relating to the learning experience (High 1965) as cited in Nation (1990).

However, Swan (1997, p.161), Singleton (1999, p. 74) point out that this deceptively straight forward distinction suffers from the so-called "attribution problem", that is certain error types resist simple classification in either terms. For example, overgeneralization of an L2 rule or both. Another aspect of this classification problem is that many intralexical factors, such as pronounce ability, are not necessarily intrinsically difficult, but only in relation to the corresponding L1 factor.

**2.3 Intralexical Factors:** The following is a summary of comprehensive surveys on intra-lexical factors, which can be found in (Laufer, 1997).

### **2.3 1. Phonological Factors (pronounce ability):-**

These seem to particularly affect less- than – advanced learners who tend to experience acoustic coding interference. Of course, pronounce ability is hardly a purely intra lexical factor where the degree of difficulty is determined by the overlap between the articulate features set of L1 and L2. As Laufer (1990, pp. 147- 155) notes, research evidence points to the conclusion that phonological difficulty not only affects production, but comprehension as well.

### **2.3.2. Orthographic Factors:-**

These include sequential letter probabilities and sound – script incongruence. Again, it has to be noted that in a sense, these are not really intrinsic factors as difficulty arises only by comparison with corresponding L1 values.

### **2.3.3. Morphological Factors:-**

These include inflectional and derivational complexity, notably, deceptive transparency.

**2.3.4. Synformy:** Laufer (1988; as cited in Laufer, 1997, p.47), carried out a study of similar lexical forms. (synforms), to investigate their error inducing potential and classify them into categories, each representing a different kind of similarity. Results demonstrated the most difficult synforms to be those differing with respect to suffixes (industrial, industrious) and synforms identical in consonants but different in vowels (adopt/adapt).

### **2.3.5. Grammatical Factors:-**

These relate to different parts of speech. Research evidence seems to suggest the order of difficulty in nouns verbs, adjectives adverbs. However, Laufer (1997) cautions that results of most studies may suggest to regard grammar with other factors and suggests to regard grammar (part of speech) as a factor with no clear effect.

### 2.3.6. Semantic Factors:-

According to Laufer (1997), the main factors affecting word learning in these areas, are specificity and register restriction, idiomaticity, and multiple meaning. Specificity and register restriction than register – specific ones, as the high frequency of register – related L2 mistakes attests.

Idiomatic expressions, being both frequent and opaque by nature, place a considerable learning burden on the L2 speaker. They present a difficulty even for closely related L1 and L2 with similar use of idiom. Kellerman (1978), as cited in Laufer, (1997, p.151) found that Dutch learners only transferred idioms involving core meanings into English, even when the transfer of peripheral meanings would have yielded a correct L2 expression. Multiple meaning refers to the phenomenon of homonymy and polysemy, i.e. the problem of discriminating between the different senses of the same form and using each sense correctly. (Laufer 1997, p. 152).

Abstract words are often claimed to be more difficult than concrete words because of their intrinsic complexity. However, as Laufer (1997) points out, learning of many abstract words simply requires relabeling of familiar concepts, whereas concrete words may be rendered difficult by other factors.

### 2.4 Interlexical Factors:-

It is worth pointing out that lexical transfer is not always negative or direct. In fact it is generally more beneficial than transfer at the level of phonology or syntax. Concerning the explicit instructions of vocabulary, research has proved that explicit instruction of vocabulary can help develop English language skills and especially vocabulary. It is also observed that old and more advanced learners benefit from intentional instruction more than younger learners .Students learning

through interactive instruction were also found develop more vocabulary .

According to El Khawli, (1989, p.59), not all words are of equal difficulty . The difficulty level depends on several variables.

- Number of syllables. A long word, i.e. with more syllables, letters or phonemes , has a higher probability of causing some difficulties in spelling or pronunciation than a short word.
- Concrete versus abstract. A word referring to a concrete being tends to be more easily taught and grasped than a word referring to an abstract concept.
- Graphic- phonemic correspondence. A word that shows correspondence between its graphemes and its phonemes is easier to spell and pronounce than the one that lacks such correspondence. For example, words such as net, fit, kid, swim, and bed have a one to one correspondence between their graphic transcription and their phonemic transcription i.e. they are written the way they are spoken which makes them easy to spell and read.
- Problem phonemes .If all the phonemes of a word in the foreign language do exist in the native language, there will be no problems regarding the pronunciation of this word. On the other hand, if a word in the foreign language contains a phoneme ,or more than do not exist, in the native language, the word may be difficult to pronounce and more practice is required in such cases.
- Form and meaning. It sometimes happens that a word in the foreign language has an equivalent in the native language, similar in form, meaning or both. For example, the English word "cinema", has an equivalent in Arabic of the same pronunciation and meaning. Further, Arabic words borrowed from English such as radio, telephone, and television are identical with their origins in meaning and similar in pronunciation. To conclude, more similarity between the



words of the foreign language and the native language entails more easiness in teaching and learning those similar words (Elkhawli 1989, pp.59-60). It is very clear that what has been mentioned by Elkhawli can be enlisted as a part of the intra-lexical factors concerned with the word.

### **Section Three. Procedures:-**

#### **3-1 Research Method:-**

300 secondary school students including both girls (150) and boys (150), were selected from different schools in Atbara town to sit for an achievement test in vocabulary .The test consisted of ten categories each of which examines a specific area .The areas included the general word (super ordinate), word grouping, names of professions, filling the gap, matching antonyms, matching synonyms, using prefixes, using suffixes, inserting from the list, and using words in meaningful sentences. The students were selected randomly from different schools from Atbara town .The number of the students in each of the classes ran between 30-to 50, but some school classes ran between 20-up to 30. The administrations of the different schools were told about the purpose of the exam , and they were interested in the idea and delivered their best help. The exam was well managed to be at one time in all over the schools. The researcher had made sure that all the words in the exam have been previously taught to the students.. The words were selected from the spine series , including spine ( 4 ) of the first level, spine (5) of the second level and spine (6) for the third level, making sure that the words have not exceeded their present destination. In terms of the students age, education and background, the groups were similar, so it was concluded that comparisons could be made between all classes.

### 3.2 Research Design:-

The research was designed to investigate into the problem of vocabulary loss for secondary school students in Atbara Locality. The study examined (300) students including both boys and girls , to answer the question ( Is there a vocabulary difficulty among Atbara secondary school students , third level?), so , the test was designed with reference to what the students have already studied.

### 3.3 Research Population:-

The research population for this study is represented in Sudanese Secondary school students , third level.

### 3.4 Research Sample :-

As for the research sample, it is represented in third year secondary school students in Atbara locality .

- (100) students who were chosen to run the piloting for the test, where a test and retest took place to examine the validity.
- (300) students consisting of both genders(150 boys) and (150 girls), third level, for the school year (2009-2010) on whom the achievement test took place. They are identical in their level of education and age. This is actually for the sake of reducing variables.

### 3.5 The Instruments of Data Collection:-

For collecting data for this research, an achievement test of vocabulary, consisting of different items was designed.

**3.6 Validity of the Test:-** A test is considered to be valid if it tests what it is supposed to test ( Harmer 2001, p.322). The students test was approved by a committee selected from experts in the field of English language Teaching . The jury committee consisted of two associate professors, and one expert teacher .The professors are from both Nile Valley University and Qatar University. The expert teacher is working as a manager in the field of English language teaching supervision in Atbara

Locality the River Nile State. They have added their observations and recommending on some of the test questions.

### 3-7 Test Reliability:-

For checking the reliability of the test, the researcher used the test and retest method. A test and retest was done for a selected school in Atbara ( Shiekh Hamad Secondary school for the students of the school year (2009-2010), where (100) students were tested and retested a gain three months later. The table (1) below, which has been resulted from the (SPSS) Statistical Package for Social Science shows that the correlation is significant at 0.01level.

## Section Four: Results, conclusion , recommendations and suggestions:-

### 4-1 Results Analysis:-

#### 4.1.1Boys responses to the achievement test:-

( table 1).Results of boys responses to the achievement test:-.

| No    | Correct responses |     | Partially correct responses |     | Wrong responses |     |
|-------|-------------------|-----|-----------------------------|-----|-----------------|-----|
|       | Total             | %   | Total                       | %   | Total           | %   |
| 1     | 820               | 55% | 78                          | 5%  | 602             | 40% |
| 2     | 327               | 22% | -                           | -   | 1173            | 78% |
| 3     | 432               | 29% | 373                         | 25% | 695             | 46% |
| 4     | 285               | 19% | -                           | -   | 1215            | 81% |
| 5     | 640               | 43% | -                           | -   | 860             | 57% |
| 6     | 322               | 21% | -                           | -   | 1178            | 79% |
| 7     | 1101              | 73% | -                           | -   | 399             | 27% |
| 8     | 1088              | 73% | -                           | -   | 412             | 27% |
| 9     | 417               | 28% | -                           | -   | 1083            | 72% |
| 10    | 126               | 8%  | -                           | -   | 1374            | 92% |
| Total | 5558              | 37% | 451                         | 3%  | 8991            | 60% |

The above table summarizes the achievement test from question (1) up to (10). The questions were designed to examine vocabulary difficulty among secondary school students taking

into consideration Atbara locality as a case study. The questions examined the following:

1. knowledge of the general word "super ordinate"
2. knowledge of jobs and professions.
3. identifying words which are related to each other.
4. inserting the suitable word in a sentence.
5. knowledge of antonyms.
6. knowledge of synonyms.
7. Attaching the right prefix.
8. attaching the right suffix.
9. using a suitable word from the list.
10. using words in correct meaningful sentences.

#### 4-1.2 Girls' responses to the achievement test:-

(Table 2).Results of girls' responses to the achievement test:-

| No    | Correct responses |     | Partially correct responses |     | Wrong responses |     |
|-------|-------------------|-----|-----------------------------|-----|-----------------|-----|
|       | Total             | %   | Total                       | %   | Total           | %   |
| 1     | 743               | 50% | 141                         | 9%  | 616             | 41% |
| 2     | 273               | 18% | -                           | -   | 1227            | 82% |
| 3     | 368               | 25% | 381                         | 25% | 751             | 50% |
| 4     | 244               | 16% | -                           | -   | 1256            | 84% |
| 5     | 487               | 32% | -                           | -   | 1013            | 68% |
| 6     | 332               | 22% | -                           | -   | 1168            | 78% |
| 7     | 1232              | 82% | -                           | -   | 268             | 18% |
| 8     | 1054              | 70% | -                           | -   | 446             | 30% |
| 9     | 352               | 23% | -                           | -   | 1148            | 77% |
| 10    | 133               | 9%  | -                           | -   | 1367            | 91% |
| Total | 5218              | 35% | 522                         | 3%  | 9260            | 62% |

Number of boys' correct responses is 5558 percentage 37% .

Number of boys' partially correct responses is 451 percentage 3%.

Number of boys' wrong responses is 8991 percentage 60%.

On the other hand, the above table shows the summary of girls responses to the whole questions from one up to ten.

Number of girls' correct responses is 5218 percentage 39%.

Number of girls' partially correct responses is 522 percentage 3%.

Number of girls' wrong responses is 9260 percentage 62%.

Comparing both table, it is very clear that the rate of vocabulary loss among girls is 2% higher than vocabulary loss among boys in secondary school students, third level, in Atbara locality. Bearing in mind that the number of subject is 300 boys and girls, consisting of 150 boys on one hand, and 150 girls on the other hand, representing the different governmental secondary schools for both genders in Atbara locality

#### 4-2 The overall responses:-

.(table 3) The overall total of subject responses out of (30.000)

|     |       |                             |
|-----|-------|-----------------------------|
| 61% | 18251 | Wrong responses             |
| 3%  | 973   | Partially correct responses |
| 36% | 10776 | Correct responses           |

#### 4-3 Seriousness of Vocabulary Difficulty:-

The problem of vocabulary difficulty represents a threat on the way of developing the students' target language, and therefore needs much effort and hard work . It is a huge responsibility not only on the teachers' burden , but also on the syllabus designers' and the learners'. The researcher has suggested some suggestions and recommendations which can help a lot in the reduction of students' vocabulary difficulty on one hand and in supporting of vocabulary acquisition on the other hand. Some of these recommendations and suggestions are concerned with the syllabus, some are concerned with the side of teaching and some are concerned with the learners.

#### 4.5 Summary of findings:-

With reference to the achievement test, the number of the boys' correct responses is 5558 ( percentage 37%) and the number of the boys' partially correct responses is 451 ( percentage 3%), while the number of the boys' wrong responses is 8991 ( percentage 60%).

On the other hand, the girls' correct responses is 5218 ( percentage 35% and the number of the girls' partially correct responses is 522 ( percentage 3%), while the number of the girls' wrong responses is, 9260 ( percentage 62%) .

The total number of vocabulary loss among both boys (150) and girls ( 150), is 18251( percentage 61%). Comparing both boys (150) and girls (150), it is very clear that the rate of vocabulary loss among girls is 62% i.e. 2% higher than it is among boys which is 60% bearing in mind that the whole subject number for both genders is (300 students) , consisting of (150 boys & 150 girls ) representing the different governmental secondary schools in Atbara locality.

#### **4.6 Study Conclusions:-**

- There is a rate of vocabulary difficulty among Atbara secondary school students, third level, Atbara locality, for the school year (2009-2010) which reaches at 61%.
- The rate of vocabulary difficulty among boys students is (60%) and among girls students is (62%) .i.e. rate of girls' vocabulary difficulty is (2%) higher than that of boys.
- Rate of vocabulary acquisition for Atbara secondary school students' third level ( school year-2009-2010) is generally weak.
- The four language skills are not sufficiently implemented to support vocabulary exposure.

#### **4.7 Recommendations:-**

- English language teachers should always think about the nature of new words of each lesson, and the best technique to teach them.
- Teachers should be able to determine whether the vocabulary items at hand are needed for their learners' active use or passive use. Active use necessitates much care from the teacher and thorough exercise from the learner. And when teaching vocabulary, teachers should take into

consideration that guiding a learner to " know" a word in the foreign language means enabling him / her:-

- a. to recognize the word in its spoken and written form.
- b. To recall it at will.
- c. To relate it to an appropriate object or concept.
- d. To use it in an appropriate grammatical form.
- e. In speech, to pronounce it correctly, and in writing to write it correctly.
- f. To use it with the words that it appropriately and correctly goes with , ( in correct collocations).
- g. To use it at appropriate level of formality.

#### References:-

- Alkhwali, Mohammed Ali 1983, Teaching English to Arab Students Riyadh University, Kingdom of Saudi Arabia.
- Harmer, J. 2001, The Practice of English Language Teaching, (3rd edition).
- Hornby, A.S. 2003, Oxford Genuine Learners dictionary of current English, Oxford University Press.
- Laufer 1997, What's a word that makes it Hard or Easy, Cambridge. Cambridge University Press.
- Maiguashca, R . U. 1993, Teaching and Learning Vocabulary in a Second Language( Past, Present and Future Directions), The Canadian Modern Language Review.
- Meara, P.1982, The Importance of an Early Emphasis on L2 Vocabulary, The Language Teacher 19(2) 8.-10
- Nakata , T. 2006, "Implementing Optimal Spaced Learning for English Vocabulary", The JALT CALL Journal 2(2), pp.3-18
- Nation. I.S.P.1990, Teaching and Learning Vocabulary, Boston, Mass; Heinle & Heinle Publishers.
- Nuttal Christine 1986, Teaching Reading Skills in a Foreign Language. Heinman, English Language Teaching.

- Swan Michael & Walter Catherine 1988, The Cambridge English Course, Teachers' book (1) Cambridge University Press.
- Ur, Penny 2001, A Course in Language Teaching, Cambridge University Press.
- Waring , Rob 1997, Scales of Vocabulary Knowledge Assessment, The Occasional papers of Notre Dame.



## لمسة وفاء

إعداد: أ.د. كباشي حسين قسيمه



انتقل إلى رحمة الله تعالى عالم من علماء السودان في حقل الدراسات الأثرية الدكتور خضر عبد الكريم أحمد في السابع والعشرين من شهر مارس 2012م بعد معاناة قصيرة مع المرض.

ولد الدكتور خضر في عام 1947م، وتخرج في جامعة الخرطوم -كلية الآداب- قسم الآثار في عام 1970م، وعمل بالمكتب الثقافى بوزارة الداخلية ثم تم تعيينه في قسم التاريخ جامعة الخرطوم 1975م، حيث نال درجة الماجستير في آثار وتاريخ دولة مروي القديمة. وابتعث إلى جامعة كامبريدج ببريطانيا ونال منها شهادة الدكتوراه في الآثار المروية سنة 1984م، وعاد ليُدرس بقسم الآثار حتى أصبح رئيساً له. وكان له دور بارز في التدريس والبحث الميداني، كما أشرف على المؤتمر العالمي السادس للدراسات المروية في الخرطوم.

عُرف عن الفقيد تقانيه في متابعة طلابه والاهتمام بسير دراستهم، فقد كان لي شرف أن درست على يديه في مرحلة البكالوريوس بجامعة الخرطوم في مطلع ثمانينيات القرن الماضي، والإشراف على رسالة الماجستير. وكان نعم المعلم والأخ

الكبير، وبالإضافة لعمله بجامعة الخرطوم فقد درس لفترة في معهد الآثار بألمانيا وأخيراً تبوأ رئاسة قسم الآثار بجامعة النيلين بالخرطوم.

لقد كان المرحوم معروفاً وسط أقرانه بثقافته العميقة وإخلاصه لمبادئه التي عمل من أجلها، كما كانت له مساهماته المشهودة في العمل العام والطوعي.. نسأل الله العليّ القدير أن يتقبله قبولاً حسناً وأن يجعل البركة في ذريته ... ولا حول ولا قوة إلا بالله.

## في ذكرى رحيل د. محمد المهدي زين العابدين

بقلم: أ. د. محمد مهدي إدريس



انقضى عام ونيف من الزمان منذ غادرنا إلى رحاب ربه الزميل د. محمد المهدي زين العابدين الأستاذ المساعد بقسم الجغرافيا - كلية الآداب والدراسات الإنسانية - جامعة دنقلا. ولد الراحل المقيم في الباوقة عام 1967م وتقل في معية أسرته مع والده في بقاع السودان المختلفة، فقد كان الأب يعمل في السكة الحديد، الأمر الذي جعل محمد المهدي يتشرب منذ نعومة أظفاره عشق هذا الوطن وإدراك ما حباه الله به من ثراء مرده إلى تنوع مناخاته وبيئاته وأعراق أهله وما لهم من شمائل كانت محل فخره واعتزازه.

تلقى الفقيه تعليمه العالي في كلية الآداب - جامعة الخرطوم حيث نال فيها درجة بكالوريوس الآداب في الجغرافيا عام 1992م، ثم نال درجة ماجستير الآداب في الجغرافيا في جامعة أمدرمان الإسلامية عام 1999م، أما درجة الدكتوراه في ذات التخصص فقد نالها في جامعة الخرطوم سنة 2010م. وما أن تخرج لأول مرة في جامعة الخرطوم إلا والتحق بسلك التدريس، حيث عمل معلماً للجغرافيا في المرحلة الثانوية في شمال دار فور لمدة عام، ثم التحق موظفاً بجامعة أمدرمان الإسلامية وشغل وظيفة مسجل في إحدى كلياتها، ثم التحق عام 1995م بوظيفة مساعد تدريس بقسم الجغرافيا - كلية الآداب والدراسات الإنسانية - جامعة دنقلا، وتدرج منها إلى أن صار أستاذاً مساعداً، وشغل خلال تلك الفترة وظيفة رئيس القسم.

يُعد الفقيه أحد الكتاب الذين غرسوا البذرة الأولى لمجلة الدراسات الإنسانية، إذ زين مقاله بعنوان: "السكان والصحة الإنجابية" العدد الأول من هذه المجلة، محتلاً الصفحات 97- 108. وقد سكب عصارة جهده في عملية التدريس، وكان لا يتوانى في مزاولته عمله وهو عليل - خاصة في عامه الأخير، فقد كان نشاطه وتقانيه وقتذاك مصدر إلهام لطلابه وكثير ممن حوله، رغم اشفاقهم عليه محبة وتقديراً.

كان الراحل المقيم مؤمناً بإمكانات السودان وما تزخر به أرضه من خيارات - بارزة ومكنونة - فضلاً عن إلمامه الواسع بالثقافة السودانية ومدى تنوعها، وعشقه لأدابها وفنونها. وكان تواقاً لأن يرى الوطن يرفل في ثياب التسامح والسلام والنماء والديموقراطية. إن شمائل عزيزنا الراحل التي تتم عن تواضعه وبساطته وحبه واحترامه للآخرين وحبه لعمله وإيثاره الطرفة والدعابة عندما يتعامل مع محبيه، بالإضافة للقيم النبيلة التي تحلى بها، وتظهر بشكل خاصة في نفسه الأبية وزهده وحبه للوطن وعفة يده ولسانه، لهي مصدر فخر لأسرته ومحبيه، وتبقى سيرته العطرة نبراساً هادياً لأبنائه كي ما يحذوا حذوه. وداعاً أيها الراحل في الليل وحيداً، لتتعم في عليائك برحمة من الله ورضوان.

## Guidelines for Authors

Human studies journal is a half-year publication representing articles in the field of social sciences and humanities aiming to pursue research and form a meeting for ground exchange of opinions. The Journal welcomes articles, books, reviews and scientific reports.

- \* Submitted manuscripts should be written in Arabic, English or French, in the range of 7500 words (ca.25 pages). Typed in an A4 size paper along with a CD or 3.5 disk.
- \* The manuscripts should not have been published previously and should not be published elsewhere, in full or in part, without a written permission from the chief editor.
- \* References should be cited according to the Harvard University style of citation (the American style) (the surname year, p. ), that's in case of references written in non-Arabic languages, or even in case of the classical /medieval Arab authors, such as Al-Tabari. The names of modern Arab authors should be written in its treble form, as (Amira Alaa El-Din Salih 2008, p.109).
- \* The bibliography should be arranged at the end of the text in the following order, in case of non-Arab authors and classical/medieval Arab writers: family name, the first two names year of publication, title of the book or article, (in case of book, name and place of publisher. In case of article journal serial number and article pages number). In case of modern Arab authors, the name should be written in its treble form.
- \* Submitted manuscripts would be evaluated by specialists in the field. If accepted, articles can be subjected to minor modifications.
- \* Each author is entitled to obtain 3 copies of the journal in which his/her article is published.

- \* The views expressed in the papers are the sole responsibility of the authors.
- \* Manuscripts will not be returned to their authors.
- \* Corresponding address : P.O.box:58 Karima, Sudan.  
e-mail : [magazinearts@yahoo.com](mailto:magazinearts@yahoo.com)  
Fax : 0249231822954  
Tel : 0249231820098

